تفريغ

شرح كتاب التوحيد

للشيخ

علي الرّملي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أخي القارئ هذا الكتاب هو ثمرة جهد من تفريغات إخواننا طلبة العلم بموقع شبكة الدّين القيّم[1] , و لما كانت تلك التّفريغات متفرّقة على موقعهم و غير مجموعة في كُتب , كان منّي أن جمعت كل تفريغ في كتاب بصيغة pdf لأجل الإستخدام الشّخصي , فلمّا وجدتُ نفعها كثير و خيرها عميم رأيت نشرها على موقع منتدى زدني العلمية[2] .

أسأل –الله عز و جل– أن ينفع بها الجميع .

أخوكم :

أبو عبدالله العربي الجزائري

[1] رابط موقع شبكة الدين القيّم: http://www.alqayim.net

[2] رابط مدونة زدني العلمية : http://www.vb-zeydni.blogspot.com

تفريغ شرح كتاب التوحيد
لشيخنا علي الرملي حفظه -الله تعالى-
تفريغ الدرس الأول:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , أما بعد :

فسنبدأ إن شاء الله بحول الله وقوته بشرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . هذا الكتاب هو كتابٌ يقرّر فيه صاحبه عقيدة التوحيد , خصوصاً توحيد الألوهية ـ توحيد العبادة ـ يسمّى توحيد الألوهية ويسمّى توحيد العبادة هذا التوحيد حصل فيه خللٌ كبيرٌ في زمن المؤلف رحمه الله وانتشر الشرك بين الناس لذلك ألّف المؤلّف هذا الكتاب ليبيّن الحق من الباطل ويبيّن التوحيد الذي بُعثت به الرسل ويبيّن أيضاً ما يضادّه وما يفسده من الشرك , فألّف هذا الكتاب فتلقّاه العلماء بالقبول ووجد انتشاراً واسعاً ونفع الله تعالى به . هذا التوحيد ـ توحيد الألوهية ـ هو أحد أقسام التوحيد الثلاثة , فالتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام : توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات , وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله .

مهمٌّ جداً لطالب العلم أن يعلم أن العلم لا ينال جملة ـ مرة واحدة ـ بل يُنال بالتدرّج شيئاً فشيئاً , كما قال أحد السلف رضي الله عنهم : (من رام العلم جملة ذهب عنه جملة) لذلك العلم ينال شيئاً فشيئاً , وكل فنٍّ من فنون علم الشريعة له طريقته في التدرج , هذا العلم هو علم العقيدة , وعقيدة التوحيد بالذات , له طريقته أيضاً في التدرج , فتوحيد العبادة ـ الألوهية ـ يُنصَح بأن يبدأ طالب العلم بثلاثة الأصول فيه , فإذا أتقن هذا الكتاب أتقن جانباً لا بأس به من هذا التوحيد ـ توحيد الألوهية ـ ثم بعد ذلك ينتقل إلى كتاب التوحيد , وبعض أهل العلم ينصح بالقواعد الأربع قبل ذلك , وأنا أفضّل أن ينتقل إلى كتاب التوحيد , فكتاب التوحيد فيه كل ما

يحتاج إليه في هذا العلم , بالتحديد علم توحيد الألوهية , كتابٌ جامعٌ ونافعٌ وفيه خير كثير والحمد لله , ثم بعد ذلك يدرس " كشف الشبهات " وهو كتاب أيضاً نافع في كشف شبهات الصوفية عبدةِ القبور وكذلك الشيعة , وهم أكثر الطوائف عرفت بعبادة القبور فكشف الشبهات هذي , فهذا فيه رد على شبهات القوم , لكن ينفع للشخص أن يدرسه بعد كتاب التوحيد , والصواب أن يعرف الشخص التوحيد أولاً ثم بعد ذلك يعرف الشبهات التي يوردها أهل الضلال عليه , ثم بعد ذلك يدرس " نواقض الإسلام " فهذا أيضاً أمرٌ نافع بالنسبة لطالب العلم , هكذا يكون التدرج في هذا العلم وهو توحيد الألوهية . أما العقيدة بصفة عامة فيدرس طالب العلم في ـ أيضاً - " لمعة الاعتقاد " : هذا فيه ـ يعني ـ تطرّقٌ لعقيدة أهل السنة والجماعة بطريقة مختصرة تناسب طالب العلم المبتدئ , ثم بعد ذلك ينتقل إلى الواسطية ويدرسها بإتقان , ثم بعد ذلك ينتقل إلى الطحّاوية فيكون قد تحصّل على خير كبير في علم الاعتقاد , ومن أراد أن يستزيد فكتبُ العلم كثيرة كالتدمرية وكالحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

فنحن الآن بصدد شرح كتاب التوحيد وهو يعتبر الكتاب الثاني من الكتب التي يتدرج بدراستها طالب العلم , وكما ذكرنا : هذا الكتاب من أنفس الكتب التي بيّنت مسائل توحيد الألوهية بل لعلّه أنفس كتاب أُفرِد لهذا المبحث وهو توحيد الألوهية مادّة الكتاب التي معنا ـ قبل أن نبدأ بها ـ نشرح كلمة " كتاب " وكلمة " التوحيد ".

كلمة كتاب : هذه مادتها مأخوذة من كَتَبَ وهذه المادة ـ مادة كتب ـ موضوعة في لغة العرب للجمع والضمّ , فلما جمع مؤلف الكتاب , جمعَ مباحث ومسائل متعلّقة بموضوع واحد سمّى كتابه كتاباً , وهو موضوع التوحيد , والكتاب سُمّي كتاباً لأنه تُجمع فيه الكلمات والحروف , كما أن كتيبة الجيش تسمّى كتيبة لأنها تجمع أفراداً من الجيش . كذلك عندنا هنا الكتاب يسمّى كتاباً لأنه يجمع كلمات وحروف ـ يعني ـ متناسقة مع بعضها تدلّ على موضوع واحد , وهذا هو المقصود من الكتاب .

كتاب التوحيد : التوحيد : وحّدَ يوحِّد توحيداً , فهو مصدر ـ يعني ـ معناه أن تجعل الشيء واحداً فتقول : وحد القوم كلمتهم , أي : جعلوا كلمتهم واحدة وليست متفرقة , هذا معنى التوحيد , هذا من حيث اللغة.

أما المقصود بالتوحيد ـ هنا ـ من الناحية الشرعية : فهو إفراد الله تبارك وتعالى بكل ما يختص به , إفراد الله بكل ما يختّص به , وهذا على سبيل الإجمال.

على سبيل التفصيل تقول : توحيد الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى ثلاثة أقسام : توحيد ربوبية , توحيد ألوهية , توحيد أسماء وصفات .

فتوحيد الربوبية : إفراد الله تبارك وتعالى بما يختّص به من الخلق والملك والتدبير.

توحيد الألوهية : إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة , فعبادتك تكون لله وحده لأن هذا أمرٌ مختصٌّ بالله تبارك وتعالى , توحيد الربوبية : أن تعتقد أن الله هو الخالق , هو الرازق , هو المدبّر , هذه كلها الأشياء هو مختصٌّ بها , هي خاصّة بالله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد فإذا اعتقدت أن أحداً يشارك الله سبحانه وتعالى في الخلق مثلاً هنا تكون قد أشركت , نقضتَ التوحيد ـ يعني أفسدت التوحيد ـ لأن الخلق خاصٌّ بالله سبحانه وتعالى , خلقُ الخلق , يعني من الذي خلق السماوات ؟ من الذي خلق الأرض ؟ من الذي خلق البشر ؟ الله سبحانه وتعالى , هل هناك خالق آخر ؟ لا يمكن لا يوجد , هذا الفعل خاصٌّ بالله تبارك وتعالى , هذا معنى أن يكون الشيء خاصّا بالله سبحانه وتعالى , من أين تعرف أن الشيء خاصٌّ بالله سبحانه وتعالى ؟

تعرفه من أدلة الكتاب والسنة التي ستأتي معنا إن شاء الله , ستبيّن لك أن الخلق مثلاً خاصٌّ بالله تبارك وتعالى , لا يخلقُ معه غيرُه , كذلك أيضاً التدبير , تدبير هذا الكون والتصرّف فيه , هذا خاص بالله سبحانه وتعالى. أيضاً كذلك , نعم , الخلق , الملك , مالك ما في هذه السماوات وما في هذه الأرض الملك التام هذا لله سبحانه وتعالى خاصٌّ به حتى ما نملك , نحن وما نملك ملكٌ لله سبحانه وتعالى , هذا الملك التام ,

هذا خاص بالله سبحانه وتعالى , فلا يجوز لك أن تعتقد أن مالكاً مع الله سبحانه وتعالى أو أن خالقاً مع الله سبحانه وتعالى أو أن مدبراً مع الله سبحانه وتعالى , أنه يوجد مدبّر أو يوجد خالق أو يوجد مالك لهذا الكون مع الله سبحانه وتعالى , إذا اعتقدت ذلك فقد أشركت معه غيره , كذلك في مسألة العبادة , هذا في توحيد الربوبية , إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدبير , توحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة : أن تعتقد أن الله سبحانه وتعالى هو الذي فقط يستحق منك العبادة , يعني عبادتك تكون لله خاصة , لا تعبد معه غيره , فإذا عبدت معه غيره فقد أشركت معه غيره في عبادتك , في شيء خاصٍّ بالله سبحانه وتعالى , ما هو هذا الشيء بالله سبحانه وتعالى ؟ هي عبادتك , أنت تعبّدك يجب أن يكون لله وحده وألا يكون لغيره معه , فلذلك تكون موحداً إذا عبدت الله وحده , أما تكون مشركاً إذا عبدت غيره معه وهذا الذي يسمى بتوحيد العبادة .

التوحيد الثالث : هو توحيد الأسماء والصفات , يعني أن تؤمن بالأسماء التي سمى الله سبحانه وتعالى بها نفسه في كتابه أو في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم , أن تؤمن بها وتصدق أنها لله سبحانه وتعالى , بما أنه سمى نفسه بها فتسميه بها , وصف نفسه بها : تصفه بها ولا تنكرها , لا تجحدها , لا تكذب بها , هذا يسمى توحيد الأسماء والصفات .

إذاً التوحيد ثلاث أقسام : توحيد الربوبية , توحيد الألوهية , توحيد الأسماء والصفات , هذه كلها أشياء _ يعني _ يجب أن تخصّ الله سبحانه وتعالى بها وألا تشرك معه غيره فيها , نعم , هنا , هذه الكلمات هي تفسيرٌ لكلمة التوحيد , فخلاصة الأمر أن التوحيد هو إفراد الله تبارك وتعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات , أو قل : هو إفراد الله تبارك وتعالى بكل ما يختصّ به , لكن على سبيل التفصيل أفضل , إفراد الله تبارك وتعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

فالتوحيد ثلاثة أقسام : توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات , هذا

كله , حصر التوحيد بهذه الأنواع الثلاثة أخذناه من استقراء أدلة الكتاب والسنة , يعني بعدما استقرأ العلماء أدلة الكتاب والسنة وجدوا أن ما ورد في الكتاب والسنة من توحيد هو ـ يعني ـ ورد بهذه الأقسام الثلاثة , وكلها تجدها في سورة الفاتحة , الأقسام الثلاثة موجودة في سورة الفاتحة وفي غيرها من السور , هذا معنى كتاب التوحيد الذي سنبدأ به بإذن الله تبارك وتعالى , بشرحه , خلاصة ما يريد المؤلف من هذا الكتاب هو أن تفهم شيء , ما هو الشيء ؟ أن تعرف أن الناس عندما أنزل الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام إلى الأرض كانوا جميعاً على التوحيد , يعني أنهم كانوا يعبدون الله سبحانه وتعالى ولا يعبدون معه غيره , تمام ؟ بقي الناس على هذا الحال إلى عشرة قرون تقريباً , ثم بعد ذلك بدأ الشرك في قوم نوح , كيف بدأ ؟ كان في قوم نوح قومٌ صالحون , وهذا كله سيأتي معنا إن شاء الله , عندما ماتوا جاءهم الشيطان وقال لهم اصنعوا لهم تماثيل كي تتذكروا عباداتهم وطاعاتهم وتعبدون الله تبارك وتعالى كما كانوا يعبدون , ففعلوا , صنعوا لهم تماثيل وجعلوها في نادي القوم , يعني في ـ زي ما تقول ـ المكان الذي يجتمعون فيه , ثم بعد ذلك ذهب هذا الجيل وجاء جيل غيره , جاءهم الشيطان بأن آباءكم كانوا يعبدون هذه التماثيل فعبدوها , فبدأ الشرك في العبادة مع الله سبحانه وتعالى , ثم بعد ذلك انتشر وأخذ يزيد فأرسل الله سبحانه وتعالى الرسل فكانت دعوة الرسل وأصله هي التوحيد , النبي صلى الله عليه وسلم عندما جاء لقومه , قال لهم : يا قوم , قولوا لا إله إلا الله تفلحوا , يا قوم , قولوا لا إله إلا الله تفلحوا , إذاً جاءهم التوحيد , قال الله سبحانه وتعالى : [ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت] إذاً , كل رسول جاء إلى أمّته جاء يدعوهم إلى توحيد الله تبارك وتعالى فأصل دعوة الأنبياء هي التوحيد , إخراج الناس من عبادة الأوثان , عبادة القبور , عبادة الأولياء إلى عبادة الله تبارك وتعالى وحده لا شريك له وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

هذا ما أراده المؤلف رحمه الله بعد أن انتشر الشرك في زمنه , الشرك الذي هو ناقض

للتوحيد , انتشرت عبادة القبور في زمنه , أراد أن يبيّن للناس دعوة التوحيد التي جاء بها الرسل بعد أن نُسِيَت ـ يعني ـ وانحرف الناس عنها , أراد أن يبيّن لهم ماهي الدعوة التي جاء بها النبيّ صلى الله عليه وسلم , فكان ـ يعني ـ تنوير أبصار الناس على يديه بفضل الله تبارك وتعالى , وأخرج الناس من الشرك إلى التوحيد ونفع الله به نفعاً عظيماً , إذاً : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأساس هي لنشر التوحيد , ما هو التوحيد ؟ عبادة الله تبارك وتعالى وحده وترك عبادة غيره , هذا ما كان يريده من الناس , وهذا ما دعا الناس إليه , ولهذا ألّف هذا الكتاب , هذا المقصود من التوحيد وهذا ما أردنا بيانه من معنى كلمة " كتاب التوحيد "، نعم.

قال المصنّف رحمه الله تعالى : " بسم الله الرحمن الرحيم " يبدأ عادة المؤلفون مؤلفاتهم بالبسملة اقتداءاً بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد كان عليه الصلاة والسلام يبدأ رسائله بها , كان عليه الصلاة والسلام يبدأ رسائله بها , لذلك يبدأ المؤلفون بها.

و " بسم الله الرحمن الرحيم " معناها : أبدأ كتابتي بذكر اسم الله تبارك وتعالى , الرحمن : وهو اسمٌ لله تبارك وتعالى يتضمن صفة الرحمة , الرحيم كذلك , إلا أن صفة الرحمة , أو اسم الله الرحمن أوسع معنىً من اسم الله الرحيم , يعني الصفة , صفة الله الرحمن عامة وصفة الله الرحيم خاصة بالمؤمنين .

قال المؤلف رحمه الله , طبعاً قبل ذلك , ما يذكره العلماء هنا من أحاديث لا يصح منها شيء , " كل أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع " أو " كل أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع " وما شابه من هذه الأحاديث لا يصح منها شيء .

قال المؤلف رحمه الله :" الحمد لله "

الحمد : قالوا معناه : وصف المحمود بالكمال محبةً وتعظيماً ـ يعني ـ أن تصف الله سبحانه وتعالى بصفات الكمال محبة له وتعظيماً له , هذا معنى الحمد لله .

قال المؤلف رحمه الله :" وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم " :

صلاة الله على نبيه كما قال أبو العالية الرياحي هي ثناؤه عليه عند الملائكة المقربين , هذا معنى , هو قال : ثناؤه عليه في الملأ الأعلى , ومعنى الملأ الأعلى : الملائكة المقربون , صلى الله عليه (على محمد صلى الله عليه وسلم) , " وعلى آله " , على آله : هنا الآل تطلق على الأقارب وتطلق على الأتباع , فإذا ذكر الصحب مع الآل : فيكون المراد بالآل : أهل بيته (أقرباؤه من المؤمنين) وإذا لم يُذكر الأصحاب فيكون المراد بالآل : أتباعه على دينه , ليشمل الأصحاب والأقارب وغيرهم , هنا المؤلف لم يذكر الأصحاب فيكون معنى الآل : أتباعه على دينه . قال :" وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم " : يعني السلامة , يسلّمه من النقائص ومن العيوب , والكلام هنا , صلى الله : فعل ماضٍ لكن المراد منه الدعاء .

قال المؤلف رحمه الله :" كتاب التوحيد " وقد شرحنا معنى " كتاب التوحيد " فيما تقدّم . قال رحمه الله : " وقول الله تعالى :[وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون] ": الآن المؤلف رحمه الله سيبيّن لنا في هذه المقدمة معنى التوحيد , فبدأ بهذه الآية : [وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون] , الله سبحانه وتعالى لم يخلق الجن والإنس إلا لعبادته , فهنا يبيّن لنا ربنا تبارك وتعالى الحكمة التي من أجلها خلقنا , لماذا أوجدنا ؟ أوجدنا لعبادته , فما معنى العبادة ؟

العبادة في لغة العرب تأتي بمعنى الخضوع والتذلل , لذلك يسمى الطريق المعبّد طريقاً معبّداً لأنه مذلّل تدوسه بأريحية , الخضوع والتذلل , وأيضاً تطلق العبادة في اللغة على الطاعة وغير ذلك من المعاني , لذلك قال بعض العلماء بأن معنى العبادة هي الطاعة مع الخضوع والتذلّل , ليست طاعة مجردة , طاعةٌ مع خضوعٍ وتذلّل , فأنت إذا أطعت الله سبحانه وتعالى بأداء الصلاة تطيعه وأنت خاضع متذلل له , هذا معنى العبادة , وقال بعض العلماء , تعريفها : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

كلمة العبادة : اسم يجمع كل ما ذكره هنا , كل ما يحبه الله ويرضاه , أين تجد هذا

الذي يحبه الله ويرضاه ؟ كل ما شرعه الله في الكتاب والسنة أمرنا به أمر إيجاب أو أمر استحباب أو نهانا عنه ففعِلنا له إذا أمرنا به , فعلنا له طاعة لأن الله سبحانه وتعالى ما أمرنا به إلا وهو يحبه ويرضاه , وما نهانا عن الشيء إلا لأنه يحب لنا أن نتركه , كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة , هذه عبادات , فعلك للصلاة عبادة , لأن الله سبحانه وتعالى قد أمرك بها , أمرك بها في الكتاب والسنة , إذاً فهو يحبه ويرضاه , هذه عبادة , الصيام عبادة , الزكاة عبادة , لماذا ؟ لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بها , أمرنا بها معنى ذلك أنه يحبها ويرضاها , فكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال كقولنا مثلاً سبحان الله عبادة , الحمد لله عبادة يحبها الله ويرضاها , كيف عرفنا أنه يحبها ويرضاها ؟ لأنه أمرنا بها في القرآن أو في السنة , من الأقوال والأعمال كالصلاة , الظاهرة : عمل ظاهر , الصلاة عمل ظاهر , الحج عمل ظاهر , الزكاة عمل ظاهر , والباطنة (الأعمال الباطنة) كالحب والخوف والرجاء والتوكّل , هذه أعمال باطنة , أعمال قلبية , لا نراها من الشخص , هي في قلبه , في داخله , فهي أعمال باطنة , يحبها الله ويرضاها لأنه أمرنا بها , أمرنا بمحبته , أمرنا بالخوف منه , أمرنا بالتوكل عليه , إذاً هذه أعمال يحبها الله ويرضاها , إذاً فهي كلها أيش ؟ عبادات , اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة , إذاً نَعرف العبادة بأمر الله تبارك وتعالى لنا بها في القرآن وفي السنة , نعرف أنها عبادة بماذا ؟ لأنه أمرنا بها في القرآن أو في السنة , بما أنه أمرنا بها فهي عبادة , قربة , طاعة لله سبحانه وتعالى , طاعة لله تبارك وتعالى , الطاعة مع الخضوع والتذلل هذه عبادة , وقال بعض أهل العلم في تعريف العبادة : هي كمال الخضوع والتذلل مع كمال المحبة والتعظيم , كمالُه , أقصاه , الخضوع والتذلل , أنت عندما تكون بين يدي الله تبارك وتعالى ساجدا , تكون في كمال الخضوع والتذلل لله سبحانه وتعالى محبة له وتعظيماً , إذاً أنت في عبادة , هذا معنى كمال الخضوع والتذلل مع كمال المحبة والتعظيم , هذا معنى العبادة , إذاً خلقنا الله تبارك وتعالى لنعبده ,

نعبده بماذا ؟ بما شرع , نطيعه خضوعاً وتذللاً ومحبة وتعظيماً له تبارك وتعالى , فإذا قام في نفوسنا كمال الحب والتعظيم مع كمال الخضوع والتذلل له بطاعته فقد عبدناه , وإذا فعلنا ذلك لغيره فقد أشركنا معه غيره , هذا المعنى الذي يجب أن تفهمه , باختصار , ما أمرك الله تبارك وتعالى في كتابه أو في السنة أن تتعبد له به فهو عبادة , فإذا جعلته لله وحده فقد وحّدته وإذا صرفته لغير الله فقد أشركت به , فقد أشركت معه غيره , هذا معنى العبادة ومعنى التوحيد ومعنى الشرك .

[وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون] : إذاً أراد الله سبحانه وتعالى أن نعبده وأن نعبده وحده , وذلك لأن ابن عباس رضي الله عنه فسّر العبادة هنا بالتوحيد , وقال : [إلا ليعبدون] إلا ليوحّدون , يعني لا أن يعبدوه فقط , بل يعبدوه وحده أيضاً , وألا يعبدوا معه غيره , إذاً خلقَنا الله سبحانه وتعالى كي نعبده , ونعبده وحده وألا نعبد معه غيره , فبذلك يكون قد فسّر لنا المؤلف بذكره لهذه الآية الحكمة التي أرادها الله تبارك وتعالى أن تكون من خلقه للإنس والجن وفسّر لنا التوحيد , وهو أن تعبد الله وحده وألا تعبد معه غيره , نعم.

قال المصنف رحمه الله : " وقوله : [ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت]"

[ولقد بعثنا] : أي أرسلنا، [في كل أمة] : أخرجنا في كل أمة.

الأمّة تطلق في الشرع على معانٍ :

المعنى الأول : الطائفة من الناس _ كما في هذه الآية _ [ولقد بعثنا في كل أمة] يعني في كل طائفة من الناس.

المعنى الثاني : الزمن [وادكّر بعد أمّة] يعني بعد زمن , بعد وقت .

المعنى الثالث : الإمام , كما في قول الله تبارك وتعالى [إن إبراهيم كان أمّة].

والمعنى الرابع : الملة , يعني الدِّين :[إنا وجدنا آباءنا على أمّة] أي على دين.

هذه المعاني التي تأتي الأمّة عليها في كتاب الله تبارك وتعالى , يهمّنا الآن _ هذه فائدة

زائدة _ يهمّنا الآن أن تعرف أن معنى الأمة في هذا الموطن في هذه الآية : الطائفة من الناس , [ولقد بعثنا في كل أمة] يعني أخرجنا في كل طائفة من الناس .
[رسولاً] : الرسول من أوحي إليه بشرع , يعني من أوحى الله تبارك وتعالى إليه بشرع وأمره بتبليغه , من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه , أُمِر بإيصال هذا الشرع لأمّة لطائفة من الناس , هذا هو الرسول , والنبي : من بُعث بشريعة من قبله , هذا هو الصحيح في التفريق بين الرسول والنبي , فالرسول من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه والنبي : من بُعث بشريعة من قبله , والعلماء يعرّفون الرسول ويذكرون الفرق بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عند قول الله تبارك وتعالى :[وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيّته] الآية , فقوله هنا [ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً] يعني أخرجنا وأرسلنا في كل طائفة من الناس , أو لكل طائفة من الناس رسولاً , بماذا أرسل هذا الرسول ؟ يأتيك الآن التفسير , فقال : [أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت] إذاً الرسل كانوا يأتون للناس بدعوة التوحيد , ما هي ؟ قال : [أن اعبدوا الله] هذا أمرٌ من الله تبارك وتعالى بعبادته , كما عرفنا العبادة فيما تقدم , لكن هل اكتفى ؟ لا , قال أيش ؟ [واجتنبوا الطاغوت] إذاً عبادة الله تبارك وتعالى وحدها لا تكفي , يجب أن تعبد الله تبارك وتعالى وأن تترك عبادة غيره , هذا معنى :[واجتنبوا الطاغوت] , الاجتناب أبلغ من الترك , يعني كان بإمكانه أن يقول واتركوا الطاغوت واتركوا عبادة الطواغيت , لأن هنا أتى واجتنبوا أشد بلاغة من الترك , فإن الاجتناب : ترك الشيء وترك الأسباب الموصلة إليه أيضاً , شفت الآن كيف ؟ الاجتناب أبلغ من الترك لأنه تركٌ وزيادة , الاجتناب تركٌ وزيادة , ترك الشيء وزيادة على ذلك أن تترك الأسباب الموصلة إليه , هذا هو معنى الاجتناب , اجتنبوا الطاغوت : يعني اجتنبوا كل ما يعبد من دون الله , من غير الله , قال الإمام مالك :" الطاغوت : كل ما عُبد من دون الله " , اجتنبوه اتركوه , هذا معنى الطاغوت , بعض العلماء يفسّر بجزء من معناه وهو الشيطان , قالوا :

الطاغوت : الشيطان وما زيّنه من عبادة غير الله , كله اتركوه , والإمام مالك كما ذكرنا لكم فسّر الطاغوت بكل ما عبد من دون الله , يعني : اتركوا عبادة كل ما سوى الله سبحانه وتعالى , فالمعنى المراد هنا _ بارك الله فيكم _ هو تحقيق التوحيد بعبادة الله وحده وترك عبادة غيره , هذا المعنى المراد هنا . [ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت] هذه الآية تدلنا على أن دعوة الرسل جميعاً واحدة , دعوة التوحيد , كلهم كانوا يأتون لأقوامهم بهذه الدعوة وهي أصل دعوة الأنبياء [ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً] ماذا يفعلون ؟ إلامَ يدعون ؟ قال :[أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت] لا تعبدوا الله فقط لأنه حتى كفار قريش كانوا يعبدون الله , لكن يعبدون معه غيره , هذه مشكلة , هذه المشكلة , الله سبحانه وتعالى لا يقبل شريكاً أن تعبده وأن معه غيره , لا , يريد أن تعبده وحده وأن تترك عبادة ما سواه , وهذا المعنى الذي دلت هذه الآية هنا , وهو معنى التوحيد وبيان أن هذه الدعوة هي دعوة الرسل جميعاً , هذا الذي أراده المؤلف هنا , أن يبيّن لنا ما أراد الله تبارك وتعالى منا , وهو التوحيد , وأن يبين لنا معنى التوحيد .

ثم قال المصنف رحمه الله : " وقوله :[وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه] "

هذا الشاهد هنا معَنا , [وقضى] : يعني أمر أو وصّى , معنى واحد , وأمر ربك ألا تعبدوا إلا إياه , يعني أن تعبدوه وألا تعبدوا معه غيره [وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه] يعني أمر ألا تعبدوا شيئاً , لا حجر ولا شجر ولا مخلوق , لا ولي ولا شيطان ولا غير ذلك , اتركوا عبادة كل شيء إلا عبادة الله سبحانه وتعالى فقط.

وأمر أيضاً : [وبالوالدين إحساناً] وأمر أيضاً بالإحسان إلى الوالدين , الإحسان إلى الوالدين كيف يكون ؟ ببرّهما وحفظهما وأنت توصل إليهما كل ما تستطيع من خير , وأن تصرف عنهما كل ما تستطيع من سوء , وأن تطيعهما فيما فيه طاعة الله تبارك وتعالى , هكذا يكون برّهما , لا يكون بأن تطيعهما بمعصية الله , لا , هذا ليس برّاً لهما الواجب عليك عندما يأمرانك بمعصية ألا تطيعهما , ولكن أيضاً تقول لهما قولاً هيّناً

ليّناً , [إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما] يعني عندما يكبر بهما السن عادة , عندما الإنسان يكبر في السن - يعني يصبح - قليل الصبر عصبيّ المزاج , فأنت مطلوب منك صبرٌ زائدٌ في هذا الوقت بالذات [إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما] إما واحد : الأب أو الأم أو الأب مع الأم [فلا تقل لهما أفٍّ] أحياناً تكون يعني عندما يبلغان من الكبر مبلغاً يكون عندهم طلبات زائدة , عندهم يعني يكون فيهم شيء من الأقوال الشديدة التي تنفّر الابن وتزعجه , فالله سبحانه وتعالى أمرك في هذا الموطن بالذات في هذا الوقت بالذات ألا تقل لهما أفّ , لا تتضجّر منهما في وجههما [فلا تقل لهما أف] فلا تُسمعهما قولاً سيئاً حتى التأفّف (أف) لا يجوز لك أن تقوله لهما , لما قدّماه لك فيما مضى , [ولا تنهرهما] لا يصدر منك إليهما فعل قبيح (نهر) , اجلس , لا تقم , لا تقل كذا , هذا النهر , بهذه الطريقة , لا تخاطبهما بهذا الأسلوب [وقل لهما قولاً كريماً] : نهاه عن الإساءة وأمره بالإحسان [وقل لهما قولاً كريماً] قولاً طيّباً [واخفض لهما جناح الذل من الرحمة] يعني كن رحيماً لهما , تواضع , كن رحيماً بهما , وتواضع لهما [وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً] شوف أيش السبب ؟ ادع لهما بالرحمة مقابل تربيتهما لك , وسهرهما عليك وتعبهما من أجلك , الشاهد قوه تبارك وتعالى : [وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه] هذا معنى التوحيد , أمرك الله بالتوحيد , أن تعبده وحده وأن تترك عبادة ما سواه .

قال المصنف رحمه الله تعالى :" وقوله :[واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً]":

الآيات التي يأتي بها المصنف كلها بمعنى واحد , معنى التوحيد , تفسير التوحيد , إذا قال لك شخص : فسّر لي التوحيد فاذكر له هذه الآيات : [وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون] , [ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت] , [وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه] , [واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً] هذا معنى التوحيد , أمرٌ من الله بعبادته , [واعبدوا الله] هذا أمر , فأمَرَ الله بعبادته وليس

هذا فحسب , التوحيد لا يكون بهذا فحسب , لا , ولكن لا بدّ من الجزء الثاني [ولا تشركوا به شيئاً] أيش معنى الشرك به ؟ يعني أن تجعل معه شريكاً في عبادتك , فأن تعبده وأن تعبد غيره , جعلت له شريكاً في عبادتك , إذا سجدت له وسجدت لغيره فقد عبدت معه غيره , إذا ذبحت له وذبحت لغيره قربة فقد عبدت معه غيره , وهذه الشرا كة , تجعل له شريكاً في عبادتك هي التي حرمها الله عليك ولم يردها منك ونهاك عنها , ما معنى أن تجعل لله شريكاً ؟ يعني : أن تعبد آخرَ معه , " سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك " ند : مثيل , مساوٍ له في عبادتك , فإذا عبدت غيره معه قد جعلت هذا الغير مساوياً لله في عبادتك , وهو خلقك : يعني الذي يستحق منك العبادة مَن ؟ هو الذي خلقك , أنعم الله عليك بأنواع النعم , خلقك رزقك أكرمك رحمك , ثم تذهب وتعبد غيره , ما يجوز هذا , كما أنه هو الذي خلقك إذاً فهو الذي يستحق منك العبادة , طيب : هل هناك غيره من خلقك ؟ لا يوجد , إذاً فلا يستحق أحد أن تعبده مع الله سبحانه وتعالى , هذا معنى الكلام وهذا معنى التوحيد , أن تعبد الله وحده وألا تعبد معه غيره .

قال المصنف رحمه الله تعالى :" وقوله :[قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً] " : هذا الشاهد من الآية : قل يا محمد تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم , تعالوا أذكر لكم ما حرم الله سبحانه وتعالى عليكم , يعني : ما أمركم الله باجتنابه ما هو ؟ ألا تشركوا به شيئاً , هنا في تقدير عندنا في الكلام , يعني : وصاكم ألا تشركوا به شيئاً , إذاً حرم علينا الشرك , ما هو الشرك ؟ أن تعبد مع الله غيره فقد أشركت به , أن تجعل لله نداً وهو خلقك , كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم , لا تجعل لله مثيلاً في أي شيء يختص الله سبحانه وتعالى به ومن ذلك عبادتك له [ألا تشركوا به شيئاً] أي شيء , حجر شجر ملك نبي جن إنس كل شيء , ما يرضى , لا يرضى الله سبحانه وتعالى شريكاً أبداً من أي نوع . [وبالوالدين إحساناً] : فسرنا ذلك , نفس المعنى

الذي تقدّم . [ولا تقتلوا أولادكم من إملاق] : الإملاق هو الفقر , كانوا قديماً في الجاهلية إذا كان الشخص عنده قلة ذات يد , فقير ما عنده ما ينفق على أبنائه , دفن ابنه حياً في التراب وقتله لكي يتخلّص منه , ما عنده ما ينفق عليه , فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك [ولا تقتلوا أولادكم من إملاق] : من فقر [نحن نرزقكم وإياهم] : تكفل الله سبحانه وتعالى برزق كل عبد , كل عبد سيأخذ ما كتب الله له من الرزق [ولا تقربوا الفواحش] : الفواحش التي هي المعاصي , فهذا نهي من الله تبارك وتعالى عن إتيان المعاصي , أي معصية , بما أنه ثبت في الكتاب والسنة أنها معصية فهي من الفواحش , [ما ظهر منها وما بطن] : هذا يشمل جميع المعاصي . [ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق] : نفس المسلم محرمة , لا يجوز قتلها إلا بالحق وكذلك نفس المعاهد الذمي , هؤلاء كلها نفوس محرمة حرمها الله سبحانه وتعالى [إلا بالحق] : من ذلك الحق : " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث " من هذا الحق " الثيب الزاني " الثيب : يعني المتزوج أو المتزوجة إذا زنى يقتل رجماً , حده في الشرع , " والنفس بالنفس " القاتل يقتل , " والتارك لدينه المفارق للجماعة " المرتد , المرتد يقتل , فحد المرتد القتل إذا لم يتب , يستتاب فإن لم يتب يقتل , إذاً لا يجوز قتل النفس إلا بالحق , بما شرع الله سبحانه وتعالى وبما أذِن به , [ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون] : يعني : ما تقدم هذا أمركم به أمراً مؤكداً [لعلكم تعقلون] يعني : أوصانا بهذه لنعقلها , لنفهمها ونعمل بها [ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن] يعني لا تأخذوا من مال اليتيم إلا بما أجاز لنا ربنا تبارك وتعالى , اليتيم : هو من مات أبوه ولم يبلغ , يعني : من ماتت أمه هذا لا يسمى يتيماً , يسمى يتيماً عندما يموت أبوه فقط ولم يصل إلى سن البلوغ , إذا بلغ لا يسمى يتيماً , إذاً لا بد أن يموت أبوه وأن يكون دون سن البلوغ كي يسمى يتيماً , هذا إذا كان له مال , فيوصينا الله سبحانه وتعالى بماله خيراً أن نصونه وأن نحفظه وألا نمسّه إلا بما شرع الله سبحانه وتعالى لنا وأجاز , [إلا بالتي هي

أحسن حتى يبلغ أشده] يبقى ماله عندنا ولا نمسه إلا بما شرع الله إلى أن يبلغ الولد اليتيم أشدّه , يعني : الرشد وزوال السفه , يعني : مع البلوغ يكون عاقلاً قادراً أن يتصرف بماله , عندئذ نعطيه ماله , إذا بلغ ولم يكن عاقلاً لا نعطيه , إذا كان عاقلاً ولم يبلغ لا يعطى حتى يبلغ ويزول عنه السفه , ويصبح رشيداً عاقلاً , عندئذ يعطى هذا المال [وأوفوا الكيل والميزان بالقسط] يعني : اعدلوا في الأخذ والإعطاء والبيع والشراء , [لا نكلف نفساً إلا وسعها] : هذا من رحمة الله تبارك وتعالى بنا أن الله سبحانه وتعالى ما كلفنا إلا بما نطيق وما نقدر عليه , [وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى] هذا أمر بالعدل في القول وفي الفعل عالقريب والبعيد , فالواجب هو العدل , والواجب شهادة الحق عالقريب والبعيد [وبعهد الله أوفوا] يعني : وصية الله سبحانه وتعالى التي وصاكم بها أوفوا بها , يعني : اعملوا بها والتزموا بها , [ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون] [وأن هذا صراطي مستقيماً] هذه شريعة الله ودينه الذي أمركم به وهو طريق الله المستقيم , [صراطي] : الصراط هو الطريق , طريق مستقيم لا اعوجاج فيه , [فاتبعوه] هذه شريعة الله تبارك وتعالى أوجب الله عليكم اتباعها , وطريق الحق واحد , يبين لنا هذا , طريق الحق واحد , هنا النبي صلى الله عليه وسلم خطّ خطاً مستقيماً ثم خط على جانبيه خطوطاً ثم قال : " على كل خط من هذه الخطوط ـ التي على جانبيه ـ شيطان يدعو إليه , وهذا طريق الله المستقيم , واقرؤوا إن شئتم : [وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله] إذاً : اتبعوا طريق الحق ولا تتبعوا طرق الضلال [فتفرّق بكم عن سبيله] يعني : تضيعكم عن طريق الحق , فطريق الحق واحد وطرق الضلال كثير , طريق الحق هو ما كان عليه الصحابة [وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ] ديننا دين اتباع , نمشي خلف من قبلنا , من قبلنا من هم ؟ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه , لا تخترع , لا تبتدع , لا تبتكر , ما في شيء في ديننا من اختراعاتك وابتكاراتك الحديثة , لا تغترّ بعقلك , اتبع بس , هذا المطلوب منك ,

الحمد لله , السلف قد بينوا لنا كل شيء , كل شيء قد بُيّن لنا وما تركونا إلا دين صافٍ نقي واضح وضوح الشمس , بس نحن علينا أن نقرأ كلامهم وأن نفهم وأن نبلغ بس , نجمع , نحن كلامنا الذي نعطيكم إياه الآن كله جمع من كلام العلماء , ليس من عندنا شيء , لسنا أهلاً لأن نجتهد الآن , نحن أهلٌ فقط لأن نبلغ , فنحن نحمل كلام العلماء ونبغلكم إياه , هذا ديننا دين اتباع , مازال السلف رضي الله عنهم أئمتهم ينقل بعضهم عن بعض , الإمام أحمد يقول : " لا تقل بقول ليس لك فيه إمام " هذا ديننا , دين اتباع , وليس دين ابتداع , افهموها جيداً هذه , كلمة ابن مسعود رضي الله عنه :" اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم " خلاص كفاكم السلف بيان كل شيء , إيضاح كل شيء , ما عليكم إلا أن تأخذوا وأن تعملوا وأن تبلغوا بس , فدين الله دين اتباع , منهجنا منهج واحد هو المنهج الحق , ما في عدة مناهج حق وطرق كثيرة توصلك إلى الله , لا , الطريق الذي يوصلك إلى الله هو طريق واحد وهو الطريق الذي سلكه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم [وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ] هؤلاء قد اتبعوا طريقاً وصلوا به إلى ماذا ؟ إلى مرضاة الله وإلى الجنة فنحن طريقنا خلفهم , فمن أراد النجاة فليلزم الاتباع ويترك الابتداع , لا يعمِل فكره وعقله في دين الله سبحانه وتعالى , اتركك من هذا , ابق فقط متبعاً لأئمة الإسلام , إذا وجدت لك سلفاً في مسألة فقل بها وإذا سكتوا عن شيء فاسكت عنه , بس , هذا هو ديننا , وهذا منهجنا , [ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون] لعلكم تصلون إلى تقوى الله سبحانه وتعالى بالأخذ بشريعته وأن تمشوا على ما أمركم به ثم قال المؤلف رحمه الله : " قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- التي عليها خاتمُه فليقرأ قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} إلى قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ} الآية " هذا الأثر ذكره من كلام ابن مسعود ثم ذكر الآيات التي تقدمت : [قل تعالوا أتل ما

حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً] وهذا الشاهد : [ألا تشركوا به شيئاً] هذا الأثر الذي ذكره عن ابن مسعود أراد أن يبين من قوله : من أراد أن ينظر إلى وصية محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- التي عليها خاتَمُه , من قوله : وصية محمد صلى الله عليه وسلم : يعني وصيته قبل موته ممّا يدل على أنهنّ آيات ثابتات غير منسوخات , هذا ما أراده من ذكر هذا الأثر , وهو تأكيد لما تقدّم , لكن هذا الأثر ضعيف لا يصحّ , لا نعتمد عليه , نعتمد على ما تقدّم مِن شرحٍ وهو كافٍ الحمد لله , هذا الأثر في سنده داود الأودي مُختَلَفٌ فيه : هل هو داود بن عبد الله الأودي الثقة ؟ أم هو داود بن يزيد الأودي الضعيف ؟ هما اثنان , داود بن عبد الله الأودي وداود بن يزيد الأودي , جاء في الإسناد داود الأودي , أيهما ؟ أحدهما ثقة والثاني ضعيف فلَم نعرف , فلهذا توقفنا في هذا الخبر , فلا يُصَحَّحُ هذا الخبر ويبقى ضعيفاً نظراً لأننا لم نعرف داود هذا الذي روى الأثر أهو الثقة أم الضعيف ؟

ثم قال المصنف رحمه الله : " وعن معاذ بن جبل قال: كنت رديف النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على حمار ـ يعني كنت أجلس خلف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حمار ـ فقال لي: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ " قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً" قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا" أخرجاه في الصحيحين "

هنا معاذ كان خلف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحمار فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلّمه علماً فقال , فأتاه بصيغة السؤال لأن هذا يعني يثير الانتباه والاهتمام , فقال : يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ , إذاً تبين من هذا أن للعباد حقٌّ على الله وأن لله حقاً على العباد , من هذا السؤال , لكن معاذ قال : الله ورسوله أعلم , لأنه لا يدري , الله ورسوله أعلم , هذه يصح أن تقولها في المسائل الشرعية لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان عالماً بالشريعة التي آتاه الله

سبحانه وتعالى كلَّها , لكن , أمورٌ غيبيّةٌ لا يصحّ أن تقول : الله ورسوله أعلم , فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم من الغيب إلا ما علّمه الله سبحانه وتعالى , إذاً أمرٌ من الشرع , نعم , تقول الله ورسوله أعلم , لا بأس , لكن أمر من غير الشرع وأمر غيبي فهنا تقول : الله أعلم فقط . قال :" حق الله على العباد " : الآن حق الله على العباد , يعني ما الذي يجب على العباد لله سبحانه وتعالى , حقٌّ ثابت , قال :" أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً " وهذا الشاهد عندنا , تفسير التوحيد , أن يعبدوا الله وحده ولا يعبدوا معه غيره , هذا معناه , عبادة الله فسّرناها والشرك قد فسّرناه . قال :" وحق العباد على الله " : هل هناك أحد يجعل على الله حقاً ؟ لا , لكن هو يجعل على نفسه حقاً , ما في بأس , إذاً , هذا حقٌّ للعباد جعله الله على نفسه , لا محذور في هذا أبداً , لا يوجد أحد يُلزم الله سبحانه وتعالى بشيء ويجعل حقاً عليه أبداً , لكن الله سبحانه وتعالى يجعل حقاً على نفسه , هذا جائز , ما في بأس , حق العباد على الله الذي جعله الله على نفسه إذا هم وحّدوه , ماذا لهم من حق ؟ قال : ألا يعذّب من لا يشرك به شيئاً , هذا حقّهم , فمن مات على التوحيد لا يعذبه الله سبحانه وتعالى , من مات على التوحيد محقّقاً للتوحيد حق التحقيق هذا لا يعذبه الله سبحانه وتعالى , إذاً هذه من فضيلة تحقيق التوحيد وترك الشرك ألا يعذبك الله سبحانه وتعالى . " قلت : يا رسول الله , أفلا أبشّر الناس " بهذه البشرى , وهذا فيه استحباب أن تبشّر أهل الخير بالخير , وأن تبشر الناس بالخير , قال :" لا تبشرهم فيتّكلوا " يعني ربما يفهم بعض الناس من هذا أنه يعتمد على توحيده ويترك العمل , فيتركون التنافس في الأعمال , وهذا فهمٌ خاطئ , لذلك خشية أن يفهم هذا بعض الناس خطأً وأن يترك العمل قال له : " لا تبشرهم فيتّكلوا " , لكن معاذاً كان يخبر به تأثّماً وأخبر بهذا الحديث تأثماً أن يكون قد كتم العلم , لذلك أخبر بهذا الحديث , الشاهد من ذلك قوله : " أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً " هذا هو تفسير التوحيد , ثم قال :" أخرجاه في الصحيحين " يعني أخرجه البخاري ومسلم وهما أصح كتابين بعد كتاب الله

تبارك وتعالى وكل ما في صحيح البخاري صحيح وكل ما في صحيح مسلم صحيح ماعدا أحاديث قليلة حصل فيها خلاف بين العلماء , وإلا أكثر الأحاديث التي فيهما قد أجمع العلماء على صحة ما فيهما , وهذا الحديث مما فيهما , وقد اتفق العلماء على صحته فهو حديث صحيح , وبهذا نكون قد فسرنا التوحيد وفهمنا معناه وأكملنا بدايته والله الموفّق والحمد لله رب العالمين , والدرس القادم نكمل إن شاء الله.

قام بتفريغ هذه المادة الصوتية إخوانكم في معهد البصرة العلمي . جزاهم الله خيرا

الدرس رقم 02

تفريغ الدرس الثاني :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله, أما بعد : كنا قد بدأنا في الدرس الماضي بشرح كتاب التوحيد , وبدأ المؤلف رحمه الله بتفسير التوحيد , فعرفنا في الدرس الماضي ما هو التوحيد وما هو الشرك . التوحيد باختصار هو إفراد الله تبارك وتعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات , فهو أنواع ثلاث :

توحيد الربوبية : وهو إفراد الله تبارك وتعالى بالخلق والملك والتدبير , يعني إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعاله الخاصة به.

توحيد الألوهية : هو إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة , بمعنى أننا لا نتعبد لأحد إلا لله تبارك وتعالى , فلا نتقرب لأحد إلا لله تبارك وتعالى , وما ثبت أنه عبادة في الكتاب أو في السنة فلا يجوز صرفه لغير الله , كالصلاة والصيام والذبح والنذر , وسيأتي إن شاء الله تفصيله.

توحيد الأسماء والصفات : أن نثبت لله ما أثبت لنفسه من أسماء وصفات وأن ننفي عنه ما نفى عن نفسه , وأن نسكت عما سكت.

ولكل واحد من هذه الأنواع تفصيل.

وأما الشرك فهو أن تجعل لله نداً وهو خلقك , يعني أن تجعل لله مثيلاً , فإذا عبدت غيره معه فقد جعلت هذا الغير مثيلاً لله تبارك وتعالى , إذا اعتقدت أنه يخلق مع الله سبحانه وتعالى فقد جعلته نداًّ لله , جعلته شريكاً مع الله في الخلق , وهكذا , هذا معنى التوحيد ومعنى الشرك . اليوم معنا الباب الأول :

قال المؤلف رحمه الله :" باب بيان فضل التوحيد وما يكفّر من الذنوب " :

هذا الباب معقود لبيان فضل التوحيد.

الباب في اللغة : هو ما يُدخَل ويُخرَج منه.

وفي الاصطلاح : ما يجمع أنواعاً مختصّة من العلم هي أخصّ من موضوع الكتاب العام، هذا بالمعنى , فالباب هو فصلٌ من فصول الكتاب , هنا عندنا : باب بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب , يعني هذا الفصل الذي معنا اليوم , سنتحدّث فيه عن فضل التوحيد , فضل التوحيد : يعني ميّزة التوحيد (الخير الذي تحصل عليه من وراء تحقيق التوحيد) , فضل التوحيد : إذا حقّقت التوحيد ما هي الخيرات التي تحصل عليها ؟ هذا معنى فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب , يعني هذا الباب معقود لبيان فضل التوحيد ولبيان ما يكفّره من الذنوب, " باب بيان فضل التوحيد وما يكفّره من الذنوب " فيبيّن لنا هذا الباب فضل التوحيد ويبيّن لنا ما يكفّره من الذنوب , يعني أن التوحيد يكفّر الذنوب , طيب , تكفير التوحيد للذنوب هذه فضيلة وفضل له , طيب , لماذا ما قال : باب فضل التوحيد وخلاص , وتكلم بعد ذلك عن تكفير الذنوب ؟ قالوا : لأن تكفير الذنوب هي أعظم فضيلة للتوحيد , فلذلك خصّها بالذكر, فعطفها على فضل التوحيد , هذا هو السبب , فتكفير الذنوب هي من فضائل التوحيد , وفضائله كثيرة , ولو لم يكن للتوحيد فضيلة إلا أنه ينجيك من النار وتخلّد به في الجنة , لكفت , ولو لم يكن في الشرك الذي هو ضده إلا أنه يخلدك في نار جهنم ويحرمك من دخول الجنة لكفى . لماذا المؤلف بدأ بفضل التوحيد بعدما عرّف لنا التوحيد ؟ بدأ بفضل التوحيد بعد تعريفه ليرغّب فيه ويحثّ عليه لأن معرفته أو معرفة فضله تجعل النفوس ترغب به وتتعلّق به وتشتاق إليه , فلذلك يذكر لنا الفضائل كي يرغّبنا بالتوحيد.

قال المؤلف رحمه الله :" وقول الله تعالى : [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ] "

[الذين آمنوا] : يعني المؤمنين خاصة , والمؤمنون المقصودة هنا هم أهل الإسلام لا غير.

[الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ] [وَلَمْ يَلْبِسُوا

إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ] أي ولم يخلطوا إيمانهم بظلم , اللَبس هو الخلط , بظلم : يعني بشرك كما سيأتي إن شاء الله , ما يدل على هذا التفسير بأن الظلم أنواع :

ظلم النفس : يعني يظلم المرء نفسه بالمعاصي والذنوب , يعمل المعاصي والذنوب فيظلم نفسه .

ظلم الغير : يضرب الغير بغير وجه حق , يأخذ ماله , يسفك دمه , هذا ظلم للغير .

والظلم الثالث هو المقصود : هو ظلم الشرك , الشرك ظلم فالظلم وضع الشيء في غير موضعه , والشرك : أن تعبد غير الله سبحانه وتعالى , هذا شرك , فوضعك للعبادة في غير محلّها هذا ظلم , فإذاً الشرك ظلم , وهو المقصود هنا , وليس المقصود الأول ولا الثاني .

من أين قلنا هو المقصود هنا ؟ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت : [الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ...] قلنا : يا رسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه , قال : ليس كما تقولون - هم الآن عندما فهموا الآية فهموها على عمومها ومن ضمن الظلم الذي فهموه هنا : ظلم المرء نفسه , فنفى النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى - قال : ليس كما تقولون - أي ليس معنى الظلم هنا ما ذهبتم إليه - [لم يلبسوا إيمانهم بظلم] بشركٍ , ففسّر الظلم هنا بالشرك , فهذا اللفظ لفظ عام ولكن المراد به الخصوص (خصوص الشرك) قال النبي صلى الله عليه وسلم : أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه :[يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم] إذاً الشرك ظلم , وظلمٌ عظيمٌ لذلك فسّرنا الظلم هنا بالشرك لأنه جاء في الحديث , خلاص , بعد الحديث ما في قول , [أولئك] : يعني : الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم , فهذا الاسم , اسم الإشارة يرجع إلى المذكورين , [لهم الأمن وهم مهتدون] إذاً الأمن لمن ؟ لمن آمن ولم يلبس إيمانه بشرك , [لهم الأمن وهم مهتدون] فلهم الأمن ولهم الهداية , قال ابن كثير رحمه الله تعالى : " هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده ولم يشركوا به شيئاً وهم المسلمون الإسلام العام , بالمعنى العام , الذين أخلصوا العبادة لله وحده , أخلصوا

العبادة لله , يعني جعلوا عبادتهم لله فقط , ولم يعبدوا معه غيره , وحده لا ثاني معه , ولم يشركوا به شيئاً , أي شيء , لا حجر ولا شجر ولا إنس ولا جن ولا ملك ولا شيء , ما عبدوا مع الله غيره , أولئك هم الآمنون يوم القيامة _ الكلام لابن كثير _ الآمنون يوم القيامة , آمنون من الخوف يوم القيامة لما حققوا أمنوا عند الله تبارك وتعالى ولا يخافون , المهتدون في الدنيا والآخرة , مهتدون في الدنيا : يهديهم الله سبحانه وتعالى في الدنيا , يهديهم إلى العلم النافع , علم الشرع الذي ينفعه وللعمل أيضاً , العمل الصالح , فالهداية المقصودة هنا هداية التوفيق وهداية البيان , فالهداية في الشرع حفظكم الله تنقسم إلى قسمين : هداية توفيق وهداية بيان , إحداهما نفاها الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم فهي خاصة بالله , والثانية أثبتها لنبيه صلى الله عليه وسلم فقال جل في علاه :[إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء] , تمام ؟ نفى عنه الهداية هنا , والمنفية هنا هداية التوفيق , التوفيق بيد الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء والهداية المثبتة للنبي صلى الله عليه وسلم قال :[إنك لتهدي إلى صراط مستقيم] يعني : ترشد الناس إلى طريق الحق , هداية الإرشاد وهداية التوفيق , هداية الإرشاد والبيان : تبيّن لك الحق ترشدك إلى طريق الحق , هذه الهداية المثبتة للنبي صلى الله عليه وسلم , الهداية المنفية هي هداية التوفيق : هذه بيد الله وخاصّةٌ بالله , الله سبحانه وتعالى يوفّق من يشاء ويضل من يشاء , هذه خاصّة بالله لذلك نفاها عن نبيّه صلى الله عليه وسلم فالهداية هدايتان , والمؤمنون يعطيهم الله سبحانه وتعالى الهدايتين هنا فيهديهم طريق الحق ربنا تبارك وتعالى ويبيّن لهم طريق الرشاد , ويوفّقهم إلى العمل بطاعته تبارك وتعالى , فهم مهتدون في الدنيا , هذا معنى هداية الدنيا , ومهتدون في الآخرة , يهديهم الله تبارك وتعالى إلى الجنة فيفوزون بالجنة , هذا معنى ما ذُكِر في هذا الموطن , إذاً الذين آمنوا , أهل الإيمان خاصة , ولم يلبسوا إيمانهم بظلم , هذا شرط , يؤمن , يحقق التوحيد , يخلص فيه , ولا يشرك مع الله أحداً , [ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون] : هل لهم الأمن التام ؟ أم

لهم أصل الأمن ؟ هنا إذا حققوا التوحيد تحقيقاً تامّاً فلهم الأمن التامّ , وإذا أتوا بأصل التوحيد ووقعوا في الذنوب والمعاصي فهؤلاء أمرُهم إلى الله , ربّما يعذبهم وربما يعفوا عنهم , فهؤلاء لهم الأمن على قدر ما حققوا من توحيد , وكذلك يُقال في الهداية , الشاهد أن فضيلة التوحيد هنا : من حققه فله الأمن والهداية بالمعنى الذي وصفنا , فهذه فضيلة عظيمة , وخلاصة القول : أن الفضيلة التي أراد أن يبيّنها المؤلف هنا , فضيلة التوحيد , أن الموحد له الأمن يوم القيامة , فلا يخاف من عذاب الله تبارك وتعالى , وله الهداية في الدنيا والآخرة , فهو ينعم بنعمة الأمن ونعمة الهداية , نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهله.

ثم قال المؤلف رحمه الله : " وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» . أخرجاه. " عن عبادة بن الصامت الخزرجي أبو الوليد صحابيّ مات بالرملة في فلسطين , مدينة كبيرة في فلسطين , كانت عاصمة فلسطين لأربعة قرون في عهد الدولة الأموية , قال رحمه الله :" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له " من شهد أن لا إله إلا الله . ما معنى شهادة أن لا إله إلا الله ؟ الشهادة _ بارك الله فيكم _ هي إقرار باللسان عما يصدّقه القلب ويؤمن به , عندما تذهب أنت وتشهد أمام القاضي , يشهّدك على ماذا ؟ تشهد على أمرٍ رأيتَه وأنت موقن به تعتقده , هذا معنى الشهادة , الشهادة إقرار باللسان بما يُكِنُّه القلب , فعندما تقول : أشهد أن لا إله إلا الله أنت تقرّ وتعترف بهذه الكلمة وتؤمن بها , " أن لا إله إلا الله " : لا إله: يعني لا معبود , الإله هو المعبود , لا معبود بحقٍّ إلا الله , هنا لا إله إلا الله , لا نريد أن ندخلكم في قضايا الإعراب , لا : اسمها إله وتحتاج إلى خبر , فلا بدّ من تقديرٍ هنا , باختصار , الذي فهم هذا فهم , ما فهم ما في مشكلة إن شاء الله , ما نريد أن

ندخلكم في هذه القضايا , لكن المهم : لا بد من تقدير ها هنا , فماذا نقدّر ؟ نقدّر : لا إله حق , لماذا قدّرنا هذه ؟ لقول الله تبارك وتعالى :[ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ] إذاً معنى لا إله إلا الله : لا معبود حقٌّ إلا الله , لا يصح أن تقول لا معبود إلا الله فقط , لأن المعبودات كثر , لكن المعبود بحق الذي عُبد ويستحق أن يُعبد هو الله سبحانه وتعالى وحده لذلك نقدّر هنا : لا معبود حقٌّ إلا الله سبحانه وتعالى , إذاً هنا عندما تقول : أشهد أن لا إله إلا الله تقول : أُقرّ بلساني وأعترف بما أؤمن به وأعتقده من أنه لا معبود بحق إلا الله , " وحده " : هذه تأكيد للإثبات أن الله هو المعبود , " لا شريك له " : تأكيد للنفي بأنه لا يُعبد إلا الله سبحانه وتعالى , لا إله إلا الله وحده لا شريك له : هذا هو معنى لا إله إلا الله , فمن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له , " وأن محمداً عبده ورسوله ": أيضاً يقرّ ويعترف بأن محمد بن عبد الله الهاشمي عبدٌ لله تبارك وتعالى ورسول له , لماذا قال :" عبده ورسوله "؟ لماذا لم يقل رسوله واكتفى ؟ أو قال عبده واكتفى ؟ هذا نفي للإفراط والتفريط , بعض الناس يُفرِط : يغلو يتجاوز الحد في النبي صلى الله عليه وسلم فيعطيه أكبر من مكانته ويعبده مع الله سبحانه وتعالى , وهذا مذموم , لذلك قال : عندما تشهد بأنه عبد لله تنفي عنه العبادة , فلا تعبدُه لأنه عبدٌ لله تبارك وتعالى , وبعض الناس يفرّط فيكفر به ولا يؤمن به لذلك أنت تقول : عبده ورسوله , تؤمن به وتخالف هذا المفرّط فأنت بذلك تكون معتدلاً نفيتَ الإفراط والتفريط , شهدت أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسولٌ لله تبارك وتعالى وهو بشرٌ , عبدٌ خاضع متذلل لله تبارك وتعالى , هذا نفيٌ للإفراط وللتفريط , " وأن عيسى عبد الله ورسوله ": يشهد بهذا أيضاً , في الأول كان الردّ على المشركين وفي الثاني ها هنا الرد على اليهود والنصارى , فأنت تتبرأ من دين هؤلاء كلهم عندما تشهد بهذه الشهادة , " وأن عيسى " : المقصود عيسى بن مريم عليه السلام , نبيّ الله تبارك وتعالى , تشهد أيضاً بأنه عبدٌ لله خلافاً لمن ؟ خلافاً لمن غلا فيه وأفرط ممن ؟ من النصارى الذين قالوا : هو ابن

الله وهو ثالث ثلاثة , فأنت نفيت هذا بقولك وأن عيسى عبد الله , وهو أيضاً رسولهم , هذا رد على من ؟ ردٌّ على من فرّطوا , وهم اليهود كفروا به وقالوا : هو ابن زنا , عياذاً بالله من قولهم , فأنت هنا تؤمن به وتصدّق بأنه رسول من عند الله تبارك وتعالى وردّاً على اليهود , وتؤمن بأنه عبدٌ لله تبارك وتعالى : ردٌّ على النصارى , وفي البداية شهدتَ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ردّاً على المشركين , " وكلمته ألقاها إلى مريم " : ما هي كلمة الله ؟ (كن) قال له : كن فكان , " ألقاها إلى مريم " : لأن عيسى عليه السلام لا أب له , إنما أتى بكلمة من الله : كن فكان , " وروحٌ منه " : يلبّس بعض الكفرة على المسلمين في بلاد الغرب بهذا , وأنت متقولون في قرآنكم وفي سنة نبيّكم بأن عيسى روحٌ من الله إذاً فهو جزء من الله , فهو ابنه , فهو ابنه , هذا كذبٌ وهذا من التعلّق بالمتشابهات وترك المحكمات , عندنا آيات محكمات تدل على أن عيسى مخلوق من تراب , [إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ , الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ] لماذا نترك هذه الآية الصريحة ونأتي إلى آية مشتبهة ؟ متشابهة ؟ لأنه الهوى , نعوذ بالله , عندما تقول , نأتي إلى المعنى اللغوي الآن , عندما تقول : يدي قطعة مني , هنا (من) ماذا ؟ تبعيضية , أي : يدي جزء مني , هذه واحدة , وعندما تقول لشخص : هذا دينار مني تمام ؟ هذا دينار مني , هل الدينار جزء مني ؟ لا إذاً لا يصح أن تقول (من) هنا تبعيضية ولكنها بدائية , بداية الغاية بدأت من عندي , خرجت مني وهذا المعنى هو المقصود هنا " وروح من الله " : أي خلقٌ من خلقه تبارك وتعالى , طيب , لو قال لك قائل : فكلُّ الأرواح من الله فلماذا خص عيسى ؟ خصّ عيسى تكريماً له ولأنه لا أب له , نخصّه بهذا كما خصّ البيت , قال : بيت الله , وكما خصّ الناقة : ناقة الله , " والجنة حقٌّ , والنار حقٌّ " : لا بد أن تشهد أن الجنة حقٌّ , والحق ضد الباطل , فهو بمعنى الثابت , أي الجنة مخلوقة , موجودة , ولا شك فيها , والنار كذلك . والنار حقٌّ ثابتة , موجودة , وأنت إذا آمنت بالجنة والنار فقد آمنت بماذا ؟

بيوم القيامة , الذي كفر به المشركون , فيدفعك ذلك إيمانك باليوم الآخر إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى وإلى العمل بما أمرك الله سبحانه وتعالى , " أدخله الله _ من فعل هذا كلّه _ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " يعني لا بدَّ له من دخول الجنة (من شهد بهذه الشهادة التي ذُكرت) , من قصّر وارتكب الذنوب والمعاصي يُعذّب على قدرها ثم يدخل الجنة , فلا بدّ له من دخول الجنة , إن شاء الله أن يعاقبه , ومن لم يقصّر دخل الجنة مباشرة , هذا قولٌ من أقوال أهل العلم في تفسير هذا المعنى للحديث , والبعض قال : أدخله الله الجنة على ما كان من العمل , يعني يدخله الجنة ثم يكون مرتبته في الجنة , على حسب عمله , لأن مراتب الجنة متفاوتة , فهي مئة درجة , فكل شخص يكون في الدرجة التي تناسب عمله , " أخرجاه في الصحيحين ": الشاهد : فضيلة التوحيد , هي ماذا ؟ أن يدخلك الله الجنة على ما كان من العمل , " أخرجاه في الصحيحين " يعني أخرجه البخاري وأخرجه مسلم.

قال المؤلف رحمه الله : " ولهما في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» ." ولهما : يعني للبخاري ومسلم , " في حديث عتبان " هو عتبان بن مالك الأنصاري , صحابي , يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " فإن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله , يبتغي بذلك وجه الله " حديث طويل , هذا جزءٌ منه , وهو المراد , فأراد المؤلف أن يبيّن هنا فضيلة التوحيد , وأن من حقق التوحيد حرم الله عليه النار , وهذه فضيلة عظيمة , لكن , لا يحصل على هذه الفضيلة إلا من حقق التوحيد بحق , لا يكفي منه أن يقول : لا إله إلا الله بلسانه فقط , لا , لا بد مع ذلك من العلم بمعناها , لا بد من العلم بمعناها [إلا من شهد بالحق وهم يعلمون] إذاً , لا بد من العلم , أما إذا لم تعلم معناها , فلا تنفعك شيئاً , وتكون كذاك الرجل الذي يأتيه الملكان في قبره , فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ وماذا تقول في هذا النبي الذي بعث فيكم ؟ فيقول : ها ..ها .. لا أدري , سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته , ما نفعه شيء , سمع الناس يرددون

كلاماً فردده خلفهم , والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : " من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة " الحديث في صحيح مسلم , إذاً لا بد من العلم بمعناها , وأن تعمل بمقتضاها , ليس فقط العلم بمعناها , تصدق بها , تؤمن بذلك , أن العبادة يستحقها الله ولا يستحقها غيره , فلا تشرك معه غيره , وتخضع وتتعبد لله تبارك وتعالى , هذا معنى العمل بمقتضاها , تؤمن بذلك وتعمل به , عندئذٍ تكون نافعة لك , وإلا لا تكون نافعة بمجرّد أن تتلفّظ بالكلام هكذا , دون أن تعرف معناه , أو دون أن تعمل به , أو أن تؤمن به , أبداً , قوله هنا :" يبتغي بذلك وجه الله " فيه ردٌّ على المرجئة الذين لا يشترطون مع قولك لا إله إلا الله شيئاً فهنا , فيه عندنا أمرٌ زائدٌ , قال :" يبتغي بذلك وجه الله " , يعني يقولها مخلصاً بها , مؤمناً بها , وفي رواية أخرى لحديثٍ آخر قال : " خالصاً من قلبه " يقولها , إذا قالها خالصاً من قلبه دفعته إلى العمل ولا بد , وكذلك في رواية أخرى :" غير شاكٍّ فيها " موقن , مصدق , موقن , صادق في قولها , هذا الذي ينفعك من قول لا إله إلا الله , إذاً الشاهد من هذا الحديث : أن من قال كلمة " لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله " أنه يحرّمه الله سبحانه وتعالى على النار , عندنا إشكال , ثبت عندنا في الأحاديث الصحيحة الكثيرة أن أناساً ممّن معهم هذه الكلمة يدخلون النار ويُعَذّبون فيها ثم يُخرَجون منها , فكيف يقول هنا : " حرّم على النار من قال لا إله إلا الله " , وهؤلاء معهم كلمة لا إله إلا الله , ومسلمون , وجاء أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " وجاء عنه أيضاً أن من غلَّ الشملة يُعذّب بها في نار جهنم , وأن ما أسفل من الإزار ففي النار , ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار , أحاديث كثيرة مثل هذي تدل أن أصحاب الذنوب بعضهم سيدخل النار وسيعذَّب بالنار , مع أنهم مسلمون ومعهم كلمة لا إله إلا الله , وأحاديث الشفاعة كثيرة في ذلك ومتواترة , إذاً ما الفعل ؟ نقول : هذه الكلمة , من قالها خالصاً من قلبه _ كما جاء في رواية _ لا بد أن تدفعه إلى العمل والطاعة والقربة إلى الله والتوبة الصادقة ,

هذا يدخل الجنة ولا يُعذب , لأنه هذا لا يكون صاحب ذنوب وإذا كان صاحب ذنوب يتوب إلى الله سبحانه وتعالى , فهي يقينية في قلبه دفعته إلى العمل , أما بعض الناس فتكون ضعيفة في قلبه , فهذا يرتكب الذنوب , هذا كما صحّت الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بأنه يُعذَّب على قدر ذنبه , ثم يُخرَج , وأمره إلى الله , ربّما يعفو عنه ولا يعذبه , فصاحب الذنب الموحد إذا مات على ذنبه أمره إلى الله , إن شاء عذّبه , وإن شاء عفا عنه , وسيأتي هذا إن شاء الله , هذا المبحث بإذن الله , لكن المهم عندنا هو أن نفهم أنه ليس كل من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة وانتهى الأمر , لا , دين الله يجب أن يُفهم كاملاً مع بعضه , تجمع جميع الأحاديث , جميع الآيات في المسألة , ثم تخرج بنتيجة واحدة صحيحة , وهذا ما كان يفعله السلف , والحمد لله , والأمر كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : " اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم " بينوا لنا كل شيء بفضل الله وهذا مما استقرؤوا به نصوص الشريعة وبينوها لنا , فقالوا لنا : أن من قال : لا إله إلا الله , وحقق شروطها دخل الجنة , فإذا كان مذنباً , فأمره إلى الله , إذا شاء عفا عنه وأدخله الجنة , وإذا شاء عذبه على قدر ذنوبه ثم أخرجه من النار , وردّوا على الخوارج وعلى المرجئة بنصوص , منها هذه النصوص التي يستدل بها المرجئة , يُردُّ عليهم بالنصوص الأخرى (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن , وما شابه) الخوارج يستدلّون بمثل : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) يُردُّ عليهم بمثل هذه الأدلة , أي نعم , والجمع بين كل الأدلة هو ما عليه أهل السنة والجماعة , المهم , الشاهد : عندنا الآن من هذا الحديث , هو أن من حقق التوحيد بحقٍّ , حرّم الله عليه النار , فإذا حقق التوحيد تحقيقاً تامّاً (ابتعد عن المعاصي والذنوب , وجدّد توبة صادقة في كل مرة , وحتى يلاقي الله سبحانه وتعالى وهو محقق للتوحيد) فيكون قد حرّم الله عليه النار مطلقاً , أما صاحب الذنوب , فكما ذكرنا , لكن في النهاية , من حقّق التوحيد , لا يُخلّد في نار جهنّم وهذه فضيلة عظيمة .

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى : " وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله» . رواه ابن حبان والحاكم وصححه." أبو سعيد الخدري اسمه سعد بن مالك , أنصاري , صحابي جليل , مشهور , معروف بالعلم , رضي الله عنه وأرضاه , يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال موسى , موسى بن عمران , النبي عليه السلام , قال : يا رب علّمني شيئاً أذكرك وأدعوك به , ممكن أن نستخرج أشياء من هذا الحديث لكن لأنه ضعيف لا نريد أن نطيل , قال : قل يا موسى لا إله إلا الله , قال : كل عبادك يقولون هذا , يعني الجميع يشتركون بهذا الذكر وأنا أريد شيئاً خاصّاً بي , " قال : يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري " , يعني كالملائكة , يعني السماوات السبع والملائكة وكل من في السماوات غير الله سبحانه وتعالى , " والأرضين السبع في كفة " يعني كفة ميزان , " ولا إله إلا الله في كفة " , في الكفة الثانية للميزان , " مالت بهن لا إله إلا الله " لعظم هذه الكلمة , " رواه ابن حبّان والحاكم وصحّحه " , يعني أجرها عظيم , على قدر عظمها , فهذا من فضلها , لكن لا نريد أن نطيل كما ذكرنا فالحديث هذا ضعيف , فهو من رواية درّاج عن أب الهيثم , ودرّاج هذا ضعيف وروايته عن أبي الهيثم أشد ضعفاً , فلا يصحّ , والذي تقدّم معنا يغني عنه والحمد لله . ثم قال المؤلف رحمه الله :" وللترمذي - وحسنه - عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا: لأتيتك بقرابها مغفرة» . " " أنس " : هو أنس بن مالك , صحابي , كان خادم الرسول صلى الله عليه وسلم لمدّة عشر سنين , وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم :" اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة " " وللترمذي وحسنه " : يعني هذا

الحديث مخرّج عند الترمذي في جامعه , وحكم عليه بالحسن , وهي درجة يُقبل بها الحديث , الحديث منه صحيح ومنه حسن ومنه ضعيف , الصحيح والحسن مقبول , والضعيف مردود , يُعمل بالصحيح والحسن , أما الضعيف فلا يُعمل به , لكن هذا الحديث أخرجه الترمذي وفي سنده كثير بن فائد , قال الحافظ في التقريب : مقبول , أي إذا توبع , وإذا لم يُتابع فهو ضعيف , وقد توبع حقيقةً عند المقدسي في " المختارة " , فالحديث إن شاء الله حسن , كما ينقلون عن الترمذي , ومخرّج في " جامع العلوم والحكم " لابن رجب , وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر في الحديث القدسي , قال الله :(ومن أتاني يمشي أتيته هرولة , ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً , لقيته بمثلها مغفرة) ووددتُ لو أن المؤلف وضع هذا الحديث بدل حديث الترمذي , لكن على كل حال : حديث الترمذي حسنٌ أيضاً إن شاء الله , والشاهد منه أنه إذا جاء ابن آدم بقراب الأرض خطايا , " بقراب الأرض " يعني ملؤها , أو ما يقارب ذلك , " خطايا " : أي ذنوب , ثم جاء إلى الله سبحانه وتعالى لا يُشرك به شيئاً , يعني : موحّد , موحّدٌ خالصٌ في توحيده , قال :" لأتيتك بقرابها مغفرة " يعني أن الله سبحانه وتعالى يغفر له إذا لقي الله موحّداً , قال أهل العلم:)) التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك , لا يبقى معه ذنب , لأنه يتضمن ـ يعني التوحيد هذا ـ يكون فيه محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجاؤه وحده , ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض , فالنجاسة عارضة والرافع لها قوي)) انتهى كلامهم , يعني : إذا كان الإنسان حقق التوحيد تحقيقاً كاملاً لا يبقى مع هذا التوحيد ذنبٌ إلا ذهب , لأن المرء يكون في تحقيقه لهذا التوحيد , قد ـ يعني ـ امتلأ قلبه بالإيمان , وانتفت هذه الذنوب وحقّق توبة صادقة , وذهبت والله أعلم . على كلٍّ الأصل الذي ذكرناه سابقاً هو الذي نعتمد عليه في التفصيل في هذه الأحاديث , نعم , مهمٌّ جداً , يعني : خلاصة هذا الباب هو ما ذكرناه , من بيان فضائل التوحيد وأنه يكفّر الذنوب إذا كان توحيداً خالصاً , وأيضاً أعظم فضيلة له

أنه ينجيك من نار جهنم , إما من الخلود فيها , أو من دخولها أصلاً , وأنه أيضاً ـ يعني ـ يدخلك الجنة ويُخلّدك فيها , فهذه فضائل عظيمة تجعل المرء ـ يعني ـ همته , تجعل همّة المرء عالية ليحقق التوحيد ويحرص عليه , وهنا حاشية مفيدة لأحد العلماء أحبّ أن أذكرها لكم , قال : ((كثير من الناس يخطئون في فهم أحاديث: "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة" فيظنون بأن التلفظ بها يكفي وحده للنجاة من النار ودخول الجنة، وليس كذلك (يعني : مجرد التلفظ بها فقط لا يكفي في النجاة من النار ودخول الجنة)، فإن من يظن ذلك من المغرورين لم يفهم "لا إله إلا الله" لأنه لم يتدبرها ـ يعني : لم يتأمل فيها ـ إذ أن حقيقة معناها: البراءة من كل معبود، والتعهد بتجريد كل أنواع العبادة لله سبحانه وحده يعني تجعل العبادة خالصة لله فقط ـ والقيام بها على الوجه الذي يحبه ويرضاه ـ يعني : كما يحب الله سبحانه وتعالى أن تكون العبادة , وإذا أردت أن تقوم بالعبادة كما يحبها الله ويرضاها , إذاً لا بد أن تتعلّم كيف هي ؟ كيف فعلها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ كيف علّمنا إياها ؟ وتقوم بها على ذلك (فمن لم يقم بحقها من العبادة، أو قام ببعض أنواع العبادة، ثم عبد مع الله غيره فدعا الأولياء والصالحين ونذر لهم وطاف بقبورهم , هذه عبادات ـ لاحظ ـ الدعاء , النذر , الطواف , وطاف بقبورهم واعتقد لهم السّرّ والبركة ونحو ذلك , اعتقد لهم السر والبركة : أي أنهم قادرين على أن يفعلوا أشياء ـ يعني ـ لا يقدر عليها الناس العاديين , وإنما يعملها الله سبحانه وتعالى , وعندهم بركة نافعة بأنفسهم) قال : فإنه يكون هادماً لها (يعني أنه قد أخل بها , ليست العبرة أن تقول الكلمة ثم تذهب تنقضها , ما ينفعك , تقول : أنا مؤمن ثم تذهب تسب الله سبحانه وتعالى , لا تبالي بالعبادة نهائياً , تذهب تعبد غير الله سبحانه وتعالى , إذاً أين ذهبت لا إله إلا الله ؟ أنت ما حققت منها شيئاً , القضية ليست قضية دعاوى وكلام فقط , لا) قال : فلا تنفعه دعواه ولا تغني عنه شيئا، ولو كان مجرد قولها كافياً ما وقع من المشركين ما وقع من محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاداته. (يعني : يقول لك : إذا كانت

مجرد أن تتلفّظ بها كافٍ , ليش يحارب أهل الشرك الذين هم كفار قريش ؟ لماذا يحاربون النبي صلى الله عليه وسلم ؟ لقالوها وخلاص , وبقيوا على تفاهُم وتواؤم , وما في حروب ولا قتال ولا شيء , لكن لما فهموا الآن ماذا يريد قالوا : [أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيءٌ عُجابٌ] أراد منهم أن يتركوا عبادة الأصنام , لذلك ما تركوا , وحاربوا النبي صلى الله عليه وسلم) قال الله تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله) - وقال - (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) , (يعني لا إله إلا الله لا تنفعك إلا مع العلم) فمن لم يوف بها ويعمل بمقتضاها لا ينفعه التلفظ. وكل من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فهو إما جاهل بمعناها، أو كاذب في ادعائه الإيمان، وأولئك هم المغرورون [الأخسرون أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً] هذا ما قاله الشيخ الفقي , وهو تعليق نفيس طيب , يوضح خلاصة معنى لا إله إلا الله , ومتى تكون نافعة للعبد , والباب _ كما ذكرنا _ معقود لبيان فضائل هذه الكلمة , وقد تبيّن لنا الأمر والحمد لله رب العالمين . - تفريغ إخوانكم في معهد أورفا العلمي (البصيرة) "تركيا" جزاهم الله خيرا

الدرس رقم 03
تفريغ الدرس الثالث :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , أما بعد :
فمعنا اليوم الباب الثاني من أبواب كتاب التوحيد .
قال المؤلف رحمه الله : " باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب " , هذا الباب كالمتمّم للذي قبله فدخول الجنة بغير حساب من فضل التوحيد , ذكر في البداية باب فضل التوحيد ثم ذكر لنا فضائل مَن حقّق التوحيد , الفضائل التي يحصل عليها من حقّق التوحيد , ثم ذكر لنا بعد ذلك هذا الباب وهي منزلة عالية , منزلة من حقق التوحيد , هذه يعني , تحقيق التوحيد تحقيقاً كاملاً , هذا دخل الجنة بغير حساب , وهذه المنزلة منزلة لا ينالها إلا مَن ـ يعني ـ اصطفاهم الله سبحانه وتعالى , ومعنى تحقيق التوحيد هنا : تصفيته وتخليصه من الشرك والبدع والمعاصي , فهذا معنى تحقيق التوحيد , تخليصه وتصفيته من الشرك والبدع والمعاصي , فمَن حققه بهذه الطريقة دخل الجنة بغير حساب , لا يُحاسب على المعاصي ولا على غيرها , وتحقيقه لا يكون إلا بالعلم , بالعلم بمعنى لا إله إلا الله ومعنى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد والاعتقاد والانقياد , الاعتقاد : أن تعتقد معناها , والانقياد لها بأن تعمل بما تقتضيه وتدلُّ عليه , فمجرّد العلم والاعتقاد لا ينفع , لا بد معهما من عمل , العمل والاعتقاد والانقياد إذا تحقق عند العبد وأخلص في توحيده إخلاصاً تامّاً بحيث انتفى عنه الشرك وانتفت عنه البدع وانتفت عنه المعاصي : دخل الجنة بغير حساب , بدأ المؤلف رحمه الله في هذا الباب بآية وهي قول لله تبارك وتعالى : [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] " إبراهيم " النبيّ , معروف , " كان أمة " : يعني كان إماماً , ونحن قدّمنا أن الأمة في القرآن تأتي على أربعة أوجه , تأتي بمعنى إمام , وبمعنى دهر , زمن , وبمعنى جماعة , وبمعنى دين " إن إبراهيم كان

أمة " : يعني كان إماماً , إماماً يُقتدى به فقد كان قدوة إماماً معلّماً للخير ," قانتاً " : القنوت هو دوام الطاعة , كان دائم الطاعة لله سبحانه وتعالى ," قانتاً لله حنيفاً ": الحنيف : هو المائل عن الشرك , المائل عن الشرك يعني كان محقّقاً للتوحيد كان مائلاً عن الشرك إلى التوحيد ," ولم يك من المشركين ": ما كان على طريقة المشركين فلم يكن يعبد غير الله تبارك وتعالى بل كان يعبد الله سبحانه وتعالى وحده , وما كان يبتدع في دين الله وما كان يفعل المعاصي والذنوب التي يفعلها المشركون , فقد كان إبراهيم عليه السلام محقّقاً للتوحيد كمال التوحيد وقد صفّى وخلّص توحيدَه من الشرك ومن البدع ومن المعاصي التي كان عليها المشركون فهذه الآية فيها ثناء من الله تبارك وتعالى على إبراهيم , لماذا استحقّ إبراهيم هذا الثناء , استحقّه لأنه حقّق التوحيد بماذكره الله سبحانه وتعالى :[إن إبراهيم كان أمة] كان إماماً , إماماً يُقتدى به , ولا يصير الشخص إماماً إلا إذا حقّق التوحيد وحقق الخير [وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون] فإبراهيم كان صابراً , كان موقناً , ابتلاه الله سبحانه وتعالى بأنواع من الابتلاءات , ابتلي , حارب قومه على التوحيد , حارب قومه , ويعني دعاهم إلى الخير فآذوه وأرادوا أن يحرقوه في النار فصبر , وابتلاه الله سبحانه وتعالى بأن يذبح ابنه فصبر وأطاع الله سبحانه وتعالى , فكان صابراً , صابراً على الطاعة , صابراً عن المعصية , صابراً على أقدار الله سبحانه وتعالى , هكذا يكون الإنسان صابراً , ولا بد من أن يؤذى الإنسان في طريق الدعوة ولا بد له من الصبر , فكان إبراهيم صابراً وكان موقناً بالله سبحانه وتعالى , محقّقاً للتوحيد تحقيقاً تامّاً , عليه الصلاة والسلام , فإبراهيم كان إماماً , لماذا ؟ لأنه كان قانتاً لله , يعني كان مطيعاً له سبحانه وتعالى ودائم الطاعة وهذا من تحقيق التوحيد أنه كان مطيعاً لله سبحانه وتعالى وكان حنيفاً : مائلاً عن الشرك , مائلاً عن البدع , مائلاً عن المعاصي [ولم يك من المشركين] : ما كان على طريقة المشركين , هذا كله يبيّن لنا أن إبراهيم كان محقّقاً للتوحيد , لذلك استحقّ الثناء من الله سبحانه وتعالى , وعندما يثني ربنا تبارك وتعالى

على شخصٍ بهذه الطريقة فيريد منا أمرين : الأمر الأول : أن نحبه وأن نتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بحبّه لأن أوثق عُرى الإيمان : الحب في الله والبغض في الله , فبما أنه كان على هذه الدرجة من تحقيق التوحيد والإخلاص لله سبحانه وتعالى , كان مؤمناً إذاً يجب علينا أن نحبّه ونتولّاه والأمر الثاني : الذي يجب علينا فيمن أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم كإبراهيم عليه السلام : أن نقتدي به فيما أُثنيَ عليه فيه , أثنى الله سبحانه وتعالى عليه بدوام الطاعة , أثنى عليه بتحقيق التوحيد , إذاً نحن نقتدي به في التوحيد , والله سبحانه وتعالى قال لنا في كتابه الكريم : [قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ] التأسّي بإبراهيم فيما كان عليه من تحقيق التوحيد ماذا كان يقول إبراهيم لقومه ؟ [إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ] هكذا كان إبراهيم وكان قومه يتبرّؤون من الكفر والمشركين , يتبرّؤون من الكَفرة ويتبرؤون من الكفر ويتبرؤون من المشركين ويتبرؤون من الشرك , أي نعم , يحقّقون التوحيد تحقيقاً تامّاً , تحقيق التوحيد يكون بما ذكرنا , أسأل الله أن يوفّقنا وإياكم لطاعته , هذه بالنسبة للآية الأولى ثم بعد ذلك ينتقل المؤلف إلى الآية الثانية

قال المصنف رحمه الله :" وقال الله تعالى :[والذين هم بربّهم لا يُشركون] " : قال الشُّرّاح هنا : وصف الله تبارك وتعالى المؤمنين السابقين إلى الجنة فأثنى عليهم بالصفات التي أعظمها أنهم بربهم لا يُشركون , هذه الآيات التي قبل هذه الآية قد ذكر الله سبحانه وتعالى من صفات المؤمنين , الصفات الطيّبة , ومن هذه الصفات التي هي أعظمها أنهم بربهم لا يشركون , قالوا : ولما كان المرء قد يعرض له ما يقدح في إسلامه من شركٍ جليّ أو خفيّ , وسيأتي إن شاء الله تفصيل في بيان الفرق بين الشرك الجليّ والشرك الخفيّ , نفى ذلك عنه , فهم غير واقعين لا في الشرك الجلي ولا في الشرك الخفي , شركٌ جلي : شرك واضح , يعبدون غير _ عبادة غير _ الله سبحانه

وتعالى , شركٌ خفي : كالرياء , وسيأتي تفصيله إن شاء الله , قالوا وهذا هو تحقيق التوحيد الذي صحّت به أعمالهم وكملت ونفعتهم , فهذه الآية تدلّ على أن من حقّق التوحيد ـ يعني ـ له فضيلة , فضيلة الثناء عليه من الله تبارك وتعالى . ثم قال المصنف رحمه الله تعالى : " عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير " هذا الحديث الذي سيبدأ به هو الذي فيه الدلالة الصريحة الواضحة على ما أراد المؤلف رحمه الله من هذا الباب , قال المصنف رحمه الله : " عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ " حصين بن عبد الرحمن : هو السُّلَمّي توفّي سنة مئة وست وثلاثين , يقول " كنت عند سعيد بن جبير " وسعيد بن جبير أحد علماء التابعين , وهو فقيه من أصحاب ابن عبّاس رضي الله عنه , يقول حصين : " كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ " يسأل سعيد بن جبير جلساءه , فقال لهم : أيكم رأى الكوكب ـ أي النجم ـ الذي انقض البارحة؟ يعني سقط البارحة , البارحة : هي أقرب ليلة مضت , " فقلت " (والكلام لحصين بن عبد الرحمن) , " فقلت : أنا , ثم قلت " الآن حصين ما زال يتكلّم " أما إني لم أكن في صلاة , ولكنّي لُدغتُ " : شوفوا الآن , عندما تكون في مجلس كهذا , ويُقال : مَن منكم في الساعة الفلانية من الليل رأى الشيء الفلاني ؟ وتلك الساعة التي ينام فيها الناس , وأهل طاعة الله يقومون يصلون , عندما تقول أنت بأنك كنت مستيقظاً ورأيت ذاك الكوكب , ماذا يُظن بك ؟ يُظن بك أنك كنت قائماً تصلي , ومن ورع السلف رضي الله عنهم ومن دينهم وتقواهم أنهم ما كانوا يحبّون أن يتشبّعوا بما لم يُعطَوا نخشيٍ على نفسه , حصين , أن يدخل في حديث :" من تشبّع بما لم يُعطَ كلابس ثوبَي زور " نفى عن نفسه المباشرة كي لا يُظن فيه أمرٌ حسنٌ طيب وطاعة ليست هي موجودة فيه , فنفى هذا الأمر عن نفسه وهذا من صلاحه ومن خيره جزاه الله خيراً , قال :" أما إني لم أكن في صلاة " فلا تظنّوا أني كنت أصلي ولكن

لُدِغتُ , لكن الذي أيقظني في تلك الساعة أنني لُدغت لدغة عقرب , فقال سعيد بن جبير رضي الله عنه ورحمه : " فماذا صنعت ؟ " عندما لدغت ماذا فعلت ؟ , " قلت " : والكلام لحصين :" ارتقيت " وعند مسلم , قال : " استرقيت " يعني : طلبت الرقية , يعني : طلب من أحدٍ أن يرقيه رقية , يقرأ عليه آيات أو يذكر أحاديث فيها ذكر ودعاء كي يبرأ , قال :" فما حملك على ذلك ؟ " لاحظ هنا بعد أن قال له :" ارتقيت " أو " استرقيت " , طلب منه ماذا ؟ طلب منه الدليل , حجّة , هكذا كان السلف يطلبون الأدلة على الأفعال التعبّدية , فقال له : " ما حملك على ذلك ؟ " , ما الذي دفعك أن تطلب الرقية في أمرٍ كهذا ؟ " قلت : " والكلام لحصين , " حديث حدثَناه الشعبي " هو عامر بن شُراحيل الشعبي , أحد الحفّاظ الثقات من التابعين " قال : وما حدثكم ؟ " الآن يريد أن يسمع ما هو الدليل ؟ " قلت : حدثنا بريدة بن الحصيب " بريدة بن الحصيب هذا صحابي " أنه قال : لا رقية إلا من عينٍ أو حُمَة " بريدة بن الحصيب يذكر الخبر من عنده ليس مرفوعاً , لكن هذا الخبر جاء مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحّ عنه : لا رقية إلا من عين , يعني : إذا أُصيب الشخص بعين , فالرقية جائزة في هذا الموضع , " أو حمة " : قالوا : معنى الحُمَة : هو السّمّ , فإذا أصاب الإنسان سُمّ , يعني : لدغته عقرب أو ثعبان أو ما شابه فيرتقي , ما في بأس , وقوله هنا : لا رقية إلا من عين أو حمة , الحديث في ظاهره يدلّ على أن الرقية ـ يعني ـ لا تصحّ إلا في هذين الأمرين , وهذا غير صحيح لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد رقى وارتقى في أمور ليست هي من هذين الأمرين , فلذلك حمل العلماء معنى هذا الحديث أنه لا رقية أنفع من الرقية في هذين الأمرين , " لا رقية إلا من عين أو حمة " قلنا : معنى العين : يعني الحسد , " أو حمة " يعني سم , " قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع " الكلام لسعيد بن جبير , قال : لقد أحسن من انتهى إلى ما سمع , يعني : من سمع بحديث ودليل وعمل به ووقف عنده , قد أحسن , ولكن قد أساء من عمل في الأمور التعبّدية بعمل ليس عليه دليل , وقد أساء من سمع بالدليل ولم يعمل به , أما

من انتهى إلى ما سمع فقد أحسن , يعني : جزاه الله خيراً أنه وقف عند الدليل الشرعي , سواء كان أصاب أو أخطأ , لكنه وقف عند الدليل الشرعي فيُشكر على ذلك , " ولكن " : لكن عندي أنا قولٌ آخر , الآن الكلام لسعيد بن جبير , عندي قولٌ آخر في المسألة , وسيبدأ يبيّن له القول الثاني الذي عنده , نعم

فقال سعيد بن جبير :" ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب , ابن عمّ النبي صلى الله عليه وسلم , كان عالماً فقيهاً , فقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل) ونفع الله به نفعاً عظيماً , يقول ابن عباس ـ ناقلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال :" عُرضت عليَّ الأمم " عُرِضَت على النبي صلى الله عليه وسلم الأمم , يعني : رآها , وقد ـ يعني ـ صُوِّروا له , ورآهم النبي صلى الله عليه وسلم , بعض أهل العلم قال : كان ذلك في ليلة الإسراء , لكن هذا لا يصحّ لأن هذا الكلام كان في المدينة , على كلٍّ هذا لا يهم , المهم أنهم عرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم حقيقةً , كما قال عليه الصلاة والسلام , " فرأيت النبي ومعه الرهط " رأى النبيّ ومعه الرهط , لما عرضت عليه الأمم , أمةُ ـ مثلاً ـ بني إسرائيل , أمة موسى , أمة ـ مثلاً ـ إبراهيم , وأمة النبي صلى الله عليه وسلم , هذه الأمم , تُعرَض عليه كل أمةٍ ومعها نبيُّها , فقال عليه الصلاة والسلام : " فرأيت النبي ومعه الهط " الرهط : يعني الجماعة , " والنبي ومعه الرجل والرجلان " يعني : والنبي ومعه الرجل , والنبي ومعه الرجلان , تَصوّر , أمةٌ ربما تُعَدُّ بالآلاف يأتيهم النبي يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى فلا يؤمن معه إلا رجلٌ أو رجلان , هذا يدلك على أن الداعية إذا لم يسمع الناس له ولم يستجيبوا , لا يدل ذلك على فشله في دعوته ولا بد , لا , فربّما يكون ذلك سببه فساد الناس ـ كما الحال عندنا هنا ـ يأتي النبي وليس معه إلا رجل , ونبيٌّ وليس معه إلا رجلان , فيدلّنا هذا على أن الحق لا يُعرَف بالكثرة , الحق لا يُعرف بالكثرة , فهؤلاء الأمم , كانت أمة كاملة على طريق , ونبيّها كان على

طريقٍ آخر , والحق كان مع النبي , قال : " والنبي وليس معه أحد " يأتي نبيّ إلى أمة فلا يستجيب له أحد , هذا دليل واضح وقوي على أن الحق لا يُعرَف بالكثرة , قال : " إذ رُفع لي سواد عظيم " : سواد : الأشخاص من بعيد إذا رأيتهم تقول رأيت سواداً , رأيت أناساً يعني , فرُفع له سواد عظيم , يعني : أشخاص كُثُر , بجمعٍ كبير , حتى ظنّهم النبي صلى الله عليه وسلم أنهم أمّته , وهو يعلم أن أمّته كُثُر , فقال : " فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه " هذا يدلنا على أن بني إسرائيل الذين آمنوا مع موسى كُثُر , قال :" فنظرت فإذا سواد عظيم " سواد آخر , أشخاصٌ كُثُر غير الأُوَل , " فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب " مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب , لا يحاسبهم الله سبحانه وتعالى على أعمالهم , ولا يُعذَّبون ,, يدخلون الجنة مباشرةً , ومن فضل الله أنه قد جاءت في رواية ثانية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فاستزدت ربي (يعني : طلب الزيادة من الله سبحانه وتعالى) فزادني مع كل ألفٍ سبعين ألفاً , هذه الرواية صحيحة , أما " مع كل واحد سبعين ألفاً " لا تصحّ , وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة , لكن : ما وصف هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب , وهو محل الشاهد الذي أراده المؤلف رحمه الله مِن سَوقِ هذا الحديث في هذا الموطن , " ثم نهض " أي النبي صلى الله عليه وسلم , " فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك " يعني : بدأ الناس يفكّرون في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب , من هم ؟ فكلٌّ واحد منهم يطرح فكرة , ظنّاً منه أنهم هم , " فخاض الناس في أولئك. فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم " هذا يدلك على معرفة الصحابة بمنزلة مَن صحب النبي صلى الله عليه وسلم , لذلك كان ظنّهم أنّهم هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب , " وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئا " يعني لم يعبدوا صنماً ولم يعبدوا حجراً ولا أشركوا بالله أبداً نشؤوا على التوحيد وبقوا على التوحيد , " وذكروا

أشياء " لكن هذه كلّها ظنون منهم , " فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه." فأخبروه بما يفكّرون به , وبما اختلفوا فيه , " فقال: هم الذين لا يسترقون " : هذا الوصف الأول , لا يسترقون , يعني لا يطلبون الرقية , لا يطلبون الرقية من غيرهم , إذا أصابهم شيء لا يذهب إلى شخص يقول له : ارقيني , هذا معنى لا يسترقون , فلا يطلبون الرقية , جاء في رواية " لا يرقون " أي : ـ يعني ـ لا يرقوا غيرهم , لا تحصل منهم الرقية لغيرهم , وهذه الرواية خطأ , فقد رَقى النبي صلى الله عليه وسلم , ورُقي عليه الصلاة والسلام , وقال : " لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً " فهذا كلّه يدل على أن هذا لا ينافي كمال التوحيد , كمال الإخلاص وكمال الاعتماد على الله سبحانه وتعالى فلذلك كانت هذه الرواية رواية خاطئة , والصواب : " لا يسترقون " يعني : لا يطلبون الرقية , لماذا ؟ لكمال الاعتماد على الله تبارك وتعالى , أحياناً , وهذا نراه في زمننا هذا , نجد الناس إذا علِموا من شخصٍ أنه يرقي , وأن كثيراً من الناس شفاهم الله على يديه , تعلّقت قلوبهم به بعضَ التعلّق , فأخلَّ ذلك في كمال الاعتماد على الله , تبارك وتعالى , فلذلك قال : " الذين لا يسترقون " فلا يطلبون الرقية من أي أحد اعتماداً على الله تبارك وتعالى , لا يعني ذلك ألا نأخذ بالأسباب المشروعة التي هي ليس فيها إخلال بالاعتماد على الله تبارك وتعالى كالتداوي مثلاً , لا , من ظنّ ذلك من أهل العلم فهو خاطئ , لقد تداوى النبي صلى الله عليه وسلم وداوى عليه الصلاة والسلام , فلا يُخلّ هذا بالتوحيد أبداً , ولا في كماله إذا صدق الاعتماد , إذا صدق الإنسان في اعتماد قلبه على الله تبارك وتعالى وعَلِم واستيقن أن هذه الأشياء هي مجرّد أسباب , والله سبحانه وتعالى قد أمَرَنا بالأخذ بالأسباب , فنحن نأخذ بها لأن الله سبحانه وتعالى أمَرَنا بها , ولأنه علّق الأشياء بأسبابها , أما الاعتماد فيكون على الله , نوقن بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحقق لا ما نريد مِن شفاءٍ وغيره , قال :" هم الذين لا يسترقون " لا يسترقون : لا يطلبون الرقية , " ولا يكتوون " لا يطلبون الكيّ , لا يطلبون من أحدٍ أن يكويهم ,

الكي معروف , الحرق بالنار , وهذا كانوا يستعملون للعلاج كثيراً وما زال إلى يومنا هذا يستعملونه للعلاج , وقد اختلف العلماء في مشروعية الكي , جاء في صحيح البخاري عن ابن عبّاس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الشفاء في ثلاث : شربة عسل وشرطة مِحجَم وكيّة بنار , وأنا أنهى عن الكيّ " وفي رواية :" وما أحب أن أكتوي " قال ابن القيّم رحمه الله : قد تضمّنت أحاديث الكي أربعة أنواع ـ يعني جاءت أحاديث في الكي , خلاصتها والذي تدل عليه أربع أشياء ـ يعني : جاء من فعلِه صلى الله عليه وسلم , وجاء فيها : عدم محبّته للكي , وجاء فيها الثناء على من ترك الكي , وجاء فيها النهي عن الكي , قال : ولا تعارض بينها بحمد الله فجمع ابن القيّم بين هذه الأحاديث جميعاً فقال : إنّ فعله له يدل على جوازه ـ على جواز الكي ـ , وعدم محبّته :" لا يدلّ على المنع منه , كونه لا يحبّه لا يدلّ على أنه محرّم وأما الثناء على تاركه فيدلّ على أن تركه أولى وأفضل , يعني : ليس محرّماً بس الأحسن أن تترك , وأما النهي : فعلى سبيل الاختيار والكراهة , يعني نهى عنه كرامة له , يعني : خلاصة الموضوع أن الكي مكروه وليس محرّماً , هذا إذا ما اكتويت بنفسك مثلاً أو كواك أحد وأنت لم تطلب منه , فهو مكروه , لكن لا تطلب الرقية , لا تطلب الكي عفواً , لأنك إذا طلبته خرجت من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب , قال : " هم الذين لا يسترقون " : لا يطلبون الرقية , " ولا يكتوون " : لا يطلبون الكي , " ولا يتطيّرون " التطيّر هو التشاؤم , وهو محرّم , ومن الشرك ـ كما سيأتي إن شاء الله باب مستقل لهذا الأمر ـ أصله : كان الناس في الجاهلية إذا أرادوا أن يفعلوا شيئاً طيّروا طيراً , فإذا طار هذا الطائر يميناً تفاءلوا خيراً ومضوا في أمرهم , وإذا مضى هذا الطير شمالاً , تشاءموا شرّاً وتركوا الطريق وما مضوا في أمرهم , هذا أصل التسمية , الطيرة , وهي التشاؤم , وهي شرك كما قال عليه الصلاة والسلام : " الطيرة شرك " ومن فعلها لم يعتمد على الله سبحانه وتعالى في أمره , وقد أبدلنا الله تبارك وتعالى خيراً منها , أبدلنا الاستخارة , أصلي ركعتين غير الفريضة , ركعتي نافلة ,

المهم من غير الفريضة وتدعو بدعاء الاستخارة , فأنت بذلك تعتمد على الله اعتماداً تامّاً وتكل الأمر إليه , فيفعل لك ما فيه خير , قال في النهاية : " وعلى ربهم يتوكّلون " هذه خلاصة الموضوع , المراد أصلاً أنهم يعتمدون على ربهم تبارك وتعالى في تحقيق مآربهم , وغاياتهم فيما يريدونه , تعلّق قلوبهم يكون على الله سبحانه وتعالى لا على غيره , لا على الأسباب , فهم بذلك لا يطلبون من أحدٍ الرقية , ولا الكي , ولا يتطيّرون , لكمال اعتمادهم على الله تبارك وتعالى , هذا المعنى المقصود فَمَن تحقق منه ذلك فقد حقّق التوحيد تحقيقاً تامّاً , لذلك يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب , وقد وصل إلى هذه المرتبة , وصل إلى تحقيق التوحيد بكلّ معانيه , من ترك الشرك كبيره وصغيره , ظاهره وخفيّه , ومن ترك البدع والمحدثات , وترك المعاصي والذنوب , لا يعني ذلك أنه لا تقع منه معصية , ربّما تقع المعصية من جميع الناس , لكنه يستغفر ويتوب ويرجع إلى الله سبحانه وتعالى ويعتمد على الله اعتماداً كاملاً , قال : " فقام عكاشة بن محصن فقال: " أحد الصحابة كانوا جالسين يسمعون " فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم " من السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب , " قال: أنت منهم " هذه بشرى طيبة لعكّاشة , فنحن نشهد لعكّاشة بن محصن بأنه من أهل الجنة , لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال : أنت منهم , ونحن من عقيدتنا : ألا نشهد بالجنة إلا لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم , وإلّا بشكل عام نرجو للمحسن ونخاف على المسيء , نحكم للمؤمن بالجنة ونحكم للكافر بالنار , ولكن بشكلٍ عامٍّ , أما كتحديد للمؤمن بأنه (أنت ستدخل الجنة) هذا أمره إلى الله سبحانه وتعالى وليس لنا , لكن هنا نشهد لعكّاشة بأنه من أهل الجنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد شهد له بذلك , " ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: سبقك بها عكاشة " سبقك بها عكّاشة , لماذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم ؟ هؤلاء سبعون ألفاً ومع كل ألفٍ سبعون ألفاً , يعني : ممكن أن يكون هذا الآخر والذي بعده والذي بعده لكن هنا قال بعض أهل العلم : هذا

الرجل كان منافقاً , لذلك ما قال له النبي صلى الله عليه وسلم , ما دعا له النبي صلى الله عليه وسلم , وقال له : سبقك بها عكّاشة , كي يغلق الباب _ عليه الصلاة والسلام _ عليه , وبعضهم قال : لا , وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يغلق الباب , لأنه لو قال لهذا سيقوم الذي بعده , ويقوم الذي بعده , فلا ينتهي الأمر , فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يغلق الباب فقال : " سبقك بها عكّاشة " فهو _ يعني _ ردّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان لإغلاق الباب , وهذا الظاهر _ والله أعلم _ أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يُنهيَ الأمر , فقال : " سبقك بها عكّاشة " .
خلاصة الأمر : الشاهد : أن من حقق التوحيد تحقيقاً تامّاً , صفّاه ونقّاه من كل أنواع الشرك , ومن البدع ومن المعاصي واتبع النبي صلى الله عليه وسلم اتباعاً حقيقياً , فهذا مقتضى كلمة : أشهد أن محمداً رسول الله , وبترك البدع وترك المعاصي , والتعبّد لله سبحانه وتعالى بما شرع , فعندئذ يكون المرء ممن يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب , نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإيّاكم من أهل ذلك , وهذا يدلّ على فضيلة تحقيق التوحيد , الفضيلة العظيمة , والناس في ذلك مراتب ودرجات , نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل هذه الدرجة التي يدخل أهلها الجنة بغير حساب ولا عذاب , وفقنا الله وإيّاكم لطاعته , ونكتفي بهذا القدر
اليوم , والحمد لله .
قام بتفريغه : إخوانكم في معهد أورفا العلمي (البصيرة) وفقهم -الله-

الدرس رقم 04

تفريغ الدرس الرابع :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , أما بعد : فاليوم معنا باب جديد من أبواب شرح كتاب التوحيد أو من أبواب كتاب التوحيد , قال المؤلف رحمه الله تعالى :" باب الخوف من الشرك " : هذا الباب معقود ليبيّن فيه المؤلف خطر الشرك , وإذا عُرِف خطره وجب الخوف منه واجتنابه , فبعد أن يبيّن في الأبواب السابقة : التوحيد , وبيّن فضله , أراد أن يبيّن هنا : ما يُضادّ التوحيد , وهو الشرك , ويبيّن خطره , فإذا عُرف خطر الشرك وجب الخوف منه , والحذر منه والابتعاد , لذلك عقد لنا هذا الباب _ رحمه الله _ فقال :" باب الخوف من الشرك " : والشرك تقدّم معنا تعريفه , وخير ما يُعرّف به : قول النبي صلى الله عليه وسلم :" أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقك " فأن تجعل لله نداً , يعني : مثيلاً , شريكاً له , فيما هو من خصائصه يُعتبَر شركاً , فيدخل في ذلك الشرك في الربوبية , والألوهية , والأسماء الصفات , وكما ذكرنا , بيّنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم :" أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك " وكذلك الحديث القدسي الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : بأن الله عز وجلّ قال :" أنا أغنى الشركاء عن الشرك , من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري , تركته وشركَه " هذا يبيّن لنا معنى الشرك " من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري , تركته وشركَه " تعمله تتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى به , ثم تذهب وتتقرّب به إلى غير الله سبحانه وتعالى , هذا هو معنى الشرك , لأن العبادة _ عبادتك _ يجب أن تكون لله وحده , فإذا عبدت غير الله معه فقد أشركت معه غيره فيما يختص به سبحانه وتعالى , فتَعبُّدُك وتقرّبك يجب أن يكون لله وحده , وألا يكون لغيره معه منه شيء وكذلك أيضاً , أن تعتقد أنّ الله هو الخالق , الرازق المدبّر , فإذا اعتقدت أن غيره خالقاً معه , فقد أشركت , إذا اعتقدت أن غيره مدبّرٌ معه فقد أشركت , وهكذا , فتعرف ما هو

خاصٌّ بالله سبحانه وتعالى وتجعله خاصّاً بالله سبحانه وتعالى ولا تجعل لغيره فيه شيء , هذا معنى التوحيد , وهذا معنى الشرك , الآن , يقول المؤلف رحمه الله : " وقوله تعالى : [إن الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء] " هذه الآية ساقها المؤلف كي يبيّن لنا خطورة الشرك , وخطورته تتبيّن في هذه الآية من أي وجه ؟ من وجه أن الشرك لا يغفره الله سبحانه وتعالى فالأمر خطير , الذنوب , بقية الذنوب التي هي أدنى من الشرك (أقل من الشرك) يغفرها الله سبحانه وتعالى تحت مشيئته , والمقصود من هذه الآية : عندما يلقى العبد ربه يوم القيامة , هذا المقصود بها , وليس في الدنيا , في الدنيا : جاء قول الله سبحانه وتعالى : [قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً] فيشمل ذلك الشرك والذنوب والمعاصي , كلها يغفرها الله سبحانه وتعالى إذا تاب العبد ورجع إلى الله قبل أن يموت , قبل أن يغرغر , يعني قبل أن تخرج الروح من الجسد , في الدنيا : إذا تاب تاب الله عليه مِن الشرك فما دون , لكن بعد الموت إذا لقي الله سبحانه وتعالى بالذنوب , هو تحت مشيئة الله , إن شاء الله عفا عنه وغفر له تلك الذنوب , ولم يعذّبه عليها وأدخله الجنة , وإذا شاء عذّبه على ذنوبه , على قدرها , ثمّ أخرجه الله من النار إلى الجنة , أما الشرك , فلا يغفره الله , إذا مات الإنسان مشركاً , فهو معذّبٌ في نار جهنّم قولاً واحداً , لا يغفر الله سبحانه وتعالى الشرك هذا إذا كان الشرك , والشرك قسمان , الشرك قسمان : شركٌ أصغر وشركٌ أكبر , أما الشرك الأكبر : فينطبق عليه ما ذكرنا لأن الشخص إذا لقي الله سبحانه وتعالى بالشرك الأكبر فهو مخلّد في نار جهنّم , يدخل نار جهنّم ولا بدّ , ويُخلّد فيها ولا يخرج منها أبداً , أما الشرك الأصغر فلا يُخلّد فيها , ولكن , هل لا بدّ أن يدخلها ؟ أم يغفر الله سبحانه وتعالى له إذا شاء ؟ يعني : هل هو تحت المشيئة كصاحب الذنوب ؟ إن شاء الله أن يعفو عنه عفا عنه , ولا يدخله النار أصلاً ؟ أم أنه لا بد أن يُعّذب في نار جهنم على قدر ذنبه ثم يخرج ؟ صاحب الشرك الأصغر لا يُخلّد في نار جهنّم , هذه

يجب أن تعلمها , هذا الأمر الأول , الأمر الثاني : هل تحت مشيئة الله سبحانه وتعالى إذا لي الله على ذاك الشرك (يعني : الشرك الأصغر) , هل هو تحت المشيئة , إذا شاء الله عذبه ؟ أو إذا شاء غفر له كبقية الذنوب والمعاصي ؟ أم أنه لا يكون تحت المشيئة ؟ بل لا بد أن يُعذّب في نار جهنم , ثم يخرج منها ؟ اختلف العلماء في ذلك على قولين : البعض قال : لا بدّ أن يدخل نار جهنم , ويُعذّب على قدر ذنبه ثم يخرج منها , والبعض قال : لا , هو كبقية الذنوب (إذا شاء الله سبحانه وتعالى عفا عنه وإذا شاء عذّبه) , قولان لأهل السنة والجماعة , وسبب الخلاف في نفس الآية , مَن فهمها على ظاهرها اللغوي قال : لا يدخل تحت المشيئة صاحب الشرك الأصغر , لا بد أن يُعذَّب لأن الله سبحانه وتعالى قال : [إن الله لا يغفر أن يُشرَك به] وهذه الصيغة في أصول الفقه تعني العموم , إن الله لا يغفر إشراكاً به , لا أريد أن أدخل معكم في هذه التفصيلات , كثير منكم لم يدرس الأصول , ولم يدرس الدلالات اللغوية , فلا أريد أن أدخل في هذه القضايا , المهم في الموضوع : أن تفهم بالدلالة اللغوية هنا والأصولية , يدلّ , تدلّ هذه الآية على العموم , عموم الشرك , فيشمل الأكبر والأصغر , لكن سياق الآية (موضوعها وما سيقت لأجله) يدلّ على أن المقصود الشرك الأكبر , فمن نظر إلى الناحية اللغوية قال : أي صاحب الشرك الأصغر لا بدّ أن يُعذَّب ولا يغفر الله سبحانه وتعالى له , لا بد أن يعذَّب على قدر ذنبه ثم يخرج , ومن نظر إلى سياق الآية قال : لا , المقصود بالآية الشرك الأكبر , فهو الذي لا يغفره الله سبحانه وتعالى , وأما غيره , فالشرك الأصغر كبقية الذنوب والمعاصي , يغفرها الله سبحانه وتعالى إذا شاء , وإذا شاء أن يعذّب صاحبها عذّبه عليها , وهذا القول الثاني : هو الصحيح عندي , أن الآية المقصود بها الشرك الأكبر ولا يدخل فيها الشرك الأصغر , لكن المقصود على كل حال خطورة الشرك , فالشرك أمره خطير , حيث إن الله سبحانه وتعالى لا يغفره , لا بد لصاحبه أن يُعذّب في نار جهنم , وصاحب الشرك الأكبر يُخلّد في نار جهنّم قولاً واحداً , وأما

صاحب الشرك الأصغر لا يخلّد في نار جهنم , يُعذّب على قدر ذنبه , إن عذّبه الله سبحانه وتعالى ثم يخرج إلى الجنة , لكن ذنبه عظيم , أكبر حتى من بقية المعاصي , فهو شرك في النهاية , سواء , المهم في الموضوع أنه يسمّى شركاً في شرع الله سبحانه وتعالى إذا كان من الشرك فهو أعظم من الذنوب , إذاً , خلاصة الموضوع : أن الشرك عندنا خطير , وخطورته أن الله سبحانه وتعالى لا يغفره , وذكرنا أن الشرك ينقسم إلى قسمين : شركٌ أكبر وشرك أصغر , الشرك الأكبر مُخرج من الملّة , صاحبه مُخلّد في نار جهنم , أما الشرك الأصغر فهو غير مُخرِج من الملّة , وصاحبه لا يُخلَّد في نار جهنّم , يُعذَّب على قدر ذنوبه ثم يخرج , وهو ـ على الصحيح ـ داخل تحت المشيئة , إذا شاء الله عذّبه وإذا شاء غفر له , كيف تعرف تميّز بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر ؟ الشرك الأصغر : ومنه الرياء , ومنه قول : [ما شاء الله وشئت] ومنه الحلف بغير الله في بعض الأحوال , هذا من الشرك الأصغر , ضابطه : كل ما دل الدليل على أنه شرك (ورد في الدليل في الكتاب أو في السنة على أنه شرك) وكان ذريعة إلى الشرك الأكبر , يعني : يوصل , وسيلة توصلك إلى الشرك الأكبر , كالحلف بغير الله مثلاً وسيأتي إن شاء الله تفصيل هذا كله , الحلف بغير الله شركٌ أصغر , لماذا ؟ لأنك عندما تحلف بشخص , تحلف بمُعظّم , والتعظيم هذا , أن تحلف بالمعظّم , لا يليق إلا بالله سبحانه وتعالى , فتعظيمك لهذا الشخص ربما يوصلك إلى تعظيمه كتعظيم الله سبحانه وتعالى , فتنتقل من الشرك الأصغر إلى الشرك الأكبر , فهو ذريعة إلى الشرك الأكبر , هذا معنى أن يكون ذريعة إلى الشرك الأكبر , يعني : يوصلك إلى الشرك الأكبر , كأن تقول مثلاً : ما شاء الله وشئت , شركٌ من حيث اللفظ , أن ت تجعل مشيئة الشخص كمشيئة الله سبحانه وتعالى لأنك عطفتها عليها بحرف العطف " واو " الذي لا يفيد ترتيباً وهذا ربما يوصل إلى الشرك مع الله سبحانه وتعالى , أن تجعل مشيئة الشخص كمشيئة الله سبحانه وتعالى , الشرك الأكبر , فلذلك حُرِّم , فهو من الشرك الأصغر , وهكذا , فهذا هو الضابط في التفريق ما بين

الشرك الأصغر والشرك الأكبر , الشرك الأكبر هو : أن تجعل لله نداً وهو خلقك , هذا تعريفٌ شاملٌ له , إذاً الشاهد من الآية أننا يجب أن نخاف من الشرك , لماذا ؟ لأن الشرك لا يغفره الله سبحاه وتعالى أبداً , بل صاحبه إذا لقي الله سبحانه وتعالى فهو خالد مخلّد في نار جهنم فمن دخلها مشركاً الشرك الأكبر لا يخرج منها (من النار) أبداً ,[فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواهم النار] وحرّم الله عليهم الجنة , هؤلاء المشركون الكفار , إذا لقوا الله سبحانه وتعالى , وهذا أخطر ما يمكن في الشرك أن تُخَلَّد في نار جهنم وألا تدخل الجنة أبداً , تُحرّم عليك , هذا المراد والمقصود من هذه الآية , إذاً : خلاصة الموضوع , لا بدّ أن نفرّق ما بين أن يكون الشخص مشركاً في الدنيا وأن يكون أيضاً مشركاً في , يلقى الله سبحانه وتعالى على الشرك , إذا أشرك في الدنيا تاب ورجع إلى الله سبحانه وتعالى قبل الغرغرة , قبل أن تنقطع التوبة , هذا يتوب الله سبحانه وتعالى عليه , وهذا المقصود من قول الله سبحانه وتعالى : [إن الله يغفر الذنوب جميعاً] , أما إذا مات ولقي الله سبحانه وتعالى بهذا الشرك الأكبر , فهذا يدخل النار ولا بدّ , وهو مخلّدٌ في نار جهنم لا يخرج منها أبداً , نعم .

ثم قال المصنّف رحمه الله تعالى :" وقال الخليل عليه السلام :[واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام]" : الخليل هو إبراهيم عليه السلام , النبي , قال : [واجنبني] : يعني : اجعلني وبَنيَّ , واجنبني وبنيَّ , يعني : أبناءي , يعني , اجعلني واجعل أبناءي بعيدين عن عبادة الأصنام , [واجنبني وبني أن نعبد الأصنام] : دعاءٌ من إبراهيم عليه السلام أن يجنبه الله سبحانه وتعالى وأن يجنّب أبناءه عبادة الأصنام , فإبراهيم عليه السلام وهو مَن هو في تحقيق التوحيد , كان يخاف على نفسه ويخاف على أبنائه من الشرك عبادة الأوثان , الأصنام , فكان يدعو الله سبحانه وتعالى بأن يجنّبه الله سبحانه وتعالى عبادة الأصنام , وكذلك كان يدعو لأبنائه بذلك , وقد استجاب الله سبحانه وتعالى له , يقول أحد أئمة السلف : " ومَن يأمن البلاء بعد إبراهيم ؟ " يعني : إذا كان إبراهيم عليه السلام _ وهو مَن هو _ كان يخاف على نفسه من عبادة الأصنام ,

فَمَن يأمن من ذلك بعد ذلك ؟ إذاً نحن أولى بالخوف من عبادة الأصنام ومن الشرك من إبراهيم عليه السلام فنحن أقل علماً وأضعف إيماناً من إبراهيم , فنحن أحرى أن نخاف من الشرك , لذلك يجب علينا أن نحرص على العلم , فبالعلم تستطيع أن تجتنب الشرك , فأنت إذا ما كنت تعرف ما هو التوحيد وما هو الشرك , لن تستطيع أن تحرص على التوحيد , وأن تفرّ من الشرك , فلا بد من العلم , نتعلّم التوحيد كي تعمل به وتعرف الشرك كي تفرّ منه وتجتنبه , كما قال : " كان حذيفة رضي الله عنه يسأل عن الشرّ ويسأل عن الفتن , لا لأنه حريصٌ عليها , بل لأنه يريد أن يفرّ منها , وهكذا نحن نتعلم التوحيد كي نعمل به , ونتعلم الشرك كي نفرّ منه ونُحذّر منه , فإذاً , لا بد من العلم ولا بد أيضاً من العمل بعد العلم , تتعلم , تعتقد , تعرف ما الذي جاء به نبيّك صلى الله عليه وسلم , وما هي دعوته , وما الذي كان عليه كفار قريش , حتى تفرّ من ذلك ولا تقع فيه , فلا بد من العلم ومن الإخلاص ومن الدعاء , كما كان إبراهيم عليه السلام يفعل , إبراهيم نبيُّ الله سبحانه وتعالى كان يدعو بهذا الدعاء , فنحن أولى أن ندعو به وأن نحرص عليه , النبيّ صلى الله عليه وسلم أيضاً كان يدعو يقول :" يا مقلب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك " وهو نبيّ الله عليه الصلاة والسلام , فنحن أولى وأحرى بأن نجتهد في الدعاء كي يُثبّتنا الله سبحانه وتعالى على الحق ويجنبنا الباطل والضلال والشرك اقتداءاً بأنبيائه , الشاهد من هذه الآية أن إبراهيم يخاف الشرك على نفسه وعلى أبنائه فكان يدعو بهذا الدعاء , فنحن أولى بذلك , بقي أن نفسّر معنى الأصنام , الأصنام : ما كان منحوتاً على صورة , منقوش نقش , حجر تنقشه وتجعله على صورة إنسان , على صورة حيوان , هذا يسمّى صنماً , كانوا قديماً يعبدون هذه الأحجار , وكانوا أيضاً يعملون أصناماً من التمر , يعجنون تمراً ويجعلونه صنماً , وإذا جاع الشخص منهم أكله , والوثن : أعم من الصنم , فكلُّ ما عُبِدَ من دون الله فهو وثن سواء كان على صورة أو على غير صورة , أما الصنم فهو خاصٌّ بالصورة فقط , هذا هو الصحيح في الفرق بين الأصنام والأوثان , فالقبور

أوثان , الأشجار التي تُعبَد أوثان , وهكذا . ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :" وفي الحديث: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال: الرياء" : أشدُّ ما أخاف عليكم , والنبي صلى الله عليه وسلم يخاطب أمّته , " الشرك الأصغر " : وقد فسّرناه ومنه الرياء " فسئل عنه فقال الرياء " : هذا أكثر ما يخافه النبي صلى الله عليه وسلم علينا , ليش ؟ لأنه دقيق , والناس لا ينتبهون إليه فيقعون فيه , إما بجهلٍ أو بغفلة , فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يخافه علينا كثيراً , من هنا جاء قول بعض السلف : " ما جاهدت شيئاً أشدّ عليّ من الإخلاص " , أيش يعني الإخلاص ؟ يعني : أن يعمل العبادة لا يريد بها إلا وجه الله سبحانه وتعالى , فالرياء يفسد الإخلاص , أيش معنى الرياء أصلاً ؟ مأخوذ من الرؤية , أن تعمل العبادة وتريد من الناس أن يروك كي يُثنوا عليك ويمدحوك , وهذا ليس خاصّاً بالرؤية , ربما حتى بالسماع , ترفع صوتك بالذكر مثلاً كي يسمعك الناس , يقولون : ما شاء الله , الرجل ذاكر , ترفع صوتك بقراءة القرآن , يقولون : ما شاء الله يقرأ القرآن وصوته حسنٌ بالقرآن أو بالفعل ترى فقيراً أمام الناس فتأتي وتعطيه مالاً من أجل أن يراك الناس , يقولون : متصدّق , هذا رياء , هذا معنى الرياء , المنافقون كانوا يُظهرون للناس الإسلام كي يراهم الناس أنهم مسلمون وهم في الحقيقة كفار , هذا أعظم أنواع الرياء , وهذا كفر , والرياء هذا من الشرك الأصغر , كما قال النبي صلى الله عليه وسلم , ويُفسد الأعمال , العمل إذا بدأ أساساً بالرياء فهو فاسد , بدأتَ صلاتك كي يراك الناس ويقولون مُصلٍّ , صلاتك هذه باطلة , أما إذا دخل عليك الرياء في أثناء الصلاة , أنت دخلت في الصلاة لا تريد من وراء ذلك إلا وجه الله سبحانه وتعالى فقط , وكبرت :" الله أكبر " تكبيرة الإحرام , وبدأت بصلاتك , فرأيت أناساً ينظرون إليك , فحسّنت صلاتك من أجل أن يمدحوك , ودخل الرياء عليك , هنا يُقال : إما أن يطرده الشخص في هذه الحالة , يطرد الرياء , يطرأ على قلبه فيطرده , لا يستمرُّ معه , يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم , وينصرف عن هذا , ويُخلص عمله

لله سبحانه وتعالى , فهذا لا يؤثّر في صلاته , وصلاته صحيحة , وإما أن يستمرّ معه , يعجبه الحال , يدخل عليه الرياء ويعجبه الحال , ويستمرّ معه , يرى أناساً ينظرون إليه فيدخل في قلبه شيء أنه يريد ثناءهم فبدل أن يصرفه استمرّ معه , هذا تبطل صلاته التي يصليها في لحظتها , مش كل صلاة من أولها إلى آخرها في حياته كلها , لا , الصلاة التي يصليها , لأن الصلاة مرتبط بعضها ببعض , فقط الصلاة التي يصلّيها مرتبطٌ بعضها ببعض , من تكبيرة الإحرام إلى التسليم , هذه كلها تبطل إذا استمر مع الرياء , هذا هو التفصيل لحكم المُرائي , وكما ذكرنا لكم , هذا الرياء من الشرك الأصغر فأمرُهُ خطير , والنبي صلى الله عليه وسلم خافه علينا لشدة خطورته , فنحن أولى أن نخاف على أنفسنا من الشرك , والواجب أن نخلص العمل لله سبحانه وتعالى , كيف تتخلص من الرياء ؟ وتجعل عبادتك خالصة لله سبحانه وتعالى ؟ أول الأسباب : الدعاء , أكثِر من دعاء الله سبحانه وتعالى أن يجنبك الرياء وأن يجنبك الشرك الأصغر والأكبر , أكثِر من الدعاء كثيراً , فإذا كان الأنبياء كانوا يدعون كما تقدّم , فنحن أولى بالدعاء بارك الله فيكم , الأمر الثاني : تستحضر في كل عبادة أن تعمل العبادة لا تريد فيها إلا وجه الله , لا تريد فيها أي مقابل آخر من أي إنسان , وكلما استطعت أن تكون عبادتك بينك وبين الله فافعل , يعني : إذا تمكّنت أن تصلي قيام الليل وحدك في مكان لا يراك فيه أحد فهو الأفضل , إذا تمكنت من أن تتصدق بصدقة ولا يراك فيها أحد فهو الأفضل , لأن ذلك يكون أكثر إخلاصاً , فعندما لا يراك أحد , لا تكون تريد من ذلك إلا وجه الله سبحانه وتعالى , بس , لكن أحياناً تحتاج أن تعمل عبادات لا بد أن يراك الناس فيها , فهنا تحتاج أن تجاهد نفسك , " ما جاهدت شيئاً أشد عليّ من الإخلاص " , ولا يزال العبد في معارك مع نفسه في هذه القضية ويجب أن يتغلب عليها بكثرة الدعاء لله سبحانه وتعالى , ربّنا سبحانه وتعالى يعينه على هذا , وفقنا الله وإياكم إلى إخلاص العمل له وحده تبارك وتعالى , ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنّبنا الشرك الأصغر والأكبر

هذا الحديث الذي تقدّم : " أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " أخرجه أحمد في مسنده , وهو صحيح , ثم قال المصنّف رحمه الله تعالى :" وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار" رواه البخاري " أي في صحيحه :" من مات " أي شخصٍ يموت " وهو يدعو " يعني : وهو يعبد غير الله سبحانه وتعالى , " وهو يدعو من دون الله " يعني : وهو يدعو , وهو يعبد من غير الله نداًّ مثيلاً لله تبارك وتعالى , لأنك إذا عبدت شخصاً فقد جعلته مثيلاً لله سبحانه وتعالى فالند هو الشبيه , النظير , المثيل , نفس المعنى , " من مات وهو يدعو من دون الله نداً " يعني : جعله لله نداً فعبده مع الله , لأن الدعاء هو العبادة كما جاء في حديث النعمان بن بشير قال : " الدعاء هو العبادة " , النبي صلى الله عليه وسلم , وهو في السنن الأربعة وهو صحيح , فهنا , من مات وهو يعبد غير الله سبحانه وتعالى دخل النار , من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار إذاً , ينبغي عليك أيش ؟ أن تخاف من الشرك أن تكون من أهل النار , وليس الدخول هنا فقط دخول مؤقت ثم تخرج , لا , هنا الدخول دخول مؤبد , لا تخرج منها أبداً , لأنه أيش ؟ لأنه قد دخل مشركاً , مات وهو مشرك , يدخل النار ولا يخرج منها أبداً , كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : [إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ] آية واضحة وصريحة , من مات مشركاً لا يدخل الجنة أبداً ومأواه النار , المأوى والمستقر له : هو , هي النار , لا يخرج منها أبداً , هذا معنى الحديث , هنا , أنه يدخل النار ولا يخرج منها , فهذا يقتضي أن تخاف من الشرك خوفاً شديداً وأن تفرّ منه , " رواه البخاري في صحيحه " قال المصنف رحمه الله " ولمسلم ـ يعني في صحيح مسلم ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار" " من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة , هذي فضيلة التوحيد , أن من لا يشرك بالله سبحانه وتعالى لا بد له أن يدخل

الجنة , بالتوحيد تدخل الجنة , وبالشرك تدخل النار , بالتوحيد تخلَّد في الجنة وبالشرك تخلَّد في النار , من مات لا يشرك بالله شيئاً , لا يشرك بالله سبحانه وتعالى شيئاً , يعني : لا يعبد مع الله أي شيء , لا حجر ولا شجر ولا نبي ولا ملك , لا إنس ولا جن , ولا أي شيء , نهائياُ , دخل الجنة , مأواه في النهاية واستقراره يكون في الجنة , ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولا بد , من أشرك مع الله سبحانه وتعالى غيره دخل النار , وهو مخلّد في نار جهنم بالشرك الأكبر , والشرك الأصغر على تفصيل كما ذكرنا سابقاً , إذاً الشاهد من هذا الحديث أنه من لقي الله سبحانه وتعالى , يعني مات على التوحيد فهو من أهل الجنة , ومن مات على الشرك فهو من أهل النار ويقتضي ذلك أن تخاف من الشرك وأن تفرّ منه , وأن تأخذ في الأسباب في ذلك , التي ذكرناها آنفاً , وبهذا نكون قد بيّنّا مراد المؤلف من سَوقه لهذه الآيات والأحاديث في هذا الباب , وخلاصته : أن المؤمن ينبغي أن يخاف من الشرك , ويحتاج لذلك أن يتعلم ما هو التوحيد وما هو الشرك كي يعمل بالتوحيد وكي يفر من الشرك , فإذا تعلّم وعرف , عمل بعد ذلك واجتنب ما علم أنه من الشرك , فما كان خاصاً بالله سبحانه وتعالى يفرده به ولا يشرك معه غيره , نسأل الله أن يوفّقنا وإياكم إلى توحيده وإخلاص العمل له وأن يجنبنا الشرك ما ظهر منه وما بطن , وفّقنا الله إياكم لطاعته , وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

الدرس رقم 05

تفريغ الدرس الخامس :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

معنا اليوم الباب الرابع من أبواب شرح كتاب التوحيد ,

قال المؤلف رحمه الله تعالى : " باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله " ذكر المؤلف في بداية الكتاب تفسير التوحيد , وعرفنا ما هو التوحيد ؟ ثم ذكر فضل التوحيد كي يرغّبنا به , وذكر التخويف من الشرك الذي يُضادّ التوحيد , فأنت علمت ـ فيما تقدّم ـ أنه يجب عليك أن تتعلم التوحيد , وأن تعتقد معناه وأن تعمل بمقتضاه , بعد ذلك , لا تكتفي بنفسك , بل يجب عليك أيضاً أن تدعو الناس إلى التوحيد , لذلك أتى المؤلف رحمه الله بهذا الباب , وقال : " باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله " , شهادة أن لا إله إلا الله عرفنا معناها فيما تقدّم , وهي التوحيد ." الدعاء " : يعني : دعوة الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى , فهذا الباب معقود ليبيّن لك المؤلف وجوب دعوة الناس إلى التوحيد , كل مسلم يجب عليه أن يدعو الناس إلى التوحيد , وإلى طاعة الله سبحانه وتعالى وإلى شرعه , بحسب قدرته , وحسب ما يمرّ به من أناس , يبدأ بأهل بيته ومن حوله , أي نعم , فيدعو الناس إلى توحيد الله سبحانه وتعالى ولا يبقى ساكتاً , كل إنسان يجب عليه أن يدعو إلى دين الله سبحانه وتعالى بقدره , بالقدر الذي عنده من العلم , والقدر الذي يستطيعه . قال المصنّف رحمه الله تعالى : " وقول الله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} " " قل " : يا محمد " هذه سبيلي " : هذه , التي هي , الطاعة التي أتيت بها , والدين الذي جئت به , دين التوحيد , والسنة , والطاعة . " هذه سبيلي " : أي : هذه الدعوة التي أدعو إليها هي طريقي , طريقتي , ودعوتي , فالسبيل هو الطريق , فهذا الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم هو طريقه , هو

هديه . " أدعو إلى الله " : إذاً من طريقة النبي صلى الله عليه وسلم ومن هديه الدعوة إلى الله , ماذا يعني أن تدعو إلى الله ؟ يعني : أن تدعو الناس أن يوحّدوا الله سبحانه وتعالى وأن يدخلوا في دين الإسلام , وأن يطيعوا ربّهم تبارك وتعالى ويتّبعوا نبيّهم , هكذا تكون الدعوة إلى الله , تدعو الناس إلى أن يرجعوا إلى ربهم بالتوحيد وبالطاعة وباتّباع هدي النبي صلى الله عليه وسلّم , هذا معنى أن تدعو الناس إلى الله سبحانه وتعالى , لأن الذي يدعو كثير , اليوم خاصّةً نراهم كُثُر يدعون , وكلٌّ يدّعي أنه يدعو إلى الله لكن في الحقيقة , البعض يدعو إلى الله , والبعض يدعو إلى غير الله سبحانه وتعالى , الدعوة واحدة , كلّهم يقولون , يدّعون أنهم يدعون إلى الله , لكن الحقيقة خلاف ذلك . البعض يدعو إلى الله سبحانه وتعالى على الوجه الذي ذكرنا , والبعض يدعو إلى نفسه , وهذا كثير , واليوم كثيرٌ جدّاً , الذين يدعون الناس إلى تعظيمهم ومحبّتهم والتعلّق بهم , هكذا يكون المرء داعياً إلى نفسه , يدعو الناس أن يعظموه وأن يحبّوه وأن يطيعوه ولا يخالفوا أمره , ولا يذهبوا إلى غيره , هذا موجود , وموجودٌ بكثرة كما قلت لكم , هذا يدعو إلى نفسه , لا يدعو إلى الله , يغضب إذا سمع أن أحداً من الطلبة ذهب إلى غيره , حتى لو كان الذي ذهب إليه من أهل السنة , وربّما يكون أعلم منه , لكنه يغضب , يغضب إذا سمع أن شخصاً ترك أمره وذهب وأخذ بأمر غيره , حبّ الرياسة , حبّ الصدارة , حبّ المشيخة , هؤلاء هم الذين يدعون إلى أنفسهم , همّه أن يكثّر الناس من حوله - الذين يحبّونه ويعظّمونه ويسمعون أوامره - هذا هو الذي يدعو إلى نفسه , لا يدعو إلى الله سبحانه وتعالى هذا حقيقة , وإنِ ادّعى أنه يدعو إلى الله , لكنّه كاذب . ومن الناس من يدعو إلى حزبه , كجماعة التبليغ مثلاً , هؤلاء لا يدعون إلى الله , يدعون إلى حزبهم , عندهم نقاط يوالون ويعادون عليها ويدعون الناس إليها , هذه طريقة جماعة التبليغ , أصلهم العظيم : هو الخروج , افعل ما شئت من الشرك , من الضلالات , بما أنّك تخرج معهم , توافقهم في نقاطهم , تعظّم رئيسهم , فأنت منهم , حبيبهم , من جماعتهم , يوالونك ويحبونك ,

إذا لم تفعل ذلك يبغضونك , وإن أظهروا لك الوجه الحسن , هذا الوجه الحسن مؤقتاً ريثما يسحب قدمك , إن استطاعوا , فهؤلاء حقيقة يدعون إلى حزبهم , إلى جماعتهم , إلى طائفتهم , كذلك جماعة الإخوان المسلمين , يقف في المسجد ويتكلم , وقال الله , قال رسول الله , ولمّا تركّز في كلامه تجده في النهاية يدعوك إلى حزبه , إلى طائفته , هذا يدعو إلى حزب , لا يدعو إلى الله سبحانه وتعالى , معنى أن تدعو إلى الله : أن تعلّق الناس بكتاب الله , وبسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم , وبمنهج أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم , منهج السلف الصالح , الأئمة الأربعة , أبو بكر , عمر , عثمان , علي , ومن انتهج نهجهم من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين , تُعلِّق الناس بهذا وتعلق الناس بالأئمة الذين ساروا على نهج هؤلاء , هذا معنى أن تدعو إلى الله سبحانه وتعالى لا أن تدعو إلى حزبية وطائفية , منحرفة عن الجادّة , هذه صور من الدعوة إلى غير الله سبحانه وتعالى , وانتبه , ستميّز أنت في دعوات الناس , هناك دعوات كثيرة مختلفة في الساحة , الذي يدعوك إلى الله هو من دعاك إلى كتاب الله , تتمسّك به , تعمل بما فيه من صغير وكبير , دعاك إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم , وإلى منهج السلف الصالح , وإلى الأخذ بكلام الأئمة الربّانيين الذين ساروا على ذاك المنهج , هؤلاء هم الذين يدعون إلى الله , واحذر ممن يدعون إلى غير الله بدعوى أنهم يدعون إلى الله , إذا رأيته يدعوك إلى نفسه , إلى محبّته , إلى تعظيمه , إلى الأخذ بأقواله , وعدم الخروج عن أقواله , هذا يدعو إلى نفسه , محبٌّ للرياسة والصدارة , هؤلاء كُثُر كما ذكرنا , إذا رأيته يدعوك إلى حزبه , إلى جماعته , إلى نقاطه التي يوالي ويعادي عليها , فاحذره فهو حزبي . " قل هذه سبيلي أدعو إلى الله " : هذا الواجب , وهذه طريقة النبي صلى الله عليه وسلم , يدعو إلى الله , وأعظم الدعوة إلى الله أن تدعو الناس إلى توحيده . " على بصيرة " : الدعوة إلى الله يجب أن تكون على علم , البصيرة هي العلم , العلم بثلاثة أمور : العلم بشرع الله تبارك وتعالى وهذا الذي يفتقده أكثر الدعاة في هذا الزمان , جُهّال , كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله لا

ينتزع العلم انتزاعاً من صدور العلماء , ولكن ينتزع العلم بقبض العلماء , فإذا لم يُبقِ الله عالماً , اتّخذ الناس رؤوساً جهّالاً , فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلوا " هذا زماننا الذي نعيشه , وليس معنى هذا الحديث أن العلماء ينتفون تماماً , لا , لأن الطائفة المنصورة باقية , وأسُّ الطائفة المنصورة وأصلها هم العلماء , لكن يقلّون جدّاً , ويصيرون مغمورين بين الناس , وهذا الواقع الذي نعيشه تماماً , هؤلاء أصحاب الحزبيّات المختلفة , هم ممّن يدعون إلى الله بجهل , وبعضهم يدعو إلى غير الله أصلاً , فأنت تحذر , لا بد من العلم , العلم بشرع الله سبحانه وتعالى ولا تدع إلى الله بجهل , ما تعلّمته بلّغه وما جهلته فاسكت عنه , العلم بشرع الله , والعلم بحال المدعوّ : وهذا أمرٌ مهمٌّ جدّاً أيضاً , ويدلّنا عليه الحديث الآتي إن شاء الله في حديث معاذ قال له النبي الله صلى الله عليه وسلم : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فبين له حال الذين يريد أن يأتي عليهم حتى يعدّ نفسه لدعوتهم بالطريقة التي يفهمونها , ويعدّ نفسه لشبهاتهم ... الأمر الثالث : العلم بكيفية إيصال الدعوة , يعني , الطريقة الموصلة , الطريقة الصحيحة الموصلة إلى الثمرة التي تبتغيها من الدعوة , كيف تدعو الناس ؟ يحتاجون إلى رفق , يحتاجون إلى حكمة في التعامل , يحتاجون إلى أدب , إلى أخلاق منك فتنظر إلى الطريقة الصحيحة في الدعوة الناس , لا تتنازل عن دين الله وشرعه من أجل أن تدعو الناس , لا.....لكن لابد أن تراعي أحوال الناس وأن تدعوهم بحكمة , رفق , لين , بأدب , بخلق , حتى يقبلوا منك ..﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ربّنا - سبحانه وتعالى - يقولها لنبيه عليه الصلاة والسلام , ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا يتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه)) , ما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينفّر الناس , فامتنع عن قتل المنافقين , حكمة في الدعوة , وبابها عظيم , تعرفها وتمرس بها من خلال العلم , تحتاج أن تتعلم , يوم على يوم تأتيك , تتمكن منها إن شاء الله , ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ أي : هذا هو هديِ , وهذه طريقتي : أدعوا إلى الله على بصيرة , أنا

أدعو إلى الله على بصيرة , ومن اتبعني - كذلك - يدعو إلى الله على بصيرة , فمن اتبع النبي صلى الله عليه وسلم صار على نهجه , وأخذ سنته في ذلك , فيدعو الناس على علم , { وَسُبْحَانَ اللَّهِ } ينزّه الله – سبحانه وتعالى – عن النقائص , سبحان الله تنزيه الله - سبحانه وتعالى – عن النقائص , { وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } من النقائص لله – سبحانه وتعالى – أن تجعل لله نداً تدعوهُ وتعبده , فنزّه الله – سبحانه وتعالى – عن النقائص ومنها هذه , وقال { وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } لستُ من المشركين , بل أنا من الموحدين , وأدعو الناس إلى توحيد الله – سبحانه وتعالى - , الشاهد من هذه الآية : أن هديَ النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس إلى التوحيد , وكذلك يجبُ أن يكون هديُ من اتبع النبي صلى الله وسلم , لأنه يسير على هدي النبي صلى الله عليه وسلم , فواجب – أذاً – علينا أن ندعو الناس إلى توحيد الله – تبارك وتعالى – بعد أن نتعلّم ونعمل , نعم ثم قال المصنف –رحمه الله تعالى - : ((عن ابن عباس رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن ....)) النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن ليدعو الناس إلى دين الله – سبحانه وتعالى – ولم يكن أهلُ اليمن ,- وقتها – قد دخلوا في الإسلام , نلاحظ – أولاً – من الذي أرسلهُ النبي صلى الله عليه وسلم ؟ أرسل معاذاً , ومعاذ هذا , هو معاذ بن جبل , أحد علماء الصحابة الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يأتي يوم القيامة , يتقدم العلماء بركب (بخطوة) , فهو عالم , فلم يُخرج النبي صلى الله عليه وسلم جاهلاً يدعو الناس إلى الله (كما يفعل جماعة التبليغ , وغيرهم من الجماعات) إنما أرسل عالماً وبهذا نعلم أن الذي يخرج إلى دعوة الناس إلى الله هم أهل العلم , لأن عندهم علمٌ يستطيعون أن يُبلغوه , أما الجاهل ماذا عنده ؟ فاقدُ الشيء لا يعطيه , هذا واجبهُ , أن يجلس ويتعلّم عند العلماء , لا يخرج ويقوم في المساجد ويتكلم بجهل ,فَيَضِلّ ويُضِلّ , هذه طريقة أهل الضلال , أهل البدع الذين يخترعون في دين الله ما ليس منه , ما كان هذا حال الذي عليه جماعة التبليغ موجود على زمن النبي صلى الله عليه وسلم , ولا

على زمن الصحابة , كان يتولى الدعوة العلماء , يخرجون و يبلغون الناس , ولا يخرجون على طريقة جماعة التبليغ , يخرجون كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج , كما كان الصحابة من العلماء يخرجون و يبلغون الناس, و يعلمونهم , ((لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب)) لاحظ هنا ماذا أخبره ؟ قال له : إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب , أخبرهُ بحالِ القومِ الذين سيذهبُ إليهم , هو عالم سيدعو إلى اللهِ على علمٍ (على بصيرةٍ) عالم بشرع علّمه حال المدعو (وهم أهل الكتاب) فيعرف كيف سيناظرهم ويتكلّم معهم , قال : ((فليكن أوّلُ ما تدعوهم إليه)) يصحّ أن تقول : أوّلُ أو أوّلَ , الأمر سهل - إن شاء الله - قولان للعلماء , وأمر في هذا واسع ((فليكن أولُ ما تدعوهم إليه شهادةَ أن لا إله إلا الله)) شهادة أن لا إله إلا الله , يصحّ أن تقول : شهادةُ... إذا قلت في الأولى : فليكن أولُ , تقول : شهادةَ , و إذا قلت : فليكن أولَ , تقول : شهادةُ , لأنها اسم كان و خبرها , هذا من أجل الحفظ فقط ...... فليكن أولُ ما تدعوهم إليه شهادةَ أن لا إله إلا الله , إذاً , أولُ دعوتك عندما تصل إلى أهل الكتاب تُكلّمهم في ماذا؟ في التوحيد , هي أولُ دعوة الأنبياء ,

وإلى هذا كانوا يُرسلون أصحابهم , إلى دعوة التوحيد, وقد شرحنا معنى شهادة أن لا إله إلا الله , والشاهد : أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل معاذاً ليدعو أهل اليمن إلى توحيد الله - تبارك وتعالى - وهي أولُ دعوة , قال : ((وفي رواية إلى أن يوحدوا الله)), المعنى واحد , شهادة أن لا إله إلا الله , و يوحدوا الله , واحد , ((فإن هم أطاعوك لذلك)) شوف الآن كيف الانتقال في المراحل ؟ تبدأ بالأهم فالمهم بعد ذلك , تقدم الأهم , ثم المهم .... أهم شيء التوحيد .... فإن يطيعوا فلا داعي لأن تكمل معهم ... لأنه من غير التوحيد لا ينفع شيء , لا ينفع عمل , وإن هم جابوا ((فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يومٍ وليلة)) أركان الإسلام الخمسة تدرّج فيها النبي - صلى الله عليه وسلم - (بني

الإسلام على خمس : خمس أن لا إله إلا الله , وأن محمد رسول الله , واقام الصلاة , و إيتاء الزكاة , و صوم رمضان , والحج), هذه أركان الإسلام الخمسة , أول شيء التوحيد , لأن هو أعظمها , ثم الصلاة , أعظم , الأعمال , و أولُ ما يحاسب عليه العبد من العبادات , ((فإن هم أطاعوك لذلك)) تنتقل للتي بعدها ((فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم)) وهي الزكاة ((فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم)) يعني : إذا أطاعوك , أعطوا الزكاة , فأحذر أن تأخذ أنفس ما عندهم من أموال ((واتق دعوة المظلوم)) وإياك أن تظلم عبداً بأن تأخذ منه ما ليس بحقّ , و إياك ودعوة الظلوم واتق دعوة المظلوم , لماذا؟ قال : ((فإنه ليس بينها وبين اللّه حجاب)) أخرجاه , يعني : تصل إلى الله مباشرةً , ويستجيب الله - سبحانه وتعالى - لها مباشرة فأحذر من دعوة المظلوم .... ما من ظالم إلا وسينالُ عاقبة ظلمه , أخرجاه , يعني : في الصحيحين , الشاهد : أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل معاذاً لكي يدعو أهل اليمن إلى توحيد الله - سبحانه وتعالى - فبعد أن تعلم معاذٌ , وعمل , دعا إلى الله - سبحانه وتعالى - وأمره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك , فلا بدّ - إذاً من دعوة الناس إلى التوحيد , وإلا كيف ينتشر الإسلام ؟ وكيف تنتشر دعوة التوحيد ؟ إذا لم ينشط كل واحدٍ منا بالدعوة إلى ما تعلمه من ذلك . قال المصنف رحمه الله تعالى "ولهما" يعني : البخاري ومسلم عن سهل بن سعد بن مالك الخزرجي , صحابي مشهور ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر)) يوم خيبر , يعني يوم غزوة خيبر , وخيبر مدينة بالقرب من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسكنها اليهود , قال صلى الله عليه وسلم : ((لأعطينّ الراية غداً , رجلاً يحب اللهَ ورسولهُ , ويحبه اللهُ ورسولهُ , يفتح الله على يديه)) لأعطينّ الراية غداً يعني وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله سيفتح على يديه , وهذا من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر أنه سيفتح على يديه , وقد فُتح على يديه - كما أخبر عليه الصلاة والسلام - قال : لأعطينّ الراية , الراية هو الذي

نسميه اليوم : العلم , نفس الصورة , يكون هذا العَلَم مع الجيش , يدل على – يعني – جماعتهم , وعلى – يعني - انفصالهم عن غيرهم , فمن كان تحت هذه الراية , فهو يكون منهم واختلف العلماء في الفرق بين الراية واللواء , ذهب جمع من أهل العلم إلى أنه لا فرق بين الراية واللواء , كلاهما واحد , والبعض قال : الراية هي التي نسميها اليوم بالعَلَم , و أما اللواء فهو الذي يكون عبارة عن عصا ملفوف في أعلاها خرقة لفّ , هذا يسمى لواءً , يعني العَلَم يكون يرفرف , أما اللواء يكون ملفوف لف على عصا , هذا الفرق بينهما , ولا يصح – عندي – حديث لون راية النبي صلى الله عليه وسلم , ما جاء من روايات بأنها كانت سوداء لا يصح منها شيء , قال: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله , وهذه منقبة لهذا الرجل الذي سيُعطى هذه الراية فقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يحبه , وأن النبي صلى الله عليه وسلم – أيضاً – يحبه , ويحب الله ويحب رسوله صلى الله عليه وسلم , فهذه شهادة بالإيمان , وهذه الشهادة لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه , فنحن نحبه لأن الله يحبه , ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم يحبه , لكننا لا نغلو فيه كما غلت فيه الشيعة , - أيضاً- نجفو فيه كما جفت فيه الناصبة , والخوارج , كفروه ... الخوارج كفرته , والنواصب فسقته ,لا هكذا ولا هكذا , نحن معتدلون في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم , نحبّهم و نتولّاهم , ولا نغلو فيهم , لا نعطيهم أكثر من حقهم , هم بشر , قال : يفتح الله على يديه , يعني : أن الله – سبحانه وتعالى – سينصره وسيفتح خيبر , وقد فُتحت ((فبات الناس يدوكون ليلتهم)) بات الناس في الليل يدوكون , يعني : يخوضون , يتناقشون , من هو هذا الشخص الذي سيأخذ هذه الراية وسيحصل على المنقبة المذكورة هذا المهم عندهم , هؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم , كانوا أصحاب دين وإيمان , ما كان يهمهم الرياسة , الصدارة , والإمارة , إنما كانوا يريدون المنقبة التي ذُكرت على لسان النبي صلى الله عليه وسلم , يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله , فأخذوا يدوكون في ذلك , يتناقشون مَن الذي سيكون

أهلاً لأخذ الراية هذه ؟ أو من الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ((فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها)) كل واحد منهم يتمنى أن يعطاها لأجل أن يحصل على هذه المنقبة ((فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم)) غدوا , يعني: ذهبوا مبكرين , فالغدوة هي الذهاب في الصباح الباكر , فذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الصباح الباكر((كل يرجو أن يعطاها)) لماذا ؟ للمنقبة , لا حرصاً على الإمارة , ((فقال : أين عليُّ بن أبي طالب ؟ فقيل هو يشتكي عينيه)) - مريض - به مرض في عينيه , يسمى داء الرَّمَد ((فأرسَلوا إليه فأُتي به , فبصق في عينه ودعا لهُ , فبرأ كأن لم يكن به وجعٌ)) من أدلّة نبوّة النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً , فهذا الحديث فيه دليلان على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم , الأول : أنه أخبر بفتح خيبر على يد عليّ وقد فتحت , والثاني : هذا , بصق في عيني عليّ ودعا لهُ فبرأ , كأن لم يكن به وجع , يعني : عاد صحيحاً تماماً ((فأعطاهُ الراية)) , إذاً من كان صاحب تلك المنقبة ؟ هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه , فقال : (يعني : النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ) ((انفذ على رسلك)) يعني : انطلق واذهب , على مهلك , كما نقول اليوم - شوي شوي - , ((حتى نزل بساحتهم)) يعني : إلى أن تصل إلى ما يقرب منهم , وما حولهم , هذه تسمى ساحتهم , بحيث تتمكن من الكلام معهم - يعني : ((ثم أدعهم إلى الإسلام)) هذا الشاهد , النبي صلى الله عليه وسلم أرسل عليّاً - معه الجيش - وأوصاه أن يدعو الناس إلى الإسلام , وأصل الإسلام التوحيد , إذاً , لابد أن يدعو الناس للتوحيد , يدلنا هذا على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرسل أصحابه لدعوة الناس إلى التوحيد , لكن في أُناس عندهم عناد , تدعوهم إلى التوحيد ولا يقبلون , يعاندون , لهم مصالح , مآرب , التوحيد هذا سيفسد مصالحهم , كالجاه , الرياسة , ذهاب الأموال .... أي شيء من هذه الأمور ...., فذلك ما كانوا يستجيبون لدعوة التوحيد , هؤلاء لابد من إزالتهم من طريق نشر الدين , لأنهم يمنعون إيصال الدين إلى الناس , هؤلاء رؤوس يكونون في أقوامهم

فلا بد من إزالة هذه العقبات أمام نشر الإسلام , الناس - أصلاً - خلقوا من أجل التوحيد , من أجل عبادة الله - سبحانه وتعالى - ما خلقوا للهو واللعب وتضييع الأوقات , لأ , خلقوا لعبادة الله , إذاً , لابد من أنم نبلغ الناس هذه الدعوة , و أن ندعوهم إلى دعوة التوحيد فإذا كان هناك عقبات , فلابد من إزالتها , فلذلك شُرِع الجهاد , القتال , قتال الكفار , ليس هدف الإسلام القتل , القتل ليس غاية في دين الله - سبحانه وتعالى - , القتال وسيلة فإذا احتجنا إليه فعلناه , وإذا لم نحتج إليه ابتعدنا عنها , القتل ليس غاية كما هو الحال عند الخوارج , الخوارج عندهم القتل غاية , يريدون أن يقتلوا , يسفكوا الدماء , كداعش وغيرها , أما في الإسلام , لا .... لاحظ قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يتحدّث الناس محمد يقتل أصحابه) امتنع النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل من كانوا يستحقون القتل , لأجل ألا يكون ذلك عقبة في طريق الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - وهؤلاء يقتلون من لا يستحق القتل , ينفرون الناس عن دين الله - سبحانه وتعالى - لا والله ما هم على هدي النبي صلى الله عليه وسلم ولا على طريقته , قال ((ثم ادعهم إلى الإسلام)) , إذاً , قبل القتال لابد من دعوة الناس إلى الإسلام , مَن لم تبلغه الدعوة , من بلغته الدعوة لا يجب على المقاتل قبل أن يقاتل أن يدعوهم إلى الإسلام , لأن الدعوة قد بلغتهم , لذلك جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا سمع الأذان في قرية لم يغر عليها , وإذا لم يسمع الأذان أغار , هذا محمول على أنه يغير على من الأقوام الذين يعلم أن الدعوة قد بلغتهم , وهذا الحديث - الذي معنا - على أقوام لم تبلغهم الدعوة , لابد من بلاغ الدعوة أولاً .. فقال : ثم ادعهم إلى الإسلام الشاهد هو هنا , دعوة الناس إلى التوحيد , ((وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه)) يعني : من حق الله تعالى , في الإسلام , يعني : لابد أن يعلموا أنه يجب عليهم إقامة الصلوات والزكاة , والصيام وما شابه من أحكام , قال ((فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُر النّعم)) , لأن يهدي الله بك رجلاً واحد , شوف فضيلة

الدعوة إلى التوحيد , هذه فضيلة عظيمة ينبغي على كل مسلم أن يحرص عليها , تدعو الناس إلى التوحيد , تدعوا الناس إلى السنة , تدعو إلى الطاعة , لأنه إذا هُدي إنسان على يديك , إذا هداه الله - سبحانه وتعالى - وفقه إلى الحق على يديك يكون لك فضل عظيم حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خير لك من حُمر النّعم ... حمر جمع أحمر , والنّعم هي الإبل , والإبل الحمراء هذه هي أنفس أموال العرب التي كانت عندهم , وكانوا يحرصون جداً عليها لنفاستها , فهذه الأموال النفيسة لا تساوي شيئاً أمام أن يهدي الله - سبحانه وتعالى - على يديك رجلاً واحد , شخص واحد أن يهُدى على يديك وتكون أنت سبباً في هدايته , تحصل على خير عظيم عند الله - سبحانه وتعالى - لا يقارن به خير الدنيا , هذا الزائل , الفرق بين الحُمْر و الحُمُر , حُمْر (الميم ساكنة) حمُر (الميم مضمومة) عندما تقول : حُمُر : هذا جمع حمار , والحُمْر : جمع أحمر .... فإذاً , هذا الحديث فيه الدعوة إلى التوحيد , وفيه فضيلة من يهدي الله - سبحانه وتعالى - على يديه رجلاً واحداً , وفضيلة الدعوة إلى التوحيد .... قال : ((يدوكون أي يخوضون)) .. هذه تفسيرية , تفسر معنى الكلمة التي تقدمت في الحديث ... هذا ما أردنا أن نبيّنه في يومنا هذا , والحمد لله وخلاصته : أنه يجبُ على من تعلّم التوحيد وعمل به , أن يدعوا الناس إليه , كلٌّ على حسب علمه , وعلى حسب قدرته { لا يكلف الله نفساً } ... وفقنا الله وإياكم لطاعته , وسبحانك اللهم وبحمدك , أشهد أن لا إله إلا أنت , أستغفرك وأتوب إليك

الدرس رقم 06

تفريغ الدرس السادس :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

اليوم معنا مجلس جديد من مجالس شرح كتاب التوحيد , وصلنا عند الباب الخامس , قال المؤلف رحمه الله :" باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله " يعني : هذا الباب معقود لبيان معنى التوحيد , هذا معنى التفسير , التفسير : الكشف والبيان والإيضاح , فهو باب معقود لتفسير معنى التوحيد , التوحيد تقدّم معنا تفسيره , وشهادة أن لا إله إلا الله تدلّ على التوحيد , شهادة أن لا إله إلا الله , كذلك تقدّم معنا تفسيرها وبيان معناها , وهذا العطف : عطف مترادفين , المعنى واحد , معنى التوحيد ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله واحد , إلا أن الشهادة هي تدلّ على التوحيد , على كلٍّ المراد واحد , وهو : تفسير .. المراد من هذا الباب , هو : تفسير معنى كلمة التوحيد , ربّما يقول قائل : قد تقدّم معنا تفسير التوحيد , وذكر آيات في بداية الكتاب فسّر فيها التوحيد , وإنما قال أهل العلم : أراد بهذا ـ يعني ـ الباب : زيادة إيضاح , وزيادة بيان , وذكر من الأدلة ما ـ يعني ـ يوضّح الطريقة ـ يعني ـ تجعله أكثر كشفاً , أكثر إيضاحاً , خصوصاً في المسائل التي ـ يعني ـ حصل فيها الشرك أكثر في الزمن الذي نزلت فيه رسالة النبي صلة الله عليه وعلى آله وسلم , فالمقصود في النهاية من هذا الباب هو : تفسير معنى التوحيد , قال المصنّف رحمه الله تعالى :" {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ} " : هذه الآية , المقصود منها ـ عند قوله :{ أولئك الذين يدعون } ـ يعني : القوم الذين يعبدون بعض الناس أو بعض الخلق ويرغبون إليهم بالدعاء , ويخضعون ويتذلّلون لهم , هم أنفسهم الذين يخضعون لهم ـ أي المخضوع لهم ـ يعني لو قلنا مثلاً : الذين يعبدون عيسى عليه السلام , الذين يعبدون مريم , الذين يعبدون عزيراً , أو الذين يعبدون الجنّ الذين كانوا في فترة نزول الوحي ,

كان بعض العرب يعبدون أقواماً من الجن والبعض كانوا يعبدون الملائكة , الملائكة والجن وعيسى ومريم , هؤلاء الذين يعبدونهم هم أنفسهم يخضعون ويتضرّعون إلى الله { ويبتغون إلى ربّهم الوسيلة } يعني : يطلبون إلى الله القربة سبحانه وتعالى , الوسيلة : الشيء الذي يوصل إلى الله , وهذا الشيء الذي يوصلهم إلى الله هو القربة , فهم أنفسهم يخضعون ويتذلّلون لله سبحانه وتعالى ويتقربون إليه , فكيف بعد ذلك تذهبون أنتم وتخضعون وتتذلّلون إليهم ؟ وهم أصلاً بحاجة إلى معونة الله سبحانه وتعالى وإلى القربة إلى الله سبحانه وتعالى , يعني : فاقد الشيء لا يعطيه , هم أنفسهم بحاجة إلى الله سبحانه وتعالى وبحاجة إلى القربة إلى الله سبحانه وتعالى , فكيف أنت تذهبون وتخضعون وتتذلّلون إليهم وتطلبون وتدعونهم من دون الله سبحانه وتعالى ؟ هذا باطل , هذا معنى الآية , لكن : ما المقصود منها في هذا الموطن بالذات ؟ المقصود من هذا , قال أهل العلم , أن التوحيد لا يتمّ حتى تترك عبادة غير الله سبحانه وتعالى , أن تترك دعاء غير الله سبحانه وتعالى لأن دعاء غير الله هو شرك , والله سبحانه وتعالى ذكر هذه الآية منكراً على الذين كانوا يدعون غيره فأنكر عليهم ذلك , وهذا هو الشرك , دعاء غير الله هو الشرك , والأشياء بضدّها تُعرف , والأشياء بضدّها تُعَرف , وتعرف الأشياء بضدّها , فإذا ذكرت الضدّ عُرِف الشيء , يعني : الآن ضد التوحيد هو الشرك , دعاء غير الله شرك , إذاً المقصود هو أيش ؟ التوحيد , فإذا تركنا دعاء غير الله سبحانه وتعالى وجعلنا الدعاء لله سبحانه وتعالى فقط , عندئذٍ نكون موحّدين , فهذا هو المقصود بالتوحيد , فالتوحيد لا يتمّ إلا بالبراءة من الشرك , هذا معنى التوحيد , معنى التوحيد : أن تدعو الله سبحانه وتعالى , أن تعبد الله وحده وألا تشرك معه غيره من الخلق الذين هم بحاجة إلى الله سبحانه وتعالى , وهم بحاجة إلى القربة إلى الله سبحانه وتعالى , هذا معنى الآية وهو المقصود منها , والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم قال المؤلف رحمه الله : " وقوله: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ

- إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ - وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} " هنا هذه الكلمة _ كلمة إبراهيم الخليل عليه السلام _ هي مُفسِّرةٌ تماماً لمعنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) , مطابَقةٌ واضحة , { وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه } : أبوه وقومه كانوا يعبدون الأصنام , ويعبدون الكواكب , فقال لهم إبراهيم , وكانوا يعبدون الله أيضاً ويعبدون أشياء متعددة , فقال لهم إبراهيم : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ } : أنا متبرّئٌ من كل الذين تعبدونهم , أيش معنى البراءة ؟ البراءة هي التخلية , يعني أنا مُتَخَلٍّ عن كل ما عبدتم , والبراء : عندما نتبرّأ من الشيء , معناه : أنك تتركه وأنك تعاديه وأنك تبغضه , ها معنى البراء , فهنا هو يقول : أنا بريء من كل ما تعبدون , يعني أنا تخلّيت عنها , تركتها , هذه الأشياء التي تعبدونها , من أصنامٍ وكواكبٍ وغيرها , كلها قد تركتُها وعاديتها وأُبغضها , ثم قال بعد ذلك : { إلا الذي فطرني } , إذاً تبرّأ إبراهيم عليه السلام من جميع المعبودات التي كانوا يعبدونها ما عدا الذي فطره , ومن الذي فطره ؟ هو الله , معنى الذي فطره : يعني الذي خلقه , إذاً تبرّأ من جميع المعبودات إلا الله سبحانه وتعالى لم يتبرأ منه , وهذا معنى كلمة التوحيد , أن تترك عبادة كل شيء إلا الله سبحانه وتعالى فقط , لا إله إلا الله : لا معبود بحقٍّ إلا الله , { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ } كلها كلمات بنفس المعنى , { إلا الذي فطرني } يعني : أترك عبادة كل شيء إلا عبادة الله سبحانه وتعالى فقط , ولم يقل (إلا الله) لأنه أراد أن يشير إلى إشارة واضحة يفهمها أولئك القوم , أراد أن يقول لهم بأن الذي يستحقّ عبادتي هو الذي خلقني , فما قال لهم (إلا الله) قال : { إلا الذي فطرني } وبذلك يبيّن لهم العلة التي من أجلها لا تستحق أصنامهم وكواكبهم وغيرها العبادة مع الله سبحانه وتعالى لأنها لم تخلقه , ومن لم يخلق لا حق له في العبادة , فهذا إذاً معنى كلمة لا إله إلا الله , أي لا معبود بحقّ إلا الله , أترك عبادة كل شيء إلا عبادة الذي خلقني فهو الذي يستحق عبادتي وهو الذي سيهدينِ , سيوفّقني وسيبيّن لي طريق الحق من

طريق الضلال , { وجعلها كلمة باقية في عقبه } كلمة التوحيد بقيت في ذريته , { لعلهم يرجعون } إلى الله سبحانه وتعالى ويتوبون , نعم .

ثم قال المؤلف رحمه الله :" وقوله: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ والمسيح بن مريم } " هنا هذه الآية يقول فيها : { اتخذوا أحبارهم } الحَبر : هو العالم , يعني أهل الكتاب اتخذوا علماءهم ورهبانهم , الراهب : هو العابد , فاتخذوا علماءهم وعُبّادهم أرباباً من دون الله , فتنة الناس تكون في هذين الصنفين من الناس , في العلماء وفي العُبّاد , لأنهم يعظّمون العلماء ويعظّمون العباد , فيطيعونهم مع الله سبحانه وتعالى إذا غيّروا لهم شرع الله ودينه أطاعوهم وغيروا الشرع والدين , إذا أمروهم بمعصية أن يفعلوها أطاعوهم , وإذا نهوهم عن واجب من واجبات الشرع انتهوا , فعبدوهم مع الله سبحانه وتعالى , فهذه فتنة الناس , تكون في العلماء وتكون في العباد , فالواجب الحذر من ذلك والاعتدال مع العلماء ومع العباد , نحبّهم , نحترمهم , إذا كانوا من أهل الحق , نحبهم نحترمهم , نواليهم , لكن لا نتجاوز الحدّ فيهم , لا إفراط ولا تفريط في حقهم , قال هنا : { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله } يعني : عبدوهم مع الله سبحانه وتعالى , والرب هنا بمعنى المعبود , { أرباباً من دون الله } يعني من غير الله سبحانه وتعالى , { والمسيح بن مريم } كذلك عبدوه مع الله سبحانه وتعالى , وقالوا هو ثالث ثلاثة , فلما عبدوا أحبارهم ورهبانهم وخضعوا وتذلّلوا لهم وأطاعوهم في معصية الله سبحانه وتعالى , فقد عبدوهم مع الله سبحانه وتعالى فأشركوا به فلم يحقّقوا معنى التوحيد , فالتوحيد هو ألا تتخذ رباّ مع الله سبحانه وتعالى , هذا معنى التوحيد , وسيأتي إن شاء الله مزيدُ تفصيلٍ وبيان لهذه الآية , وسيعقد لها المصنف إن شاء الله باباً مستقلّاً وسنشرحها إن شاء الله هناك شرحاً وافياً , نعم .

ثم قال المصنف رحمه الله : " وقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} " { من الناس } يعني : بعض الناس , { يتخذ من دون الله } يعني

: من غير الله سبحانه وتعالى , سواء كان هذا الذي اتّخذه نبياً أو ولياً أو ملكاً أو حجراً أو شجراً , هذا كله يشمل من الناس من يتخذ , هذه , هؤلاء الأشخاص أنداداً من دون الله { من يتخذ من دون الله أنداداً } يعني : أمثالاً , يجعلهم مماثلين لله تبارك وتعالى , فيُحبّ مثلاً الحسين بن علي محبة مثل محبته لله تبارك وتعالى , يحب عيسى عليه السلام , يحب علي بن أبي طالب كمحبّته لله سبحانه وتعالى , قد اتّخذ هذا عيسى أو الحسين أو علي ندّاً لله تبارك وتعالى , جعل مثل الله سبحانه وتعالى في محبّته { يحبونهم كحبّ الله } كما أنهم يحبّون الله , يحبّون هؤلاء الأنداد , يجعلونهم مماثلين لله سبحانه وتعالى في محبّتهم , خضوعهم وتذلّلهم لهم , وإذا أحببته كمحبة الله , أطعته كطاعتك لله , خضعت وتذلّلت له كخضوعك وتذلّلك لله , عبدته مع الله كعبادتك لله تبارك وتعالى , فما بالك بمن يحب أولياء الله أو من هو معظّمٌ في نفسه أعظم أو أكثر من محبّته لله تبارك وتعالى , شركُ ذاك أعظم من شرك هذا , فما بالك بمن لا يحب الله أصلاً , وإنما محبته لمعبوده , هذا معنى الشرك وهذا معنى التوحيد , فمن يفعل هذا يتخذ من دون الله أنداداً يحبهم كحب الله , هذا مشرك , والتوحيد أن تحب الله سبحانه وتعالى محبة خالصة ولا تشاركه فيها أحد , هذا معنى التوحيد , وإذا أحببت الله محبة تامّة كما ينبغي ستحبّ كل من يحبه الله سبحانه وتعالى وكل ما يحبه الله سبحانه وتعالى , الطاعات , القُرب , البعد عن المعاصي والذنوب , الأولياء , الصالحين , الأنبياء , تحبهم لمحبة الله سبحانه وتعالى , هذا معنى المراد من هذه الآية , فمعناها : تحقيقٌ لكلمة التوحيد , فمن كان موحّداً , لا يتّخذ من غير الله ندّاً يحبه كمحبة الله سبحانه وتعالى

قال المؤلف رحمه الله :" وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل» " من قال : لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا الله , " وكفر بما يُعبد من دون الله " يعني : جحده وأنكره وتبرّأ منه , هذا معنى " كفر بما يعبد من دون الله " ,

بما يعبد : يشمل كل شيء من ملكٍ مقرّبٍ ونبيّ مرسل ووليّ صالح وحجر وشجر معظّم , كل شيء , يكفر به : يكذّب بعبادته ولا يقبله أن يكون معبوداً مع الله سبحانه وتعالى , " وكفر بما يُعبد من دون الله " من غير الله سبحانه وتعالى , فيؤمن فقط بعبادة الله وحده لا غير , المؤلف ساق الحديث هذا هنا كي يبيّن لنا أن التوحيد لا يتمّ إلا بالبراءة من الشرك وهذا حق , فالذين يعبدون الله كُثُر , من المشركين , حتى المشركون كانوا يعبدون الله سبحانه وتعالى لكنهم كانوا يشركون معه غيره , يعني : يعبدونه ويعبدون معه غيره , فلا يصحّ هذا , " من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه " فالله سبحانه وتعالى لا يقبل منا أن نعبده وأن نعبد معه غيره , يريد منا أن نعبده وحده فقط , لذلك ساق المؤلف هذا الحديث لأن فيه " من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله " هذه تفسير معنى كلمة التوحيد , أنه لا معبود بحق إلا الله , ولا ينفع أن تعبد الله فقط وتعبد معه غيره , لا , لا بد أن تعبد الله وأن تعبد معه غيره وأن نتبرّأ من كل معبود سواه , ومن فعل ذلك حَرُم ماله ودمه وحسابه على الله , يعني في الدنيا : من أظهر هذا في الدنيا فهو مسلم , وإذا حصل منه تقصير حسابه على الله سبحانه وتعالى وإن كان , يعني : ما في قلبه ليس كما هو ظاهره , فحسابه على الله سبحانه وتعالى , نحن ليس لنا من الناس إلا ما أظهروا لنا , الظاهر فقط , الباطن هذا لا علاقة لنا به , هذا الله سبحانه وتعالى الذي يحاسب عليه فمن أظهر لنا خيراً عاملناه بناءاً على ذلك ومن أظهر لنا شراً عاملناه بناءاً على ذلك , أما ما في باطنه فهذا أمره إلى الله سبحانه وتعالى , ثم قال المؤلف رحمه الله : " وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب " : شرح هذه الترجمة : يعني تفسيرها وبيانها , أيضاً كل ما سيأتي من الأبواب القادمة إن شاء الله له تعلّقٌ بتفسير كلمة لا إله إلا الله في هذا الكتاب , كتاب التوحيد , فيوضّح معنى لا إله إلا الله , ففيه بيان أشياء كثيرة من الشرك الأكبر ومن الشرك الأصغر ومن مكمّلات التوحيد ستأتي إن شاء الله بعد هذا الباب , فكل ما سيأتي الآن من الأبواب التي بعد هذا لها تعلّقٌ بشرح كلمة لا

إله إلا الله , هذا ما أراده المؤلف من هذا المعنى , فمن فهم معنى كلمة التوحيد وعرف الشرك , حقّق التوحيد , وتبيّن له المراد من هذا الكتاب , ومن عرف الشرك الأصغر والشرك الأكبر تبينت له الأمور واتّضحت وبقي عليه العمل فقط , فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا وإياكم لطاعته , وأن يمنّ علينا بالعلم النافع والعمل الصالح , وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . تفريغ إخوانكم في معهد أورفا العلمي (البصيرة) وفقهم -الله-

الدرس رقم 07
تفريغ السابع من شرح كتاب التوحيد

الحمد لله والصلاة على رسول الله فهذا هو الدرس السابع :

وقفنا عند الباب السادس من أبواب كتاب التوحيد عند قول المؤلف رحمه الله : " باب من الشرك لُبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه "

بابٌ من الشرك : ذكر لنا المؤلف رحمه الله في الدرس الماضي أن ما سيأتي في هذا الكتاب كله له علاقة بتفسير التوحيد وبيان معناه ، والشيء يعرف بضده ، فإذا عرفت الشرك عرفت التوحيد ، فإذا كان هذا من الشرك فضده توحيد ، فإذا تركته لله سبحانه وتعالى فتكون موحداً ، وإذا اعتقدت أن الله سبحانه وتعالى هو الذي بيده النفع والضر ، تكون موحداً . هذا الباب ذكر فيه نوعاً من أنواع الشرك الذي يقع الناس فيه كثيراً ، فقال : " بابٌ من الشرك " ونحن عرفنا فيما تقدم أن الشرك قسمان ، نوعان ، شرك أكبر ، وشرك أصغر ، فهل يعني المؤلف هنا الأكبر أم الأصغر ؟ يعني الاثنين ، الأكبر والأصغر ، لأن هذا الذي سيذكره في هذا الباب من تعليق أو لبس الحلقة والخيط إلى آخره ، تارة ما يكون من الشرك الأصغر ، وتارة يكون من الشرك الأكبر ، على حسب ما يقوم في قلب العبد من اعتقاد ، فإن اعتقد أن الخيط والحلقة تنفع وتضر بنفسها ، يعني أن الله سبحانه وتعالى ليس هو الذي جعلها نافعة وضارة ، وإنما اعتقد أنها هي التي تنفع وتضر استقلالاً ، وليست مجرد سبب ، لا ، فمثل هذا يعتبر شركه شركاً أكبر ، لأن الذي بيده النفع والضر هو الله سبحانه وتعالى ، وهذا أمر خاص به تبارك وتعالى ، فإذا اعتقد أن شيئاً معه ينفع ويضر ، فهذا يعتبر من الشرك الأكبر . فإذا قام بقلبه هذا المعنى وقع في الشرك الأكبر ، أما إذا اعتقدها سبب ، مجرد سبب فقط ، وأن الذي بيده النفع والضر هو الله سبحانه وتعالى ، لكن اعتقد أن هذا الخيط وهذه الحلقة سبب لرفع البلاء أو

دفعه ، فهذا يعتبر من الشرك الأصغر لا الشرك الأكبر ، لأنه جعل شيئاً سبباً ، لم يجعله الله سبحانه وتعالى سبباً ، جعل شيئاً سبباً لرفع البلاء أو دفعه ، والله سبحانه وتعالى لم يجعله سبباً لذلك ، فالله سبحانه وتعالى يجعل أشياء أسباباً لأشياء ، وهذا الأمر بيده سبحانه وتعالى ، وليس لك أن تجعل أسباب لم يجعلها الله سبحانه وتعالى ، يعني مثلاً ، الله سبحانه وتعالى جعل العسل فيه شفاء ، جعل في العسل شفاء ، وذكر هذا ، أن العسل فيه شفاء للناس ، إذاً قد جعل الله سبحانه وتعالى العسل سبباً في الشفاء من بعض الأمراض ، إذاً هنا نقول أن العسل سببٌ لشفاء المرض ، ليش ؟ لأنه ثبت في الشرع بأنه سبب ، أو يثبت من خلال تجربة الأطباء ، ليس أي أحد من الناس يقول جربت ونفع ، لا ما يصلح ، لأن كثير من الناس انتفاعهم من بعض الطرق هو عبارة عن أمر نفسي فقط وليس له منفعة حقيقية ، ليس سبباً حقيقةً . أما كالأدوية التي يصنعها الأطباء اليوم ، يقولون هذا الدواء نافع لهذا المرض ، فهو سبب لإزالة المرض ، وفي الغالب هو نافع ، فإذا شربت مثلاً دواء السعال خف السعال وذهب ، فمثل هذا بالتجربة ، بالتجربة التي ذكرنا مثالها ، قد ثبت أنه سبب ، إذاً يجوز أن تقول بأنه سبب ، لأن قدر الله سبحانه وتعالى ، الله سبحانه وتعالى جعله سبباً بقدره ، فالله إذا جعل الشيء سبباً بالشرع أو بالقدر ، جاز أن تقول أنه سبب ، أو أن تعتمده سبباً ، أما إذا لم يثبت لا في الشرع ولا في القدر ، فجعلك له سبباً ، هذا يعتبر من الشرك الأصغر . هنا معنا قال : " باب من الشرك لبس الخيط والحلقة ونحوهما " : الحلقة معروفة ، قطعة من حديد من نحاس من ذهب ، تلبسها في يدك ، مثل السوار ، ويكون مقصودك منها رفع البلاء أو دفعه . كذلك الخيط : وهذا مما نراه بيننا ، أناس يفعلون هذا ، يلبس حلقة أو يلبس خيط ، من أجل إيش ؟ من أجل أن يرفع البلاء أو يدفعه عن نفسه ، هذا كما ذكرنا ، إذا اعتقد أن هذه الحلقة أو هذا الخيط ينفع ويضر بنفسه فهذا هو شرك أكبر ، أما إذا اعتقد أن النفع والضر بيد الله سبحانه وتعالى ، وأن هذه سبب ، فهذا من الشرك

الأصغر لأن الله سبحانه وتعالى لم يجعله سبباً ، هذا هو تفصيل هذا الباب . " ونحوهما " : وكل ما كان مثل الحلقة أو الخيط ، كحذوة الحصان ، يفعلها الناس اليوم كثير ، حذوة الحصان ، أعزكم الله ، بعض الأشياء التي امتهان ، كحذاء مثلاً ، أو أحياناً خرزة زرقاء أو كف ، خميسة يسمونها فيها عين أو ما شابه ، أو الصدف الذي يكون على شواطىء البحار ، أو ما شابه ، من هذه الأشياء التي لم يثبت أنها سبب ، لا بشرع الله ولا بقدره ، إنما اعتقاد من الناس فقط ، هذا معنى " ونحوهما " . لرفع البلاء ودفعه " : البلاء : الضرر الذي ينزل بالإنسان من مرض أو عين أو ما شابه . " لرفعه ودفعه " : ما الفرق بين رفع البلاء ودفع البلاء ؟ رفع البلاء بعد أن ينزل عليك البلاء ، تريد أن تتخلص منه ، وترفعه . هذا معنى رفع البلاء . ينزل بك الشيء ، يعني تشعر أنك مثلا ضربت بعين ، حسدت ، تريد ان تعالج نفسك ، فتذهب مثلاً تأخذ حلقة وتضعها في يدك من أجل أن تشفى ، مثل هذا يقال : وضع الحلقة لرفع البلاء ، وأما لدفعه ، فأنت سليم ، مافيك شي ، وتعرف من نفسك أنك سليم ، ولكنك تخاف من العين ، فلأجل دفع العين ، وتحمي نفسك ، تذهب وتلبس الحلقة ، هذا لدفع العين قبل وقوعها ، والأول لرفع العين بعد وقوعها ، وسواء علقت الحلقة أو لبست الخيط أو علقت على رقبتك خرزة زرقاء أو خميسة أو ما شابه ، أو علقت حذوة حصان أو ما شابه ، من أجل أن تبرئ نفسك من مرض ، أي تشفي نفسك من مرض ، أو من أجل أن تحمي نفسك ، فكلاهما واحد ، إن اعتقدت أنها تنفع وتضر بنفسها فقد أشركت الشرك الأكبر ، وإذا اعتقدت أنها سبب ، وبالطبيعي ، يعني الذي نراه الآن ، بالطبع لم يجعلها الله سبحانه وتعالى سبب ، هذه الأشياء المذكورات لم يجعلها سبباً لا شرعياً ولا قدرياً ، فإذاً تكون أنت قد جعلتها سبباً من عندك فتكون قد وقعت في الشرك الأصغر ، هذا معنى قول المؤلف : " باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه " . خلاصة الموضوع : أنك إذا اتخذت شيئاً سبباً لرفع بلاء أو دفعه ، واعتقدت أنه سبب ، وأن

الله سبحانه وتعالى بيده النفع والضر ، فقد وقعت في الشرك الأصغر ، مالم يثبت بهذا الشيء بأنه نافع بشرع الله أو قدره ، كما ثبت في الشرع بأن قراءة سورة الفاتحة فيها شفاء ، وتصلح رقية ، فإذا قرأت سورة الفاتحة على شخص فيه داء ، ملدوغ مثلاً أو شيء من هذا القبيل ، فهنا أنت جعلت قراءة سورة الفاتحة سبباً للشفاء ، طيب ، نقول لك هل ورد هذا في الشرع ؟ نعم ورد في الشرع ، إذاً فعلك صحيح واعتقادك صحيح . كذلك دواء السعال الذي يشربه الناس اليوم ، تذهب إلى الصيدلية وتأخذ دواء سعال وتشربه ، تقول عندي سعال ، فتشرب فيخف عنك السعال ، فأنت أخذت هذا الدواء وجعلته سبباً للشفاء من هذا الداء ، نقول لك هل ثبت هذا في الشرع أو في القدر ؟ في الشرع لا ما ثبت ، لكن في القدر ثبت ، لأن تجربة الأطباء والناس بأن هذا نافع في إزالة السعال ، نقول إذاً فعلك صحيح واعتقادك صحيح ، جائز هذا الشيء . أما إذا لم يثبت فهنا يكون اعتقادك فاسداً ، ماذا تريد بلبس الحلقة أو لبس الخيط أو ما شابه من هذه الأمور التي لم يجعلها الله سبباً لا في الشرع ، ولا في القدر ، تقول هي تنفع وتضر بنفسها ، بيدها الأمر ، فهنا شرك أكبر ، تقول لا أنا أعتقد أنها لا تنفع وتضر بنفسها ، وأن الذي بيده النفع والضر هو الله سبحانه وتعالى ، لكن هذه سبب ، كما أنك تشرب الدواء أنا أقول هذه تنفع ، نقول لك : شرب الدواء قد ثبت في القدر أنه نافع ، أما هذه لم يثبت ، فأنت اتخذت سبباً لم يجعله الله سبحانه وتعالى سبباً ، فهذا يعتبر من الشرك الأصغر ، وسيأتي ما يدل على أنه من الشرك . هذا خلاصة هذا الباب وهذا تفصيله

قال المصنّف رحمه الله تعالى :" وقول الله تعالى: {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} " { قل } : يا محمد للمشركين الذين كان صلى الله عليه وسلم يخاطبهم بالأدلة والبراهين على التوحيد , قال : قل لهم : { أفرأيتم ما تدعون من دون الله } يعني : ما رأيكم في هذه الأصنام التي تدعونها من دون الله ,

كل شيء , سواء صنم حجر شجر نبي ملك , أي شيء , تدعونهم وتتقرّبون إليهم سواء كان بدعاء المسألة أو بدعاء العبادة , دعاء المسألة : ترجونهم : (يا سيدي فلان أعطني كذا , ارزقني كذا , ادفع عني الضر الفلاني أيها الصنم أيها الحجر , افعل لي , ارفع عني الضرر الفلاني , ادفع عني الضرر الفلاني , ارزقني , احفظني , إلى آخره) , هؤلاء الذين تدعونهم من دون الله , يعني من غير الله { إن أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ } : هل يستطيع الولي هذا الذي أنت تتضرّع إليه وتدعوه وترجوه وهو ميّت في قبره , هل يستطيع أن يرفع عني الضرر إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يُنزله بي ؟ الإجابة : لا , { هل هن كاشفات ضره } : لا { أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ } يعني : لو أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يُزل بي رحمة , أراد أن يرزقني , أراد أن يشفيني من مرض , أراد أن يدفع عني بلاء , أي شيء , رحمة من الله سبحانه وتعالى , هل يستطيع الولي هذا الذي تدعوه أنت وتتقرّب إليه , هل يستطيع أن يدفع هذه الرحمة ويمنعها من الوصول إليّ ؟ إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يُنزلها بي ؟ الجواب : لا , كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن عباس , قال : [وَاعْلَمْ أَنَّ الناس لَوِ اجْتَمَعَوا عَلَى أَنْ يَنْفَعوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْء لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأقلام وجفَّت الصُّحُف] فكل الأمور بيد الله سبحانه وتعالى , وما يصلك من رحمة فمن الله , وما يُدفع عنك من ضرر أو ينزل بك من ضرر فمن الله سبحانه وتعالى , كلّه هو بيد الله تبارك وتعالى , فاعتمادك وتعلُّق قلبك يكون على الله سبحانه وتعالى لا على غيره , فلا تمِل بقلبك إلى أحد من البشر أو المخلوقين , واجعل اعتماد قلبك على الله سبحانه وتعالى فقط , توجَّه بقلبك إلى الله في كل ذلك , وبما أن هذه الأصنام لا تستطيع أن تفعل ما ذُكِر , إذاً فليست أهلاً لأن تُدعى , وأن تُعبد مع الله سبحانه وتعالى لأن النفع والضرّ بيد الله سبحانه وتعالى , وهذا الذي يريد أن يؤكده المؤلف هنا بسَوقه لهذه الآية , أن النفع والضر بيد

الله تبارك وتعالى , ومن الشرك أن تتوجّه إلى غيره لرفع البلاء أو دفعه , { أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } قل حسبي الله , الحسب : هو الكافي , يعني : الله سبحانه وتعالى كافيني , لا أحتاج معه إلى أي أحد آخر , { عليه يتوكل } يعني : عليه يعتمد المعتمدون , في كل شأنك اعتمد على الله سبحانه وتعالى , تريد خيراً ؟ الجأ إلى الله سبحانه وتعالى , فالأمور كلها بيده تبارك وتعالى فاجعل قلبك معتمداً على الله , خصوصاً في أمر قد حصل فيه الخلل كثيراً في هذا الزمن , في مسألة الرزق , الاعتماد في الرزق يكون على الله سبحانه وتعالى , نحن نأخذ بالأسباب لأننا أُمِرنا بالأخذ بالأسباب , والله سبحانه وتعالى علّق الأشياء بأسبابها , لكننا لا نعتمدعلى الأسباب , ولا نعتمد على البشر في الرزق , وإنما نعتمد على الله سبحانه وتعالى , الشاهد من هذه الآية : أن النفع والضر بيد الله سبحانه وتعالى لا بيد غيره , فهو النافع , وهو الذي ينزل بك ما يشاء من ضرر , فالجأ إليه تبارك وتعالى لا إلى غيره , وادعه وحده , وتضرّع إليه وحده واخضع وذلّ إليه تبارك وتعالى , فلا تتخذ شيئاً سبباً في رفع الضر أو دفعه لم يجعله الله سبحانه وتعالى سبباً , سواء اتخذ هؤلاء القوم الأصنام أنها هي النافعة والضارّة بنفسها أو أنها أسباب , كلّه من الشرك , إذا جعلوها أسباباً : هو من الشرك وإذا جعلوها هي النافعة الضارة أيضاً من الشرك , الشاهد كما ذكرنا أن النفع والضرّ بيد الله سبحانه وتعالى لا بيد غيره وهو يجعل ما يشاء من الأسباب أسباباً ويمنع ما يشاء , نعم .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : " عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن «النبي صلى الله عليه وسلم: رأى رجلا في يده حلقة من صفر، فقال: " ما هذه "؟ قال: من الواهنة، فقال: " انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا» . رواه أحمد بسند لا بأس به. " هذا حديث عمران بن حصين , قال : أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً , جاء في بعض الروايات : أنه هو نفسه عمران , في يده حلقة من صُفر , عرفنا أيش معنى الحلقة : مثل السوار , مثل الخاتم , حلقة

دائرية , وهكذا , " من صفر " : يعني : من نحاس , حلقة من نحاس وضعها في يده , فقال : ما هذه ؟ قال : من الواهنة , يعني : ما السبب الذي جعلك تلبس مثل هذه ؟ قال : السبب : من الواهنة , ما هي الواهنة ؟ الواهنة مرض , ألم , يأخذ في اليد , يعني : يضرب اليد , فيضعون هذا من أجل أن يخفّ هذا الألم , فهو لرفع البلاء , فقال : " انزعها " أمَرَه بنزعها , وهذا أمرٌ واجبٌ , فإنها لا تزيدك إلا وهناً , هذا يدل على تحريم مثل هذا الفعل , وأنه لا ينفع بل يضرّ , " لا تزيدك إلا وهناً " : إلا ضعفاً , يضعف في نفسه , فاعتماده لا يكون على الله , على غير الله , فيضعف في نفسه , فلا تؤتي ثمارها , بل تؤتي عكس الثمار , " فإنك لو متّ وهي عليك ما أفلحت أبداً " وهذا الشاهد , فلو مِتّ وهي موجودة عليك ما أفلحت أبداً , يعني : ما فُزتَ , يوم القيامة عند الله سبحانه وتعالى لا تفوز إذا متّ على هذا الحال , أي نعم , وهل الفلاح فلاح كلّيّ أو فلاح جزئي ؟ على حسب تعلق القلب بهذا الأمر , إذا كان تعلّق بها , واعتمد عليها وأنها هي النافعة الضارّة , فهذا يكون نفيُ الفلاح نفياً كاملاً , وإذا كان تعلّقه بها من باب الأسباب , وأنها سبب , ولم يجعلها الله سبحانه وتعالى سبباً , فهذا الفلاح ـ يعني ـ المنفي هو الفلاح الكامل , ولكن أصل الفلاح يبقى موجوداً , هذا كله بناءً على صحة الحديث , يقول المؤلف : " رواه أحمد في مسنده ـ يعني ـ بسندٍ لا بأس به " والصحيح : أن السند ضعيف وليس كما قال المؤلف رحمه الله , ففي سنده المبارك , والمبارك هذا يُدلّس تدليس تسوية , ويقول عن الحسن أخبرني عمران , وأصحاب الحسن يخالفونه , معروف الحسن البصري أيضاً مدلّس , فإذا قال أخبرني عمران , معنى ذلك : انتفى التدليس , لكن هو يقول : أخبرني عمران , والصحيح : , يعني , أصحاب الحسن يروونه عن عمران بالعنعنة , على كل حال , مَن فهم هذا مِمَّن درس المصطلح , الحمد لله , ومن لم يفهم فيكفيه أن يعلم أن الإسناد ليس بصحيح , وأن هذا الحديث ضعيف لا يُعتمد عليه . قال المؤلف رحمه الله تعالى :" وله عن عقبة بن عامر " له : يعني للإمام أحمد , لأنه هو آخر مُخرِّج ذكره عندنا ,

قال : روى أحمد بسند لا بأس به , ثم قال : " وله " أي لأحمد رحمه الله : " عن عقبة بن عامر مرفوعاً " مرفوعاً يعني أيش ؟ يعني : يضيفه إلى النبي صلى الله عليه وسلم , بدل أن يقول : عن النبي صلى الله عليه وسلم , يقول : مرفوعاً , فهذا معروف في اصطلاح المحدّثين , قال : " من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له " من تعلّق : يعني علّقها وتعلّق قلبه بها , " من تعلّق تميمة " ما هي التميمة ؟ التميمة : هي خرزات كانت العرب تعلّقها على أولادها , وما زالت إلى اليوم , يتّقون بها العين في زعمهم , يتعلّقون خرزة زرقاء على الولد , أو حذوة حصان على الدابّة , اليوم ما زال بعضهم يضعون حذوة حصان في السيارة , أو في ... أو حذاء في السيارة , أو ما شابه , هذه كلها تُسمّى تمائم , هذه أيضاً الخميسة , خمسة , خرزة زرقاء , أيّ شيء من هذه الأمور التي يصنعونها لرفع ... ليتّقون بها العين ـ عادة ـ لدفع العين , كي لا تصيبهم العين , فيضعون مثل هذه الأشياء , خرزة زرقاء وما شابه , هذه تسمّى : تمائم . قال : " من تعلق تميمة فلا أتم الله له " هذا دعاء عليه ألا يُتمّ الله سبحانه وتعالى له ما أراد من ذلك , قال :" ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له " نفس الشيء " من تعلق " يعني : من علقها وعلق قلبه بها , الودعة : قالوا : هو شيء يُخرج من البحر , مثل : الصدف , يشبهه , عبارة عن أحجار , كذا , يخرجونها من البحار ويعلّقونها على الأولاد وعلى أنفسهم , من أجل دفع العين ودفع البلاء , قال : " ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له " يعني : دعاءٌ عليه أيضاً ألا يجعله الله سبحانه وتعالى في دَعةٍ وسكون وراحة واطمئنان , " فلا ودع الله له " لكن هذا الحديث , بهذه الرواية هكذا ضعيف , في سنده خالد بن عبيد المعافري : مجهول , ولكن في الرواية التي بعدها , قال :" وفي رواية: «من تعلق تميمة فقد أشرك» " عرفنا ما معنى " تعلق تميمة " , نفس اللفظ المتقدّم " من تعلّق تميمة " يعني من علّق التميمة وعلّق قلبه بها بأنها نافعة أو ضارّة , أو بأنها سبب , إذا كان تعلّق قلبه بها على أنها نافعة وضارة بنفسها فهذا شرك أكبر , وإذا تعلق قلبه بها على أنها سبب فهذا من

الشرك الأصغر , " من تعلق تميمة فقد أشرك " فقد أشرك : هذا تحقيق , وقع في الشرك ولا بُدّ , تمام ؟ وقع في الشرك ولا بدّ , حصل منه الشرك , إما شرك أكبر , إن اعتقد أنها تنفع وتضرّ بنفسها , أو شرك أصغر , إن اعتقد أنها سبب , فهذه ... فهذا الحديث بهذه الرواية صحيح , " من تعلق تميمة فقد أشرك " وهذا الشاه الذي نريد للباب , هذا الدليل الذي نريده للباب , " من تعلق تميمة فقد أشرك " إذاً , يدل ذلك على أن تعليق التمائم من الشرك , وعرفنا التمائم , وصورها كثيرة موجودة بين الناس اليوم , من أشهرها : الخميسة , الخمسة التي فيها خرز أزرق , أو الخرزة الزرقاء في حد ذاتها , أو حذوة الحصان , وما شابه من هذه الأشياء , كلها هذه تسمى تمائم ,هذه لم يجعلها الله سبحانه وتعالى شيئاً , سبباً لدفع العين ولا لرفعها , أما دفع العين فقد جعل لنا النبي صلى الله عليه وسلم سبباً وهو الدعاء , فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يضع يده على الحسن والحسين ويقول :[أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ] هذا الدعاء سبب لدفع البلاء , والرقية بالفاتحة والمعوّذات جعلها الله سبحانه وتعالى سبباً لرفع البلاء , فنحن نأخذ بهذه الأسباب الشرعية ونترك الأسباب التي لا تشرع , نعم .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : " ولابن أبي حاتم " هو عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي , الإمام الشهير الحافظ المعروف , صاحب " العلل " أو المعروف بعلم العلل , أما صاحب كتاب العلل هو نفسه : عبد الرحمن وهذا ابن أبي عبد الرحمن .. ابن أبي حاتم , عفواً , عبد الرحمن بن أبي حاتم له تفسير , هذا الأثر ساقه في تفسيره , قال " ولابن أبي حاتم عن حذيفة " ينقل عن تفسيره : الحافظ ابن كثير رحمه الله كثيراً في تفسيره , وأحياناً يسوق الآثار بأسانيدها , قال : عن حذيفة : هو حذيفة بن اليمان , الصحابي الشهير , " أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمّى " يعني أصابته حرارة , سخونة , فعلّق خيطاً كرقية لهذه الحمّى " فقطعه " : يعني عمران , قطع هذا الخيط , وهذا أنكر بيده رحمه الله , أنكر هذا المنكر بيده , " فقطعه وتلا قوله: {وَمَا يُؤْمِنُ

أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}" هذه الآية أصلاً نزلت في المشركين , ومعناها : وما يؤمن أكثرهم بالله , في ربوبية , أي : يؤمنون بربوبيته , تسألهم : مَن خلق السماوات والأرض ؟ مَن خلقكم ؟ يقولون : الله سبحانه وتعالى , وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ ـ من هذه الحيثية ـ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ من حيثية أخرى , وهي في عبادة الله سبحانه وتعالى , فيؤمنون بربوبيته , ويكفرون بألوهيته تبارك وتعالى : { وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون } هنا , استدل هذا الصحابي بهذه الآية التي نزلت في المشركين أصلاً , استدلّ بها على ما فعله المسلم , حيث إن هذا المسلم قد آمن بالله تارك وتعالى ولكنه أشرك بفعله هذا الذي هو لبس الخيط من الحّمى , وهذا الحديث كما ذَكَر هو عند ابن أبي حاتم , إن سلم إسناده من الانقطاع بين عروة بن الزبير وحذيفة فهو صحيح , هذا الإشكال الوحيد الذي يوقفني حقيقة في تصحيحه , وهو : هل سمع عروة من حذيفة ؟ من حيث ـ يعني ـ السن , السماع ممكن , لكن من حيث البلد أو التصريح من بعض أئمة الحديث , لا يوجد , فعروة بن الزبير وُلِد في أوّل خلافة عثمان ومات سنة أربع وتسعين على الصحيح , وحذيفة مات في أول خلافة عليّ سنة ستٍّ وثلاثين , يعني : من حيث السّنّ : قريب الأمر , ممكن السماع , بعد بيعة علي بأربعين يوماً كان في المدائن في العراق , وعروة كان في المدينة وهل ثبت رحيل أحدهما إلى الآخر ؟ أو مروره به ؟ هذا , الله أعلم به , على كل حال , المسألة موقوفة هنا , إذا ثبت سماع عروة من حذيفة , فالحديث صحيح , وإذا لم يثبت , فهذا يكون منقطعاً , والله أعلم , وعلى كل حال , الباب قد علمنا حكمه وعلمنا خلاصة ما ذُكِر فيه والمراد منه , والله أعلم , والحمد لله , وسبحانك الله وبحمدك , أشهد ألا إله إلا أنت , أستغفرك وأتوب إليك .

الدرس رقم 08

تفريغ الدرس الثامن من شرح كتاب التوحيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

معنا اليوم الباب السابع من أبواب كتاب التوحيد ، قال المؤلف رحمه الله : " باب ما جاء في الرقى والتمائم "

الرقى : جمع رقية ، والرقية هي التعويذة التي يرقى بها صاحب الآفة ، وتسمى العزائم أيضاً . والتمائم : جمع تميمة ، وهي ما يعلق لدفع العين أو رفعها من خرزات و عظام وما شابه . تقدم الحديث عن التمائم ، لكن هنا سيذكر أنواعاً لها وكذلك الرقى لها أنواع ، لذلك المؤلف لم يجزم بحكمها ، فما قال : (باب من الشرك الرقى والتمائم) لأن فيها تفصيل ، ليست كل الرقى والتمائم من الشرك . الرقية قسمان : رقية شركية ، ورقية غير شركية . الرقية الشركية محرمة ، وغير الشركية غير محرمة . الرقية الشركية : ما فيها استعانة أو استغاثة أو استعاذة بغير الله تبارك وتعالى ، فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى ، أو بأموات ، أو فيها ذكر أسماء الشياطين أو الجن ، وما شابه . أو رقية يعتقد صاحبها أنها تؤثر بنفسها ، هذا نوع الرقية الشركية ، وهذه محرمة . أما النوع الثاني : وهو النوع الجائز الذي لا يكون من قبيل النوع الأول ، وقد نقل السيوطي إجماع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : الأول : أن تكون بكلام الله ، أو بأسمائه وصفاته ، هذا الشرط الأول . الشرط الثاني : أن تكون باللسان العربي ، وما يعرف معناه . الشرط الثالث : أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها ، بل بتقدير الله تبارك وتعالى . هذا الشرط الأخير متفق عليه ، أما الشرط الأول والثاني فاختلفوا في شرطيته ، فهم متفقون على أنه إذا توفر فالرقية جائزة ، لكنهم اختلفوا إذا كانت الرقية بغير اللغة العربية ، لكنها كلام مفهوم ليس فيها أسماء جن وما شابه ، هنا اختلفوا فيه ، البعض جوز ، والبعض منع ، وكذلك اختلفوا إذا

كانت الرقية بغير كلام الله وأسمائه وصفاته ، لكنها ليس فيها أي شيء من الاستعاذة بالجن ، أو غيرهم أو الاستغاثة بهم ، ولا شيء من هذا القبيل من أنواع الشركيات ، لكنها ليست بكلام الله ولا بأسمائه وصفاته ، هذه أيضاً حصل فيها نزاع . لكن اتفقوا كما ذكرنا على أنه إذا توفرت هذه الشروط فالرقية جائزة . إذاً خلاصة الأمر أن الرقية قسمان : رقية شركية وغير شركية . الشركية محرمة ، وغير الشركية جائزة ، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم صح عنه قوله : لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً . هذه عندنا قاعدة ، هذا الحديث قاعدة في هذا الباب ، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً . إذا كانت الرقية ما فيها شرك ، وليس فيها معنى من معاني الشرك فهي جائزة . والتمائم : فصلنا القول في التمائم الشركية ، وذكرنا تعريفها وحكمها ، ومنها أن تعليق التميمة إما أن يكون شركاً أكبر أو شركاً أصغر ، هذا تقدم الكلام في هذا كله . لكن يبقى الحديث عن التميمة التي هي من القرآن . هذه ليست شرك ، لكن هل هي جائزة أو غير جائزة ، سيأتي بإذن الله الحديث عنها في موضعه . هذه خلاصة هذا الباب الذي ذكره المؤلف رحمه الله . سيذكر بعد ذلك الأدلة التي تدل على الأقسام التي ذكرنا . قال المؤلف رحمه الله : في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، أبو بشير الأنصاري صحابي ، كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرها ، وسفرات النبي صلى الله عليه وسلم كانت كثيرة ، وأكثرها كانت للغزو ، فأرسل رسولاً : يعني النبي صلى الله عليه وسلم أرسل رجلاً إلى الجيش وإلى المسلمين يخبرهم . أن لا يبقينّ في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة ، إلا قطعت : إذاً الرسول ذهب إلى الناس يخبرهم ما أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم إياه ، ما هو ؟ قال : أمرهم بأن لا يبقين في رقبة بعير ، يعني جمل ، قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت . أهل الجاهلية كانوا يضعون في رقاب الإبل خيوط من وتر . الوتر هذا ، لعل الكثير منكم رأى القوس الذي ترمى به السهام ، هذا القوس مشدود بوتر ، سلك ، خيط قوي ،

هذا معنى الوتر . كانوا يلفون هذا الوتر على رقبة البعير ، لماذا ؟ لئلا تصيبها العين ، خشية الحسد يعني ، لدفع العين عنها ، وهذا ما قاله شراح الأحاديث ، هذا ليس من عندنا ، هذا قول أئمة الإسلام ، وعبيد ، القاسم بن سلام له كتاب في تفسير غريب الحديث ، يعتمد عليه الإمام البخاري كثيراً ، وهو من العلماء المتقدمين ، قال : كانوا يقلدون الإبل الأوتار ، يعني كانوا في الجاهلية يقلدون الإبل الأوتار ، وبقوا على ذلك حتى نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، قال لئلا تصيبهم العين ، هذا هو السبب ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بإزالتها ، إعلاماً لهم بأن الأوتار لا ترد شيئاً ، هذا كلام أبي عبيد رحمه الله . إذاً هنا ، الوتر هذا كانوا يستعملونه تميمة ، يردون به العين عن الإبل ، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الفعل ، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر ، حدد نوع القلادة ، من وتر ، أو قلادة : يعني شك الراوي في ذلك ، هل قال قلادة من وتر أو قال قلادة . إلا قطعت : إذاً لا بد ، هذا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم ، والأمر يفيد الوجوب ، فلا يجوز ، يحرم تعليق مثل هذه التمائم لدفع العين ، محرم ، قد أبدلنا الله سبحانه وتعالى بما هو خير منها بحمد الله ، الرقية التي علمناها النبي صلى الله عليه وسلم .
ثم قال المؤلف رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الرقى والتمائم والتولة شرك " إن الرقى والتمائم والتولة شرك ، كما ذكرنا في التفصيل السابق ، هل كل رقية تكون شركاً ؟ لا . لكن الرقية التي تكون شركاً هي التي يستعان فيها بغير الله ، أو فيها استغاثة بغير الله ، فيها أسماء الشياطين ، أو يعتقد صاحبها أنها تنفع وتضر بنفسها ، هذه رقية تكون شركية . لماذ فصلنا هذا التفصيل ؟ ربما يقول لنا قائل والله الحديث عام يا أخي ، النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن الرقى شرك ، فأنت كيف خصصت وفصلت ؟ من أين أتيت بهذا كله ؟ معه حق بهذا الاعتراض ، بداية ، لأن ظاهر الحديث معه ، قال : إن الرقى شرك ، وهذا يشمل جميع أنواع الرقى ، لكن نحن فصلنا ، قلنا لا ، يوجد نوع من الرقية

جائز ، لماذا ؟ للحديث الآخر : " لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً " . إذاً صار عندنا نوعان من الرقى ، ما يصح من طالب العلم أن يتمسك بحديث واحد وأن يبني عليه حكماً ، دون أن يكون له نظرة عامة بأدلة الكتاب والسنة ، خشية أن يقع في الزلل . مثل هذا ، يأخذ الحديث هذا ، ويبني عليه حكماً ، ويقول إن الرقى والتمائم والتولة شرك ، إذاً خلاص ، كل رقية شرك ، بناء على ظاهر هذا الحديث ، هذا خطأ ، لماذا ؟ يقال له : فاتك أحاديث أخرى كثيرة ، لم تعمل بها وتركتها ، ولم توفق بين أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، والشريعة كلها خارجة من مشكاة واحدة ، ولا تتعارض ابداً ، إذاً فهمك سقيم وجاء ذلك من قلة علمك وخبرتك في مجال الشرع ، لذلك لا يتسرع طالب العلم ، لا يتسرع طالب العلم ويعترض على المشايخ بأقوالهم ، حتى تراجع المسألة ، راجع المسألة وانظر كلام أهل العلم فيها ، بعدها إذا أشكل عليك شيء ، فبادر إلى المراجعة ، إلى سؤال أهل العلم ، لا تتعجل ، لا تعترض ، تثير فوضى ومشاكل وفتن ، على لا شيء ، مجرد جهلك فقط . راجع المسألة ، وانظر كلام العلماء ، وانظر إلى الأدلة التي يذكرونها ، ثم بعد ذلك تخرج بنتيجة صحيحة . انظر هنا ، لو جاء شخص ، وأخذ بظاهر هذا الحديث فقط ، إن الرقى والتمائم والتولة شرك ، ومشى على هذا ، يصبح يدندن الرقى حرام ، شرك ، باطل ، وقد رقى النبي صلى الله عليه وسلم ، وحث على الرقية ، وقال في الحديث الذي ذكرناه سابقاً : لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً ، ماذا تفعل بكل هذا ؟ لذلك العلماء قالوا الجمع بين الأحاديث بما ذكرنا ، أن الرقية منها ما هو شركي ، ومنها ما هو ليس بشركي ، على التفصي الذي تقدم . والتمائم : قال إن الرقى والتمائم شرك ، إذاً التمائم الأصل فيها أنها شرك ، وبينا السبب في ذلك ،وسيأتي الحديث عن تميمة القرآن . والتولة شرك : التولة شيء كانوا يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها ، والرجل إلى امرأته ، ولا زال موجوداً إلى يومنا هذا ، هذه هي التولة ، وهي نوع من أنواع السحر ، نوع من أنواع السحر ، هذا شرك ، والسحر كفر ، سيأتي تفصيله إن شاء الله في باب

مستقل . هذه التولة وهي نوع من أنواع السحر ، خاص بما ذكرنا ، شركٌ . رواه أحمد وأبو داود : رواه أحمد في مسنده ، وأبو داود في سننه ، والحديث صحيح . إن الرقى والتمائم والتولة شرك : الشاهد منه : أن بعض الرقى ، وبعض التمائم ، شرك ، هذا هو الشاهد . نعم ننتقل للذي بعده إن شاء الله. ثم قال المؤلف رحمه الله : " وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا: «من تعلق شيئا وكل إليه» . رواه أحمد والترمذي " , عبد الله بن عكيم الجُهني الكوفي , قال الإمام البخاري رحمه الله : أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يُعرَف له سماعٌ صحيحٌ , يعني : من النبي صلى الله عليه وسلم , وكذا قال أبو حاتم الرازي , وقوله : " مرفوعاً " أي إلى النبي صلى الله عليه وسلم , فيكون هذا الحديث مرسلاً , " من تعلق شيئاً وُكِل إليه " يعني : من علق شيئاً على جسمه وتعلّق قلبه به , " وُكل إليه " يعني : تركه ربُّنا تبارك وتعالى لهذا الشيء الذي علّقه على نفسه , وتعلّق قلبه به , وهذا الشيء معروف أنه لا ينفع ولا يضر , فإذا تخلّى الله سبحانه وتعالى عن حفظ شخصٍ هلك , هذا تحذير شديد . رواه أحمد والترمذي . وقد سُئل الإمام مالك بن أنسٍ رحمه الله عن تعليق التمائم والحرز , فقال : ذلك شركٌ , إلى آخر ما ذكر , وهذا ذكره عن الإمام مالك : صاحب جامع التحصيل , وربما يكون في الموطأ , يحتاج إلى مراجعة , على كلاً ... ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى : " وروى أحمد عن رُويفع، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا رُويفع، لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمداً بريء منه» " رُويفع بن ثابت , صحابي يُخبر ما أخبره به النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا رويفع : لعل الحياة ستطول بك , يعني : ستعيش فترة من الزمن , فأخبر الناس - من أدركته منهم - أن من عقد لحيته , عقد اللحية اليوم يسمّونه : تجذيل , يجذّل اللحية ويلفّها هكذا , كانوا يفعلونها للكبر , كانوا يفعلونها في الحروب كبراً وتعاظماً وعُجباً , فلذلك نُهوا عن ذلك , " أو تقلّد وتراً " يعني : ارتدى الوتر على شكل قلادة , إما في نفسه أو في بعيره , على معنى

الحديث المتقدّم , يفعلون ذلك لدفع العين , وهو الشاهد من الحديث , ساقه المؤلف هنا لذلك , " أو استنجى برجيع دابّةٍ أو عظمٍ " , الاستنجاء : تنّظف بعد دخول الخلاء من قضاء الحاجة يتنظف , نُهي عن أن يستنجي برجيع دابة , الرجيع للدابّة : هو الروث الذي يخرج منها , عند قضاء حاجتها , والعظم معروف , وجاء في رواية بأنه : زاد إخوانكم من الجن , لذلك نُهوا عن الاستنجاء بالعظم , والروث لا ينظّف , قال :" فإن محمداً بريء منه " أي : من الفاعل ومن الفعل , النبي صلى الله عليه وسلم بريء منه , وبراءة النبي صلى الله عليه وسلم هذه تدلّ على أن الفعل كبيرة من الكبائر , ثم قال المؤلف رحمه الله :" وعن سعيد بن جبير قال: من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة. رواه وكيع " سعيد بن جبير : صاحب ابن عباس , من تلاميذه , من طلبته , وهو تابعي , قال : " من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة " , " من قطع تميمة من إنسان " هذا الشاهد , أنه لا تترك التميمة , ينكرها , ومن الإنكار أن يقطعها عنه , وأجرها : قال : " كان كعدل رقبة " يعني : كأنه أعتق رقبة , أعتق عبداً أو أَمَةً , وهذا أجره عظيم , قال : " كان كعدل رقبة " لكن هذا الأجر , أمرٌ لا بدَّ فيه من توقيف , يعني : خبر عن المعصوم بأن من فعل كذا فله أجر كذا , هذا يحتاج إلى وحي , فمن أين أتى به سعيد بن جبير ؟ هذا له حكم الرفع , وإذا قلنا له حكم الرفع فيكون مرسلاً , لأن سعيد بن جبير تابعي , والمرسل من قسم الضعيف , فلا يصحّ , " رواه وكيع " وهو موجود عند ابن أبي شيبة في المصنف , قال المؤلف رحمه الله تعالى :" وله " أي لوكيع أيضاً " عن إبراهيم " : هذا إبراهيم هو ابن يزيد النخعي الكوفي " قال : كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن "

: هنا جاءت مسألة : تميمة القرآن , إبراهيم بن يزيد النخعي هذا فقيه كبير من الفقهاء , وهو تابعي , ينقل عن أصحاب ابن مسعود , " كانوا يكرهون " كانوا , من هم ؟ هم أصحاب ابن مسعود , لأنه يطلق هذه الألفاظ ويريدهم هم بالذات , أصحاب ابن مسعود فقهاء كبار , من كبار التابعين , وفقهاء الإسلام في وقتهم , من فقهاء أهل

الكوفة , كالأسود بن يزيد النخعي , وعلقمة بن قيس النخعي أيضاً , وشقيق بن سلمة , وغيرهم , قال : كانوا يكرهون التمائم كلها , السلف عندما يكرهون يعني : يحرّمون , الكراهة عند السلف بمعنى التحريم , كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن , من غير القرآن : لا إشكال , الإشكال في تمائم القرآن , هذه حصل فيها خلاف بين السلف أنفسهم , فبعضهم كان يجيزها والبعض منعها , والذين يجيزون قالوا : هي ليست من الشرك , تميمة القرآن ليست شركية , هذا صحيح , والذين منعوا قالوا : الأدلة عامّة , تشمل ما كان من القرآن ومن غيره , لكن هذا الدليل غير صحيح , لأن الأدلة التي وردت , وردت في التمائم الشركية , وهذه ليست شركاً , لكن الدليل الثاني لهم هو الصحيح , وهو القول بالتحريم لسدّ الذريعة , أيش يعني سدّ الذريعة ؟ يعني أن هذا الفعل (تعليق التمائم التي هي من القرآن) تؤدي إلى تعليق التميمة الشركية , فهي طريق إليها , لسدّ هذا الطريق نقول بتحريم أيضاً ما كانت من القرآن , هذا معنى سدّ الذريعة , فمتى كان الفعل يؤدي إلى المحرم , قلنا بتحريمه سدّاً للذريعة , هذا معنى سدّ الذريعة , وهو دليل من الأدلة عند الأصوليّين مُخْتَلَفٌ فيه , لكنه الصحيح أنه معتبر , وله ضوابط طبعاً ذكرها أهل الأصول , لكن هنا معتبَر , فيقال : يحرُم تعليق التميمة من القرآن ومن غير القرآن , من غير القرآن لأنه شرك , ومن القرآن لأنه ذريعة إلى تعليق التمائم الشركية , هذا هو الصحيح في هذه المسألة , نعم .

ثم قال المؤلف رحمه الله (في الباب الثامن) : " باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما " : الآن انتقل المؤلف إلى باب جديد , وهذا الباب له تعلّق بالمسائل التي سبقت , لأن التبرّك , عندما يريد الشخص أن يتبرّك بحجر أو بشجر هو يريد المنفعة منه , فيطلب نفعه وخيره فيقع في الشرك , التبرّك أصلاً هو طلب الخير الكثير , طلب ثبوته ولزومه , هذا معنى التبرّك , والتبرّك حكمه , يعني , التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته من الأشياء التي - يعني - كان يفعلها الصحابة بالنبي صلى الله

عليه وسلم , وهذا حكم خاصٌّ بالنبي صلى الله عليه وسلم , وهذا جائز لا إشكال فيه , لأن الصحابة كانوا يفعلونه بالنبي صلى الله عليه وسلم , لكن ما فعله الصحابة بمن بعد النبي صلى الله عليه وسلم , لذلك لا يجوز فعله بغير النبي صلى الله عليه وسلم , لأن الصحابة اقتصروا على النبي صلى الله عليه وسلم , لأنهم يعلمون أنه لا يجوز فعله بغيره , يعني لم يفعلوها بأبي بكر أو بعمر رضي الله عنه , أو بعليّ أو بعثمان , لم يفعلوا ذلك , فلذلك نقول : التبرك بغير النبي صلى الله عليه وسلم غير جائز , التبرّك بحجر , التبرك بشجر , التبرك بوليّ , التبرك بقبر , كل هذا محرّم , وإذا اعتقد الشخص أن هذا الشيء الذي سيتبرّك به هو الذي يمنحه البركة فهذا شرك أكبر نعوذ بالله , وإذا اعتقد أنه وسيلة , يعني زيارته وملامسته والتمسّح به هو سبب لحصول البركة من الله سبحانه وتعالى فهذا محرّم , وهو وسيلة إلى الشرك , هذا حكم التبرك , فالتبرك يُعتبر محرّماً وهو من الشرك , كما سيأتي ذكر أدلته إن شاء الله , قال المصنّف رحمه الله : " وقول الله تعالى :{ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى } " : هذه الآيات , ذكر الله سبحانه وتعالى فيها أسماء بعض المعبودات التي كان يعبدها الكفّار { أفرأيتم اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى } هي ثلاث : اللات والعزّى ومناة , أما اللات : فتُنطَق بتشديد التاء في (اللاتّ) , وقرئت أيضاً بتخفيفها , (اللات) بتشديد التاء (اللاتّ) هذه : قالوا سُمّيت بذلك لأن رجلاً كان يلتُّ السَّويق للحاجّ , يعني كان يخلط لهم أنواع الطعام ويصنع لهم طعام على صخرة , للحجاج , فلما مات عكفوا على قبره , هذه أصل اسم اللات وهي مخفّفة , أما اللات المشددة , عفواً هذه هي المشددة (اللاتّ) أما المخففة فهي من الإله , والعُزّى من العزيز , من أسماء الله سبحانه وتعالى أصولها , اشتقوها من أسماء الله سبحانه وتعالى , فبالتخفيف يكون أصلها مأخوذ من الإله , وهي صخرة ملساء ,

صخرة بيضاء ملساء منقوش عليها نقوش كانوا يعبدونها المشركون , فهما يعني قراءتان , على القراءة (قراءة التشديد) يكون هذا المعبود الذي يعبدونه قبر (قبر ذلك الرجل الصالح الذي كان يلتّ السويق) وعلى قراءة التخفيف يكون المعبود هذا صخرة , وأما العُزّى فهي من العزيز كما ذكرنا , كانت شجرة عليها بناء وأستار وكانوا يعبدونها , وأما مناة فهي صنم كانوا يعظّمونه , ومشتقة من اسم الله المنّان , فهي معبودات كانوا يتبرّكون بها , ويطلبون منها جلب المنافع ودفع المضار , الشاهد من ذكر المؤلف لهذه الآية هنا , هو أن التبرّك بهذه الأشياء لمنح البركة يُعتبر من الشرك , فهذا ما كان يفعله المشركون عند هذه المعبودات المذكورات في هذه الآية , قال : { أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى } يعني : تجعلون له ولداً وتجعلون ولده أنثى !! وأنتم تختارون لكم الذكور { تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى } قسمة جائرة ظالمة باطلة { إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ } يعني : أنتم سمّيتموها من عندكم ليس عليها دليل ولا أصل لها { مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ } من حجة , السلطان في القرآن يأتي بمعنى الحجة والدليل { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ } ليس لهم دليل ولا مستند إلا فقط أنهم يحسنون الظن بآبائهم فيسلكون طريقهم , وأهواؤهم قد اشتهت هذا الشيء وأحبّته فمضوا فيه { وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى } أرسل الله إليهم الرسل بالحق , المهم , الشاهد : أن عُبّاد هذه الأوثان كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها والاستعانة بها والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها , فالتبرّك بقبور الصالحين هو من هذا القبيل (كالتبرك باللات والعزى ومناة , إلى آخره) , نعم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى :" عن أبي واقد الليثي " هو الحارث بن عوف , صحابي , " قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين " حنين مكان , وادي في طريقهم " ونحن حدثاء عهدٍ بكفر " : هو الآن يذكر , لماذا قال : ونحن حدثاء عهد , يعني ما زلنا قد دخلنا في إسلام من جديد , ليست لنا فترة طويلة ونحن في الإسلام فتعلّمنا وعرفنا , لا , ما زال - يعني - عهدنا بالجاهلية قريب , قد تركنا الجاهلية ودخلنا

في الإسلام من قريب , وهذا يريد يبيّن عذره , لماذا طلبوا الطلب الذي سيذكره بعد ذلك , وإن كان طلباً محرّماً , ولا يجوز لمسلمٍ أن يطلبه , لكن هو قدّم عذره في ذلك أنهم لا يعلمون , قال :" وللمشركين سدرة يعكفون عندها " السدرة اللي هي الشجرة , شجرة سدرٍ , المشركون كانوا يعكفون عندها , يعني أنهم ينزلون عندها , ويستقرّون عندها هناك , يقيمون , لماذا ؟ يتبرّكون بها ويطلبون خيرها وبركتها , يعلّقون عليها أسلحتهم كي تنتقل البركة إلى الأسلحة , " وللمشركين سدرة يعكفون عندها " يقيمون في ذاك المكان " وينوطون بها أسلحتم " يعني : يعلقون أسلحتهم بتلك السدرة كي تنتقل بركتها إلى الأسلحة " يُقال لها : ذات أنواط " يعني : صاحبةُ مُعلّقات يُعلَّق عليها , لأنهم يعلّقون عليها السيوف سُمّيَت بهذا , " ذات أنواط " : ناط الشيء بالشيء , أي علّقه , " فمررنا بسدرة " مررنا : يعني المسلمين , مرُّوا بسدرة , بشجرة ثانية كبيرة , " فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط " يعني : اجعل لنا شجرة نتبرك بها كما لهم شجرة يتبركون بها , " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر " استعظم النبي صلى الله عليه وسلم هذا القول , فقال : الله أكبر , وفيه أن الشخص إذا استعظم أمراً يكبّر , " إنها السنن " يعني : الطرق , يعني : نفس الطريقة التي سلكها مَن قبلكم , أنتم سلكتموها الآن " قلتم والذي نفسي بيده " من الذي نفسه بيده ؟ هو الله سبحانه وتعالى , يحلف بالله تبارك وتعالى , " قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى " يعني : أنتم سرتم في نفس طريق بني إسرائيل (اليهود) , ماذا قال بنو إسرائيل لموسى ؟ " { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ } " اجعل لنا معبود كما لهم معبودات , " { قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } أصل الآية في بدايتها : { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } عاكفون على أيش ؟ على أصنام لهم يعبدونهم , يتبركون بهم , وأنتم فعلتم نفس الشيء , " لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم " هذا خبر من النبي صلى الله عليه وسلم , يعني ستسيرون بنفس الطريق التي سار فيه

من قبلكم , جاء في رواية : اليهود والنصارى يا رسول الله ؟ قال : فَمَن ؟! , يعني : ستسيرون على نفس الطريق التي ساروا , وتقلّدونهم فيما وقعوا فيه , وجاء مفسّراً في أحاديث أخرى " لتتّبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقُذّة حتى لو دخلوا بجحر ضبٍّ لدخلتموه " وقع فيهم الشرك , يقع الشرك فيكم , وقعت المعاصي وتقع المعاصي , وهكذا , الآن نحن نسير خلفهم , خلف اليهود والنصارى , انظروا الآن لحال المسلمين , ما هذا ؟ الذي يفعله اليهود والنصارى هو الصحيح على طول وخلفهم نحن نسير , والله المستعان , الشاهد هو التبرّك , وأنه من الشرك , طلب البركة من الشجر والحجر وما شابه هو من الشرك , وفي هذا الحديث دليل على العذر بالجهل , لم يكفرهم النبي صلى الله عليه وسلم , ولا قال لهم : ارجعوا إلى الإسلام , عذَرهم بأنهم , وبيّن العذر أبو واقد في بداية كلامه : أنهم كانوا حديثي عهدٍ بكفر , يعني : ما زال , دخلوا في الإسلام جديد , يعني طبيعي الإنسان عندما يدخل في الشيء جديد يكون يجهل أحكامه , فإذاً , العذر بالجهل في المسائل العقائدية مقرر في الكتاب مقرر في السنة , مقرر على ألسنة السلف الصالح رضي الله عنهم , وقد فصلت القول في شرحي على شرح السنة للبربهاري في الشريط الأول أو الثاني , المهم , خلاصة هذا الباب , وهو عدم جواز التبرك بالأحجار والأشجار والأولياء والقبور وغير ذلك , ومن احتجّ بتبرك الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم , نقول له هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لأن الصحابة رضي الله عنهم تبرّكوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يتبركوا بغيره , لأنهم علموا أن هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم , فالتبرك بغيره شركٌ أو وسيلةٌ إليه , فلذلك يُمنَع منه , وبهذا نكون قد انتهينا من بابين , والله أعلم , وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألّا إله إلا أنت , أستغفرك وأتوب إليك , وفي الدرس القادم إن شاء الله نهي الباب التاسع والعاشر , ثم نبدأ بالاختبار بإذن الله تعالى والله الموفِّق . تفريغ إخوانكم في معهد أورفا العلمي (البصيرة)

الدرس رقم 09
تفريغ الدرس التاسع من شرح كتاب التوحيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :
نبدأ اليوم بإذن الله تعالى بشرح الباب التاسع من أبواب كتاب التوحيد , وقبل ذلك ننبّه على خطأ وقع في الدرس , في شرح الدرس الماضي , وهو عند كلمة اللات , قلنا بأن اللام تُشدّد وتُخفّف , فتقرأ كما هي قراءة الجمهور , القراءة المعروفة عندنا , : { أفرأيتم اللاتَ والعُزّى } هذه مخفّفة , وتُشدّد فيقال :{ أفرأيتم اللاتّ والعزّى } فهنا شدّدنا التاء , هذا هو المذكور , وهو الذي مذكور عندكم في الشرح في بدايته , قال : فأما اللات , فقرأ الجمهور بتخفيف التاء , إلى آخره , أي نعم .
قال المؤلف رحمه الله : " باب ما جاء في الذبح لغير الله "
قد تقرّر معنا في الدروس السابقة , بأن العبادات يجب أن تكون خالصة لله سبحانه وتعالى ولا يجوز صرف عبادة من العبادات لغير الله , لأن هذا ناقض لقول لا إله إلا الله , فمعنى ل إله إلا الله : أنه لا معبود بحقٍّ إلا الله , فصرف أي عبادة من العبادات لغير الله نقضٌ لهذه الكلمة وإبطال لها , وبناءً على ذلك , بناءً على ما تقدّم , الآن يذكر لنا المؤلف رحمه الله أنواعاً من العبادات التي كان المشركون يصرفونها لغير الله , فهنا مثلاً معنا الذبح , الذبح , كان الكفار يذبحون لأصنامهم , يذبحون لمعبوداتهم , ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى بتوحيده في هذه العبادة , فقال المؤلف رحمه الله عاقداً باباً خاصّاً بها , قال : باب ما جاء في الذبح لغير الله , يعني : ما جاء من أدلة , تدلّ على أن الذبح لغير الله محرّمٌ , وهو شركٌ , قال رحمه الله :" وقول الله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} " قل : يا محمد , { إن صلاتي } : يعني القول هذا يقوله للمشركين , يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير الله تبارك وتعالى أن

يقول لهم : { إن صلاتي } , الصلاة : معروفة عندكم , هي : الأعمال التي تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم , هذه من أعظم العبادات التي نتقرّب بها إلى الله سبحانه وتعالى وهذا أمرٌ معلوم , وأضاف إليها أيضاً النُّسُك , قال : { إن صلاتي ونسكي } فصلاتي لله تبارك وتعالى ونسكي , يعني ذبحي لله تبارك وتعالى , والذي يدلّ على أن النسك معناه الذبح : أنه جاء في الحديث في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذي ارتكب يعني محذوراً في الإحرام , قال : [أو انسُك نسيكة] يعني : اذبح ذبيحة , فالنسك هنا بمعنى الذبح , والشاهد : أنه يقول هنا : { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين } يعني : الله سبحانه وتعالى هو الذي يستحق مني ذلك , الله الذي يستحقّ مني أن أعبده وأن أتقرب إليه بالصلاة وبالذبح , { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي } أي ما أفعله في حياتي من عبادات , { ومماتي } : وما أموت عليه من التوحيد والطاعة كلّه لله تبارك وتعالى خاصٌّ به فلا يستحق غيره أن يُصرف له شيء منه , هذا المقصود من هذه الآية , إذاً فيها يعني أمرٌ بإخلاص الصلاة وإخلاص الذبح لله تبارك وتعالى , فيثبت بذلك أن الذبح عبادة وقربة لله سبحانه وتعالى , فقد عطفها على الصلاة التي هي أيضاً عبادة وقربة لله سبحانه وتعالى , وأمره أن تكون خاصة بالله سبحانه وتعالى , إذاً الذبح عبادة وقربةٌ لله سبحانه وتعالى يجب أن يكون خالصاً لله , ومن صرفه لغير الله فقد أشرك , قال : { لا شريك له } لا شريك له , يعني : صلاتي وذبحي وعبادتي كلّها خاصّة بالله سبحانه وتعالى , لا يُصرَف منها شيء لغير الله تبارك وتعالى , { وبذلك أُمِرْتُ } بهذا أمر الله سبحانه وتعالى , أمر بالتوحيد , وإخلاص العمل لله سبحانه وتعالى , { وأنا أول المسلمين } أي : من هذه الأمة (من أمّة محمّد صلى الله عليه وسلم) هو أوّل المسلمين , الشاهد من الآية : أن الذبح عبادة , وصرفُه لغير الله شرك , والواجب هو أن نخلص هذه العبادة لله سبحانه وتعالى , لكن , هل كل ذبحٍ يكون عبادة ؟ لا , هناك ذبحٌ يكون مثلاً لإكرام الضيف , هناك ذبح يكون من أجل أكل اللحم فقط , مثل هذا الذبح لا

يكون ذبحاً تعبّدياً , الذبح المقصود هنا (الذبح التعبّدي) هو ذبح القربة , ذبح التعظيم , الذبح الذي يكون لشخص من أجل كمال المحبة والتعظيم له , هذا يكون ذبح قربة , وهذا الذبح يجب أن يكون ذبحاً خالصاً لله سبحانه وتعالى , ولا يجوز صرفه لغير الله , أي نعم . إذاً , الغرور عندنا أن الذبح الذي يكون قربة وتعظيم للمذبوح له , هذا يكون عبادة , أما الذبح الذي لا يكون من هذا القبيل , وإنما هو من أجل أكل اللحم أو من أجل إكرام الضيف وما شابه , فهذا ليس من القربات , لذلك لا يدخل فيما نحن فيه , طيب , لو قال قائل _ الآن _ : هذه الذبائح التي تذبح للرؤساء والملوك عندما يأتون إلى قرية , أو يأتون إلى مدينة , أو شيء . هل هذه الذبائح تُعتبر شركية ؟ أم غير شركية ؟ نقول : إذا كانوا يذبحونها قربة وتعظيماً لهذا الرئيس أو هذا الملك , فهذه ذبائح تعبّدية , وصرفها لغير الله شركٌ , وإذا كانت تُذبح فقط من باب الإكرام والإطعام , فهذه لا تكون ذبائح تعبّدية , وكيف تفرّق بين الأمرين ؟ قال أهل العلم : تفرّق بينهما بأن تنظر إلى اللحم بعد ذلك أين يذهب , إذا طُبخ وأُطعِم منه هذا الملك , فهذا يكون من باب الإكرام , وإذا لم يُطعم منه أصلاً فهذا يكون من باب القربة والتعظيم , فيكون صرفه لهذا الملك شرك بالله سبحانه وتعالى لأنه صرف عبادة خاصّة بالله سبحانه وتعالى لغيره , هذا هو ضابط هذا الباب , وهذا هو تفصيله , ثم ذكر في الآية التي بعده , قال : " وقوله: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} " : هذه , الدلالة منها نفس الدلالة من الآية التي قبلها , { فصلّ لربك وانحر } , هنا , { فصلِّ } , قال : { إنا أعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر } , الكوثر : هو نهر في الجنة , أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيّه , فشُكراً لله سبحانه وتعالى قال الله سبحانه وتعالى له : { فصلّ لربّك وانحر } أي : شكراً لله تبارك وتعالى , فأمره بالصلاة وأمره بالنحر الذي هو الذبح , فكون الله سبحانه وتعالى قد أمر نبيَّه بالنحر , إذاً دلَّ ذلك على أن النحر عبادة , وقرَنه أيضاً بالصلاة , إذاً فالنحر عبادة , والنحر مثل الذبح , إلا هي طريقة مختلفة عن الذبح في إزهاق الروح , يكون بالطعن في حلق الأضحية أو الذبيحة , بينما

الذبح يكون بتمرير الموس على رقبته , وكلاهما جائزان في الشرع وحكمهما واحد , الآن , المقصود من ذلك هو أن يتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى بالذبائح , فقال له : { فصلّ لربك وانحر } إذاً ثبت بذلك عندنا أن النحر عبادة وقُربةٌ لله سبحانه وتعالى , فصرفها لغير الله على هذا الوجه يُعتبَر شركاً بالله تبارك وتعالى , هنا فائدة مهمّة : هو أن يحرص العبد على شكر الله سبحانه وتعالى كلّما ازدادت نعم الله تبارك وتعالى عليه , أن يحرص على أن يشكر الله سبحانه وتعالى ويكون أكثر شكراً لله تبارك وتعالى ممن لم يحصل على النعم التي امتنّ الله تبارك وتعالى بها عليه , لذلك النبي صلى الله عليه وسلم عندما كان يقوم الليل , كان يقوم حتى تتفطر قدماه , تتشقّق قدماه ـ يعني ـ من طول القيام , صلى الله عليه وسلم , فقالوا له ـ يعني ـ : الله سبحانه وتعالى قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخّر , يعني : ما في داعي تشقّ على نفسك بهذه الدرجة , فقال عليه الصلاة والسلام : أفلا أكون عبداً شكوراً , يعني : وإن غُفِرَت لي ذنوبي , وإن كان قد حصل على منزلة لم يحصل عليها غيره في الجنة , إلا أنه مع ذلك أراد أن يكون عبداً شكوراً , وهكذا يكون الأدب مع الله سبحانه وتعالى , إذا أنعم الله تبارك وتعالى عليك بنعم لم ينعمها على غيرك من عباده , فأكثر من طاعة الله تبارك وتعالى لذلك , أهل الطاعة (من أهل العلم وغيرهم) أولى بأن يكثروا من طاعة الله تبارك وتعالى ومن التقرّب إليه , شكراً له على ما أنعم عليهم من نعم , وكلنا يعني قد أنعم الله تبارك وتعالى علينا بنعمٍ كثيرة , فنحن بحاجة إلى الإكثار من طاعة الله تبارك وتعالى شكراً له على ما منّ به علينا من النِّعم , نعم .

قال المصنّف رحمه الله تعالى :" عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: "لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثا، لعن الله من غير منار الأرض" رواه مسلم " علي بن أبي طالب مشهور معروف , هو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته رضي الله عنه وأرضاه , قال :" حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات " يعني

بأربع جمل , الكلمة تطلق في اللغة على الجملة , " لعن الله من ذبح لغير الله " : اللعن في أصل اللغة : هو الطرد والإبعاد , ويقولون في تعريفه : من الله سبحانه وتعالى يكون الطرد والإبعاد , ويكون من المخلوق السّبّ والدعاء , على كلٍّ , هذا الوعيد الذي فيه لعن يدل على أن الفعل كبيرة من الكبائر , كبائر الذنوب , قال " لعن الله من ذبح لغير الله " لأنه مشرك ملعون , لأنه مشرك , أشرك مع الله سبحانه وتعالى غيره , فقد صرف عبادة من العبادات لغير الله تبارك وتعالى , وهذا الشاهد من الحديث , قال :" لعن الله من ذبح لغير الله " يدل على تحريم هذا الفعل وأنه من كبائر الذنوب , " لعن الله من لعن والديه " والمقصود بالوالدين هنا : الأم والأب وإن عليا , يعني حتى الجدّ والجدة , هؤلاء كلهم يدخلون في هذا اللفظ , وفي الصحيح : جاء في حديثٍ في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :[من الكبائر شتم الرجل والديه] قالوا يا رسول الله , وهل يشتم الرجل والديه ؟ يعني : مسألة أن يأتي شخص ويلعن أو يسبّ أباه أو يسبّ أمه مباشرة , هذا أمرٌ بعيد , فلذلك استبعده أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم , ولو رأوا حالنا اليوم لما استبعدوه لأن الكثير من أهل الفسق والفجور يقعون في ذلك وقد سمعنا الكثير من هذا , نسأل الله العافية والسلامة , فالصحابة كانوا يستبعدون جداً هذا الأمر أن يحصل , لذلك قالوا : يا رسول الله , وهل يشتم الرجل والديه ؟ , يعني ممكن يحصل هذا الشيء ؟ قال : [نعم , يسبُّ أبا الرجل فيسبّ أباه ويسب أمه فيسب أمه] يعني يكون بينه وبين رجل خصومة فيسب ذلك الرجل الذي تخاصم معه فيقول مثلاً : يلعن أمك , أمك كذا , أبوك كذا , فذاك يرد له فيقول : يلعن أمك أنت , أبوك أنت كذا , فهنا الآن هو تسبب أصلاً في السب لأمه وأبيه لأنه هو الذي بدأ بالسب للآخر , فهنا كان سبه بطريقة غير مباشرة لهما فما بالك بمن يسب بطريقة مباشرة !!! أي نعم , فهذا الفعل من كبائر الذنوب , أن تقع في والديك وتسبّهما , أو أن تتسبّب في ذلك , قال : " لعن الله من آوى محدثاً " : يعني من عمل حدثاً في الإسلام , قتل وهرب , هرب إلى قبيلة , هرب إلى شخص ,

فآواه , يعني ضمّه , خبأه , حماهُ , هذا المعنى , ما يجوز لك أن تحمي شخصاً قد فعل جرماً في الإسلام , فالواجب هو أن تسلّمه وألا تحميه , أي نعم , " لعن الله من غيّر منار الأرض " منار الأرض يعني : علامات الأرض , يعني : يكون لك قطعة أرض لها علامات , إما حجارة تضعها على زوايا الأرض , أو غيرها , تُغيّر منار الأرض , يعني : تدخل هذه العلامات مثلاً في أرض جارك , فتسرق منه قليلاً من قطعته , وهنا من فعل ذلك يكون ملعوناً , لعن الله من غيّر منار الأرض , غيّر العلامات التي تدلّ على حدود أرضه ووسّعها مثلاً , هذا ملعون أيضاً , لأنه يعني سارق , مثل هذا قد سرق ما لا يحقّ له , وقد جاء في الحديث التعظيم , تعظيم مثل ها الفعل لشرّه , قال النبي صلى الله عليه وسلم : [من ظلم شبراً من الأرض طُوِّقه يوم القيامة من سبع أرضين] شبرٌ واحد تأخذه ظلماً تُعاقَب عليه هذه العقوبة المذكورة في الحديث , نسأل الله السلامة لنا ولكم , الشاهد من الحديث أنه قال :" لعن الله من ذبح لغير الله " , ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :" وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب". قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: "مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهم : قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذبابا، فقرب ذبابا فخلوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله (، فضربوا عنقه، فدخل الجنة" رواه أحمد " من حيث الإسناد ,هذا الحديث مرسل , طارق بن شهاب هذا البجلي الأحمسيّ , لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون هذا الحديث مرسلاً , والمرسل من قسم الضعيف , كما قال الإمام مسلم رحمه الله :[والمرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجّة] وجاء هذا الحديث موقوفاً على سلمان الفارسي رضي الله عنه , فالخلاصة أن الحديث لا يصحّ , قال في الحديث :" دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب " نفس الفعل واحد , أو الشيء واحد , لكن أحدهما

دخل الجنة والآخر النار , قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟" قال: "مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً " قوم : جماعة أو قبيلة أو غيرها " لهم صنم " لا يسمحون لأحدٍ أن يمرَّ من جهتهم إلاّ يقرّب , يتقدم بقربة لهذا الصنم , يذبح شاة , يذبح جمل , أي شيء ...... قالوا لأحدهم قرّب قال : ليس عندي شيء أقرِّب لا أملك شيئاً ... قالوا له : قرّب ولو ذباباً , أي شيء تفعله قربة ولو حتى بالذباب فقرَّب ذباباً , فخلّوا سبيله , فدخل النار , لو قال قائل : قد كان مكرهاً , كيف يدخل النار ؟! هذا إشكال على الحديث , لكن تأوّلَه بعض أهل العلم وقالوا – هنا - : قَرّب ولم يكن مكرهاً أصلاً , يعني : هم ألزموه بذلك , وهو كان راضٍ بذلك , لم يكن مكرهاً لذلك دخل النار" وقالوا للآخر : قرّب قال : ما كانت لأقرّب لأحدٍ شيئاً دون الله - عزّ وجلّ - " وهذا الشاهد من الحديث : أنّ القربة بالذبح , هذه لا تكون إلا لله – سبحانه وتعالى – " فضربوا عنقه , فدخل الجنة " رواه احمد , لكن – كما ذكرنا الحديث لا يثبت ... نعم

الباب العاشر: "بابٌ لا يُذبَح لله بمكانٍ يُذبح لغير الله"

ثم قال المؤلف – رحمه الله – " الباب العاشر: "بابٌ لا يُذبَح لله بمكانٍ يُذبح لغير الله"

هذا الباب تابعٌ للباب الذي قبله بعد أن علمنا أن الذبح لغير الله شركٌ ,لأنه عبادة , والعبادة والقربة إذا صرفتها لغير الله فقد أشركت ... بعد ذلك أراد المؤلف أن يبين لنا أن الشرع جاء – أيضاً – بسدِّ الذريعة التي توصل إلى الذبح لغير الله , يعني : هناك شيء إذا فعلناه , نصل من خلاله إلى الذبح لغير الله فأراد الشارع أن يغلق علينا هذه الطريقة , المؤدية إلى الوقوع في عبادة الله – تبارك وتعالى – وهذا معهود في شرع الله – تبارك وتعالى – , يعني - مثلاً - : لماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة إلى القبور ؟ يعني : و إن كنت تصلي لله – سبحانه وتعالى – لكن لا يجوز أن تستقبل القبر , لماذا ؟ لأنه يؤدي إلى عبادته , يؤدي إلى عبادة القبر , لذلك نهينا عن ذلك ... كذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم – مثلاً – عن الصلاة عند

غروب الشمس , تكون بين قرني شيطان , وعندها يسجد لها المشركون ,وكي لا نصل إلى تلك الحال التي وصلوا إليها نهينا عن هذا الفعل ... فهذه أفعال , تؤدي إلى ماذا ؟ تؤدي إلى الشرك , فلذلك نهينا عنها , وهذه التي تسمى بـ (سدّ الذرائع) سدّ الذرائع : يعني إغلاقه الوسائل التي - ربما - توصلك إلى المحذور , فهذا الباب معقودٌ لأجل هذا الغرض , باب : لا يذبح لله : أي لا يجوز نهي هذا " لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله " إذا عرفنا أن المكان المقيد يذبح فيه لغير الله , و يُتقرّب فيه إلى غير الله , فلا يجوز الذبح فيه بمعنى : مثلاً - اليوم - الناس يذبحون عند القبور للأولياء , فلا يجوز لك أن تذبح عند القبر , و إن ذبحت لله - سبحانه وتعالى - ما ذبحت لصاحب القبر , لكن يحرم عليك أن تذهب وتذبح هناك .... لماذا ؟ لأن ذلك سيفضي إلى عبادة القبر , فلذلك يحرم , وفيه مشابهة للمشركين - أيضاً - , نحن قد نهينا عن التشبه بالمشركين , هذا الباب معقود لبيان هذا الحكم الشرعي ... قال المصنف - رحمه الله تعالى - : " وقول الله تعالى : { لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا } { لَمسجدٌ أُسِّسَ على التقوى من أوّل يومٍ أحقُّ أن تقوم فيه فيه رجالٌ يحبون أن يتطهروا و الله يحب المطّهرين { " هنا الآن هذه الآية نزلت في قصةٍ حصلت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن بعض المنافقين بنو مسجداً في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم , وغايتهم لم تكن المسجد , كانوا يريدون مكاناً يجتمعون فيه من أجل أن يمكروا ويكيدوا بالإسلام والمسلمين , وجاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج إلى غزوة تبوك , قالوا له : نريدك أن تصلّي في مسجدنا كي نتخذه مسجداً للضعاف والذين لا يستطيعون الوصول إلى المساجد , فوعدهم النبي صلى الله عليه وسلم خيراً , عندما يرجع من غزوة تبوك أن يصلي فيه , فأنزل الله - سبحانه وتعالى - هذه الآية (لا تقم فيه أبداً) هذا نهيٌ من الله - سبحانه وتعالى - لنبيه أن يذهب ويصلي في ذاك المسجد , قال : (ولَمسجدٌ أُسِّسَ على التقوى من أول يومٍ أحق أن تقوم فيه) هنا أختلف العلماء في هذا المسجد الذي أُسس على التقوى , فبعضهم قال : هو قباء ,

وبعضهم قال : هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم , والثاني هو الصحيح , لأنه ورد في صحيح مسلم ما يدل على ذلك , (فيه رجالٌ يحبون أن يتطّهروا) فأثنى الله - سبحانه وتعالى - بعد ذلك على الرجال الذين يصلون في ذاك المسجد لأن هؤلاء الذين يصلون في هذا المسجد (الذي سمي بعد ذلك المسجد الضرار) هذا المسجد كان فيه المنافقون , فلذلك .. ولسوء نيتهم وقصدهم , نهى الله - سبحانه وتعالى - نَبيّه أن يقوم في هذا المسجد ... أيش الشاهد الآن ؟ نريد الشاهد من ذكر هذه القصة , قال أهل العلم : المناسبة : أن المواضع المعدّة للذبح لغير الله , يجب اجتناب الذبح فيها لله , كما أن هذا المسجد لما أُعدّ للمعصية , صار محل غضبٍ لأجل ذلك , فلا تجوز الصلاة فيه لله , فلما كان المكان - الذي هو المسجد - مكان أُعدّ للمعصية , نهى الله - تبارك وتعالى - نبيّه عن الصلاة فيه , كذلك هذا المكان الذي أُعدّ للشرك لله - سبحانه وتعالى - لا يجوز لك أن تتقرب إلى - سبحانه وتعالى - فيه , فهذا قياس , قاس المؤلف - رحمه الله - الذبح لله - تبارك وتعالى - في مكان يذبح فيه لغير الله على مسجد الضرار , فكما نُهينا عنه ... كما نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في المسجد الضرار كذلك يُنهى المسلم الموحّد أن يذبح في مكان يشرك فيه الناس , ويذبحون لغير الله - تبارك وتعالى - , هذا الشاهد من الآية ... ثم قال المؤلف - رحمه الله - " عن ثابت بن الضّحّاك " هذا صحابي " قال : نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً ببوانة , فسأل النبيُ صلى الله عليه وسلم , فقال : " لأن السائل هو النبي صلى الله عليه وسلم فيكون فاعلاً مرفوعاً " فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد) ؟ قالوا : لا , قال : (فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم)؟ قالوا : لا ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أوفِ بنذرك , فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله , ولا فيما لا يملك ابن آدم) رواه أبو داود وإسناده على شرطهما " الحديث صحيح ... ثابت ابن ضحاك قال : نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً ببوانة ... نذر رجلٌ , النذر : هو أن تلزم نفسك بعبادةٍ لم يلزمك الله - سبحانه وتعالى - بها ,

فمتى نذرت وقلت : لأذبح شاةً لله - سبحانه وتعالى - هنا يلزمك أن تذبح شاة , مع أن الله - سبحانه وتعالى - ما ألزمك بهذا , لكن أنت ألزمت نفسك بالنذر هذا معنى النذر .. فهذا رجلٌ أن ينحر إبلاً ببوانة , بوانة - هذه - هي موضع في أسفل مكة , مكان يعني , فأراد أن ينحر هذا الرجل الإبل في ذاك المكان , فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ... لا - هنا - الصواب : النصب , فسأل الرجل النبي صلى الله عليه وسلم , هذا الظاهر ... ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم , هذا صحيح .. لأنه - هنا - يكون منصوباً , السائل يكون الرجل , و إذا قلنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي سأل القوم , فيقال : أنه (فسأل النبيُّ صلى الله عليه وسلم) فقال - النبي صلى الله عليه وسلم - : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية ؟ حسب المراد , فإذا كان السائل هو الرجل فتكون - النبي - منصوبة , و إذا كان السائل هو النبي صلى الله عليه وسلم فيكون مرفوعاً , إما أن يقال : فسأل الرجلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم , فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل كان فيها .... إلى آخره ... أو يقال فسأل النبيُّ صلى الله عليه وسلم , ما الذي سأله ؟ قال : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ اللفظ يحتمل هذا وهذا .. لعلها تكون توجد رواية تبين المراد طيب , على كلٍّ الأمر سهل , المقصود - هنا - سأل النبي ... قال النبي صلى الله عليه وسلم - سائلاً الصحابة - (هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد)؟ هل كان فيها ... - يعني - هل كان في تلك ... ذاك المكان (اللي هو بوانة) هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ إما صنم او حجر أو شجر كانوا يعبدونه في ذاك المكان , يعني يريد أن يصل النبي صلى الله عليه وسلم لماذا اخترت هذا المكان بالذات ؟ هل فيه معنى من المعاني المذكورة هنا أم لا ؟ قالوا : لا , لم يكن فيها وثن يعبد .. قال : فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم .. العيد : هو الذي يعني يوم يعود في كل اسبوع , أو في كل سنة يعود فيسمى عيداً , فيجتمعون فيه , به و يحتفلون به في ذاك المكان , قالوا : لا , فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوفِ بنذرك , طيب ...قال له : أوفِ بنذرك

بعد أن علم أنه ليس لهم فيه عيدٌ ولا كان فيه وثن من أوثانهم يعبدونه هناك , ثم قال : فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله , فبين بذلك , أن المكان لو كان فيه وثن من الأوثان , أو كان فيه عيد من أعياد المشركين , لكان ذبحه في ذاك المكان معصية , يعني هنا علّل , فقال : (فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله) فلما قال له : أوفِ بنذرك , لماذا أوفِ بنذرك ؟ لأنه علم أنه ليس فيها وثنٌ يعبد , ولا فيها عيد من أعيادهم , لذلك قال له : (أوفِ بنذرك) , ولما سأل هذين السؤالين , بيّن لماذا سأل , فقال : (فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله) فبين أن الذبح في مكان فيه وثن من الأوثان , معصية ... أو فيه عيد من أعياد المشركين , معصية وهذا دلالته واضحة , وهذا دلالته نصّية , ذاك ... تلك الآية دلالتها للقياس , هذا دلالتها نصّية , إذاً هنا يتبين لنا أن الذبح في مكان فيه وثن , أو أهل الجاهلية يذبحون فيه , فهذا - يعني - يعتبر معصية لله - سبحانه وتعالى - وإثم , يؤدي إلى الشرك , (ولا فيما لا يملك ابن آدم) يعني : لا نذر في ما لا يملك ابن آدم يعني - مثلاً - أنت نذرت أن تذبح شاة لزيدٍ من الناس , هذا الشاة ليست لك , ليست مملوكة لك, هي لزيد .. فنذرت أن تذبحها , هذا النذر باطل .. لماذا ؟ لأنك نذرت أن تذبح شيئاً ليس هو من ملكك .. هذا معنى الحديث , إذاً الشاهد عندنا من الحديث , هو قول النبي صلى الله عليه وسلم : (فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله) - سبحانه وتعالى - , يعني : النذر , لو كان المكان فيه وثن أو كان فيه عيد لكان النذر بالنحر فيه معصية , هذا الشاهد الذي نريده ... خلاصة البابين أن الذبح قربة وتعظيم لغير الله شرك , والذبح قربة وتعظيم لله - سبحانه وتعالى - توحيد وعبادة , و إذا ثبت أن الذبح عبادة بالنصوص التي ذكرها المؤلف , فلا يجوز صرفها لغير الله - تبارك وتعالى - , ولا يجوز - أيضاً - الذبح في مكان كان يذبح فيه المشركون لأوثانهم , أو يتعبدون لأوثانهم فيه , أو لهم فيه عيدٌ ... لا يجوز لأن ذلك يُفضي ويؤدي إلى الشرك بالله - سبحانه وتعالى - , فيُغلَق هذا الباب تماماً , هذه خلاصة الباب التاسع , والعاشر من أبواب كتاب التوحيد ,

والله أعلم ... سبحانك اللهم وبحمدك , أشهد أن لا إله إلا أنت , أستغفرك ونتوب إليك نعم , جاء في رواية أخرى : عن ثابت ابن الضحاك قال : (نذر رجلٌ أن ينحر إبل ببوانة , فسأل الرجل النبي صلى الله عليه وسلم , فقال عليه الصلاة والسلام : هل كان فيها وثن ؟ .....) إلى آخره , فهنا تبينت , أو تبين بالرواية الثانية أن الرجل هو الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فتكون - هنا - النبي منصوبة , فسأل الرجل النبي صلى الله عليه وسلم , والله أعلم , والحمد لله .

الدرس رقم 10

تفريغ الدرس العاشر :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , أما بعد :
فمعنا اليوم الباب الحادي عشر من أبواب كتاب لتوحيد , قال المؤلف رحمه الله : " باب من الشرك النذر لغير الله " , أولاً قبل أن نتحدث عن صرف النذر لغير الله , ينبغي أن نعرف ما هو النذر ؟ أصل النذر في اللغة بمعنى الإنذار , التخويف والإيجاب , في الشرع : إلزام المكلَّف نفسه عبادة لم يلزِمه الله تبارك وتعالى بها , هذا تعريفه بشكل ميسّر , إلزام المكلف نفسه بعبادة لم يلزمه الله تبارك وتعالى بها , بمعنى أن تلزم نفسك مثلاً بأن تصوم يوم الأربعاء القادم , أو يوم الخميس القادم , نافلة لله تبارك وتعالى فتقول : نذر عليّ أن أصوم يوم الخميس , هنا تكون أنت قد أوجبت على نفسك صيام يوم الخميس ولم يُلزمك الله سبحانه وتعالى بذلك , ولا أوجب عليك هذا , هذا يسمى نذراً , هذا معنى النذر , تلزم نفسك بعبادة لم يُلزمك الله تبارك وتعالى بها , هذا تعريفه , والنذر عبادة وقربة لله تبارك وتعالى , وسيذكر المؤلف رحمه الله من الأدلة ما يدل على أن النذر عبادة , والقاعدة عندنا أن العمل إذا ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك , لماذا ؟ لأن الله سبحانه وتعالى قال : { وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه } , { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً } , هذا معنى هذه الآيات , أن العبادات لا تكون إلا لله تبارك وتعالى , هذا الواجب , ومن صرف شيئاً من العبادات لغير الله فقد أشرك , فيكفينا أن الفعل هذا , وهو النذر , عبادة , فإذا أثبتنا ذلك , إذاً نقول : صرفه لغير الله شرك , والواجب أن يكون العمل خالصاً لله في ذلك , لذلك هنا قال المؤلف : " باب من الشرك النذر لغير الله " , من أنواع الشرك أن تنذر لغير الله تبارك وتعالى , كما كان يفعل أهل الجاهلية , فهؤلاء عبّاد الأصنام , عبّاد القبور , وعبّاد الأشجار , ينذرون تقرّباً لهذه الأشياء , يصرفون لهم أنواع النذور

تقرباً بها إليهم ليقضوا لهم حوائجهم , أو ليشفعوا لهم , هذا معنى الشرك في عبادة الله تبارك وتعالى . الآن نأتي إلى ما ذكره المؤلف رحمه الله من أدلة تدل على أن النذر عباد , قال رحمه الله تعالى : " وقوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ " يعني : أيّ نفقة تنفقونها لوجه الله تبارك وتعالى , أو أيّ نذر تنذرونه لله تبارك وتعالى فإن الله يعلمه , وإذا علمه أثابكم عليه , وهو يعلمه ولا شك , إذاً , يثيبكم على هذه النفقات وهذه النذور , وإذا أثابنا الله سبحانه وتعالى على عمل فهو طاعة وقربة لله تبارك وتعالى , هذه الآية تدل على أن النذر عبادة وقربة لله تبارك وتعالى , لأن الله يُثيب على هذه القربة , النفقة وقوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ " أي نفقة تنفقها , النفقة على أبنائك , النفقة على زوجك , الصدقات , الزكوات , كلها يعلمها الله سبحانه وتعالى ويأجرك عليها , وكذلك أيضاً النذور , إذاً فالنذر عبادة وقربة لله فلا يجوز صرفه لغيره تبارك وتعالى , قال المؤلف رحمه الله : " وفي الصحيح عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه" " لاحظ هنا : " من نذر أن يطيع الله فليطعه " هذا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم بالوفاء بالنذر , إذاً , الوفاء بالنذر قربة , فالنذر طاعة لله تبارك وتعالى , هذا النذر في أمر , في عبادة , في طاعة تنذر نذر صيام , نذر صلاة , مثل : نذر ذبح , هذه النذور نذور طاعة , لكن هناك نذر معاصي , كأن يُنذر الشخص أن يشرب خمراً , أو أن يلعب قماراً , أو أن يتعامل بالربا , هذه النذور نذور معصية , وهذه لا يجوز الوفاء بها " من نذر أن يعصي الله فلا يعصه " , هذا نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن العصيان بنذر المعصية , فالوفاء يكون لنذر الطاعة لا لنذر المعصية , نذر المعصية لا يوفي به صاحبه , لا يوفي به , لا يجوز أن يفعل , وهل عليه كفارة يمين ؟ في المسألة نزاع بين العلماء , بعضهم يقول : عليه كفارة يمين , والبعض يقول : لا يلزمه , والصحيح أنه لا يلزمه , لأن الدليل الذي استدلوا به على كفارة اليمين ضعيف لا يصح , وهذا الحديث الصحيح لم

يُلزمه فيه النبي صلى الله عليه وسلم بكفارة يمين , ولكن نهاه عن الوفاء به فقط , إذاً , النذر قسمان : نذر طاعة , ونذر معصية , نذر الطاعة : أنت مأمور أن توفي به , ونذر المعصية : أنت منهيٌّ عن الوفاء به , هذا نوعان من أنواع النذور , والنذور كثيرة أنواعها , تعرفون التفصيل فيها في كتب الفقه , وكذلك جاء في الآية , قول الله سبحانه وتعالى : { يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً } أيضاً هذه الآية , نعم , نحن أصلاً قفزنا عنها , هذه أوّل آية ذكرها المؤلف رحمه الله نحن قفزنا عنها , قال المؤلف رحمه الله في البداية : " وقول الله تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً} " هذه الآية تدلّ بشكل واضح على أن النذر عبادة وطاعة , { يوفون بالنذر } فأثنى الله سبحانه وتعالى ومدح الذين , أهل الإيمان والطاعة مدحهم بأنهم يوفون بالنذر , ودلّت الآية على وجوب الوفاء بالنذر , لماذا ؟ لأن الله سبحانه وتعالى مدح من فعل ذلك طاعةً لله سبحانه وتعالى ووفاء بما تقرّب به إليه إليه , إذاً , هذه الأدلة التي ذكرت كلها تدلّ على أن النذر طاعة , إذا كان النذر في طاعة من طاعات الل , والنذر طاعة لله سبحانه وتعالى فصرفه لغير الله يُعتبَر شركاً , هذا المراد من هذا الباب , والله أعلم , فكبقية الأبواب , أي شيء , أي عمل يثبت أنه عبادة , فصرفه لغير الله شرك , وبهذا الباب الذي عقده المؤلف هنا ذكر لنا الأدلة التي دلّت على أن النذر عبادة , فصرفه لغير الله شرك , والله أعلم.

ثم قال المؤلف رحمه الله : " باب من الشرك: الاستعاذة بغير الله "

الاستعاذة : هي الالتجاء والاعتصام , الألف والسين والتاء تأتي في لغة العرب أحياناً كثيرة للطلب , الاستعاذة : طلب العوذ , يعني : طلب دفع الشر , هذا معنى الالتجاء والاعتصام , تلتجئ إلى الشيء أو تعتصم بالشيء كي يحميك من الشر , ويدفع عنك الشر , هذا معنى الاستعاذة , فعندما تقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم , معنى ذلك أنك تلتجئ إلى الله سبحانه وتعالى وتعتصم به كي يدفع عنك شر الشيطان , هذا معنى الاستعاذة , والاستعاذة عبادة وقربة , سيأتي من كلام المؤلف ما يدلّ على

ذلك , فصرفُها لغير الله شرك , لكن , هل هذا الكلام على إطلاقه ؟ لا , الاستعاذة قسمان : قسمٌ هو , أو القسم الأول : الاستعاذة من أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله : فهذا النوع , صرفه لغير الله شرك , والقسم الثاني : الاستعاذة من أمر يقدر المخلوقون : هنا في هذا القسم الثاني , الاستعاذة بالمخلوق جائزة , أما القسم الأول , فالاستعاذة بالمخلوق تكون شركاً , فعلى ذلك يُقال : الاستعاذة بالمخلوق فيها تفصيل , أهي شركٌ أم لا ؟ فإن كان المخلوق لا يقدر عليه فهي من الشرك , لماذا ؟ لأنه لا يعصمك من الشر الذي لا يقدر عليه إلا الله , إلا الله سبحانه وتعالى فقط , هو الذي يعصمك من هذا , ومن ذلك الاستعاذة بأصحاب القبور , فإنهم لا ينفعون ولا يضرّون , ولا يقدرون على شيء , الاستعاذة بهم شركٌ أكبر , وأنت لو تلاحظ الذي يأتي ويستعيذ بصاحب القبر , لا يستعيذ به إلا وقد اعتقد أن صاحب القبر له تصرف , وله قدرة على أشياء لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى , لذلك يستعيذ به , الاستعاذة بهم شرك أكبر , سواءٌ ذهب الشخص واستعاذ بهم عند قبورهم , أم كان بعيداً عنها , أما الاستعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه فهي جائزة , وقد ذكر أهل العلم من الأدلة على جواز ذلك , ما ورد في صحيح مسلم , لمّا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الفتن قال : [فمن وجد من ذلك ملجأً فليعُذ به] وكذلك لو كنت في مكان ورأيت أسداً يهاجمك وأمامك رجل عنده - معه - بندقية , وقادرٌ على قتله , فعُذْتَ به , لا يقال هذا شرك , هذا جائز , لأنك عُذت بمخلوق مِن أمرٍ هو قادرٌ عليه , كذلك امرأة سرقت من بني مخزوم , فعاذت بأم سلمة , هذا جاء الحديث في صحيح مسلم , [فعاذت بأم سلمة] زوج النبي صلى الله عليه وسلم , فقال عليه الصلاة والسلام : [والله لو كانت فاطمة سرقت لقطعت يدها] فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ما حصل من المرأة المخزومية مِن عَوذٍ بأم سلمة , لكن ردّ الشفاعة في حدٍّ من حدود الله , فخلاصة القول : أن الاستعاذة شرك فيما لا يقدر إلا الله , أما فيما يقدر عليه المخلوق , فهذا ليس من الشرك , قال المؤلف رحمه الله تعالى : " وقول الله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ

مِنَ الأِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً} " كان الناس في الجاهلية إذا نزلوا وادياً من الوديان , وخافوا من الجنّ الذين فيه , صرخ أحدهم يعوذ بعظيم ذلك المكان من الجانّ , فيقول : أعوذ بسيّد هذا الوادي من سفهاء قومه , يريد كبير الجن , كي يحميه ممن ؟ من سفهاء قومه , يعني من الجن الآخرين , فأنزل الله تبارك وتعالى : هذه الآية : { وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن } فماذا كانت النتيجة ؟ قال : { فزادوهم رهقاً } يعني الجن , بدل أن ينفعوهم , زادوهم رهقاً , يعني : ذعراً وخوفاً , فما نفعوهم شيئاً , بالعكس , زادوهم خوفاً وذعراً , لذلك قال أهل العلم : لما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم , زادوهم رهقاً (أي زادوهم خوفاً وإرهاباً وذعراً) حتى يبقوا أشدّ منهم مخافة , وأكثر تعويذاً بهم , يبقون دائماً يخضعون ويتذلّلون لهم , هذا ما يريدونه , فهذا يدل على تحريم الاستعاذة بالجن , قال أهل العلم : وجه الاستشهاد بالآية : ذمّ المستعيذين بغير الله , والمستعيذ بالشيء , لا شكّ أنه قد علّق رجاءه به واعتمد عليه , وهذا نوعٌ من الشرك , هذا الشاهد من الآية , قال المصنف رحمه الله تعالى : " وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك "رواه مسلم في صحيحه " , خولة بنت حكيم السلمية , يقال لها أم شريك , كانت صالحة فاضلة , كما قال ابن عبد البر , وهي صحابية , قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" من نزل منزلاً " من نزل منزلاً : أيّ منزل , أيّ مكان , سواء يعني قرية , أو مدينة , أيّ مكان نزلته أو بيت , أو غير ذلك , المهم أنّك نزلت مكاناً , سواء نزلته للإقامة الدائمة أو الطارئة , " فقال : أعوذ بكلمات الله التامّات " هنا عاذ بماذا ؟ عاذ بكلمات الله , وهي صفة لله تبارك وتعالى , كلمات الله هي صفة لله تبارك وتعالى , فلذلك جاز الاستعاذة بها , أي : بكلمات الله تبارك وتعالى , لأنها صفة لله تبارك وتعالى , فالمراد من هذا الكلمات الشرعية والكلمات الكونية , القرآن كله كلام الله

سبحانه وتعالى , الكلمات الكونية : يقول الله سبحانه وتعالى للشيء : كن فيكون , هذه صفة لله سبحانه وتعالى , الكلمات , فلذلك فيجوز الاستعاذة بها , ومن ذنا أخذ العلماء أن القرآن صفة لله وليس بمخلوق , لماذا ؟ لأنه لا يجوز الاستعاذة بالمخلوق , [أعوذ بكلمات الله التامّات] قال أهل العلم : تمام الكلام بأمرين : الصدق في الأخبار , والعدل في الأحكام , كما قال الله سبحانه وتعالى : { وتمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً } فإذا كان خبراً , فالله سبحانه وتعالى صادق في أخباره وإذا كان حكماً , فالله سبحانه وتعالى عادل في أحكامه , هذا معنى تمامها , قال : " أعوذ بكلمات الله التامّات من شر ما خلق " من شر ما خلق , فخلقُه فيه خير وفيه شرّ , فأنت تلجأ إلى الله سبحانه وتعالى وتعتصم به كي يدفع عك شرور الخلق , [لم يضرّه شيء , حتى يرحل من منزله ذلك] لا تلدغه أفعى , ولا يقرصه عقرب ولا شيء من هذه الأمور , لأن هذه من شر ما خلق فيندفع عنه كل ذلك , [لم يضرّه شيء حتى يرتحل من منزله ذلك] رواه مسلم في صحيحه , إذاً , الاستعاذة بصفات الله سبحانه وتعالى استعاذة بالله تبارك وتعالى , فهي عبادة وقربة لله تبارك وتعالى , حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم قد حثّ على هذا القول , فصرف الاستعاذة في أمر لا يقدر عليه إلا الله , صرفه لغير الله يُعتبر شركاً بالله تبارك وتعالى , على ما ذكرنا من تفصيل , وجاء في الحديث أيضاً : [أعوذ بعزّة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر] الحديث في صحيح مسلم , هذا علّمنا إياه النبي صلى الله عليه وسلم , إذاً : الاستعاذة تكون بالله , والاستعاذة بصفته هي استعاذة به تبارك وتعالى في كل شيء , استعاذة بالله سبحانه وتعالى , أما الاستعاذة بالمخلوق فجائزة , فيما يقدر عليه المخلوق فقط , وفي غيره يُعتبر شركاً , والهأ أعلم , والحمد لله , ثم ننتقل إلى الباب الذي بعده .

قال المؤلف رحمه الله : " باب من الشرك: أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره " الاستغاثة والدعاء , صرفها لغير الله شركٌ أيضاً , لكن في المسألة تفصيل , أولاً : الاستغاثة : هي طلب الغوث , يعني : طلب إزالة الشدة , كأن يكون شخص مثلاً

غريق ويرى على الشاطئ شخصاً يقدر على مساعدته , فيناديه , فإذا ناداه تسمى هذه استغاثة , لأنه يناديه كي ينقذه من الغرق أو يزيل عنه الشدة , هذا معنى الاستغاثة , طلب الغوث : يعني إزالة الشدة , وهذه كما ذكرنا في المثال , يعني , لو أن الشخص مثلاً كان غريقاً واستغاث بشخص قادر على إخراجه , هذا لا يسمى شركاً , فالتفصيل في الاستغاثة كالتفصيل الذي تقدّم في الاستعاذة , إذا استغاث بشخص أو بمخلوق في أمر لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى فهذا يعتبر شركاً , وأما إذا استغاثه في أمر يقدر عليه , فهذا لا يعتبر شركاً , كالتفصيل الذي ذكرناه في , آنفاً تماماً , لذلك لا نطيل , " أو يدعو غيره " الدعاء قسمان : دعاء عبادة ودعاء مسألة , دعاء عبادة : جميع العبادات التي نتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بها هي من دعاء العبادة , ومنها دعاء المسألة , وأما دعاء المسألة : هو الطلب , نطلب من الله سبحانه وتعالى أن يرحمنا , وأن يغفر لنا , هذا دعاء المسألة (سؤال) نسأل الله سبحانه وتعالى , { وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين } إذاً , الدعاء عبادة , فصرفه لغير الله شرك , { ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن } أيش ؟ { عن عبادتي } إذاً فالدعاء عبادة , فصرفه لغير الله شرك , كذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : [الدعاء هو العبادة] لكن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله قسّم الدعاء إلى قسمين : الدعاء الذي هو دعاء مسألة , قال : ما يقع عبادة : وهذا صرفه لغير الله شرك , وهو المقرون بالرهبة والرغبة والحب والتضرع , هذا كلامه رحمه الله , ثم ذكر القسم الثاني , قال : ما لا يقع عبادة , فهذا يجوز أن يوجّه إلى المخلوق , قال النبي صلى الله عليه وسلم [من دعاكم فأجيبوه] , وقال : [وإذا دعاك فأجبه] وعلى هذا فمراد المؤلف بقوله : " أو يدعو غيره " دعاء العبادة , أو دعاء المسألة فيما لا يمكن للمسؤول إجابته , يعني : ما لا يمكن للمسؤول أن يلبي الطلب الذي طُلب منه , هذا كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله وتفصيله في هذه المسألة , قال المؤلف رحمه الله : " وقول الله تعالى : {وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا

يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ } " ولا تدع من دون الله , هذا أيش ؟ نهي , نهي عن دعاء غير الله سبحانه وتعالى , قال : { ما لا ينفعك ولا يضرك } وحقيقة , النفع يصلك من الله سبحانه وتعالى , والله سبحانه وتعالى بيده كل شيء , يقدر على منفعتك ويقدر على مضرتك هو الله سبحانه وتعالى , أما غيره فلا , إذاً , فيكون التجاؤك في الدعاء لمن ؟ لمن يملك النفع والضر , وهو الله سبحانه وتعالى لذلك قال : {وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ } الظلم في القرآن يُطلق على الفسق ويطلق على الشرك أيضاً , إن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك { فإنك إذاً من الظالمين } وهنا المقصود بالظلم هو الشرك , كما في قول الله سبحانه وتعالى : { إن الشرك لظلم عظيم } الشاهد : أن الدعاء يجب أن يكون لله خالصاً , سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسألة , على التفصيل الذي تقدّم , قال الله سبحانه وتعالى : { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو } إن يصبك بضر كمرض وفقر وما شابه , من الذي يرفع عنك ذلك ؟ من الذي يرفع عنك المرض ؟ ويشفيك منه ؟ من الذي يغنيك من الفقر ؟ هو الله سبحانه وتعالى { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو } لا أحد يستطيع أن يكشف عنك هذا الضر , كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس : [واعلم أن الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الهل لك , ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك , رفعت الأقلام وجفت الصحف] إذاً , من الذي يستحق منا العبادة والدعاء والخضوع والتذلل ؟ هو الذي بيده النفع والضر , قال " وقوله { فابتغوا عند الله الرزق } يعني : اطلبوا الرزق ممن ؟ من الله سبحانه وتعالى , فالجؤوا إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء لطلب الرزق , لأن الرزق لا يكون إلا من الله سبحانه وتعالى , هو الذي يرزقنا , فهو الذي يستحق منا الدعاء , الدعاء يجب أن يكون لله تبارك وتعالى لا لغيره , هذا المقصود من الآية , " وقوله : { ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب

له إلى يوم القيامة { من أضل من إنسان أو شخص يدعو من دون الله , كهؤلاء الذين يذهبون ويلجؤون إلى أصحاب القبور , موتى لا ينفعون ولا يضرون , يذهب إلى صاحب القبر ويدعو , ويستغيث ويلجأ إليه , يا سيدي فلان ارزقني الولد , يا سيدي فلان ارزقني تمام , ارفع عني الداء , هكذا يكون حاله , وهو يلجأ إلى من ؟ إلى من لا يستجيب له إلى يوم القيامة , لأنه أيش ؟ ما بيده شيء , لا يسمع , وإن سمع لا يستطيع أن يفعل شيء , هو غير قادر على أن يخرج نفسه من قبره , كيف ينفعك أنت ؟ أناس لا عقول لهم { ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة { إذاً الدعاء يجب أن يكون لمن ؟ لله تبارك وتعالى وحده لا لغيره , { ومن أضل { يعني لا يوجد أضل من هذا الإنسان الذي يفعل هذا الفعل , " وقوله: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ { أإله مع الله ؟ { أمن يجيب المضطر { يعني : من هذا الذي يجيب المضطر ؟ المضطر الذي وقع في , أصابه الضرر , وضرر شديد , وصار بحاجة ملحة إلى رفع هذا الضرر وقوله: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ { من هذا الذي يجيب المضطر ؟ الإنسان إذا كان في سفينة في عرض البحر , وكادت السفينة أن تهلكه , وانقطع زاده , يلجأ إلى من ؟ يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى عند الشدائد , والله سبحانه وتعالى هو الذي يكشف عنه السوء , وهو الذي يستجيب له إذا دعاه , كان المشركون في السابق , في مثل هذه المواقف يخلصون الدعاء لله تبارك وتعالى , اليوم , كثير من الناس هم أشد كفراً من أولئك , لأنهم لا يخلصون لله الدعاء , لا في هذه الحالة ولا في غيرها , { أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء { , { أإله مع الله { , كيف تعبدون إنساناً ؟ أو تعبدون شيئاً مع الله سبحانه وتعالى لا ينفعكم ولا يضركم ؟ وإذا كنتم في حالة اضطرار لا تلجؤون إليه , بل تلجؤون إلى الله سبحانه وتعالى , إذاً , فالذي يستحق منكم الدعاء , ويستحق منكم العبادة , هو الله سبحانه وتعالى , هذا المقصود من هذا الباب والله تبارك وتعالى أعلم , ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم لطاعته .

الدرس رقم 11
تفريغ الدرس الحادي عشر :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , أما بعد :
قبل أن نبدأ بشرح الباب الرابع عشر كنا قد نسينا في الدرس الماضي أن نتحدث عن حديث الطبراني في الباب الثالث عشر في آخره , قال المصنف رحمه الله تعالى : " وروى الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:[إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله] " ذكره المؤلف هنا بمناسبة الاستغاثة لأنه يتحدث عن أنه من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره تبارك وتعالى فلذلك ذكر المؤلف هذا الحديث , وهذا الحديث أخرجه الطبراني كما قال المؤلف وفي سنده ابن لهيعة , ابن لهيعة ضعيف , فالسند ضعيف وكذلك أخرجه أحمد بلفظٍ آخر وفي سنده ابن لهيعة وفي سنده أيضاً رجل مبهم فالحديث حصل فيه خلاف في إسناده , هل هذا الرجل المبهم في إسناده الصواب ذِكره أو عدم ذكره وأيضاً في سده ابن لهيعة , والظاهر أن الخلاف أصلاً نتج من سوء حفظ ابن لهيعة رحمه الله , على كلٍّ الحديث ضعيف لا يصحّ , لا ننشغل به , لكن هو يعني يريد المؤلف منه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [إنه لا يستغاث بي] مع أن ما ذُكر في الحديث يقدر عليه النبي صلى الله عليه وسلم , نحن قرّرنا في لدرس الماضي أن الاستغاثة بشخصٍ في أمرٍ يقدر عليه هذا جائز , وهذا منها , يعني منها , ينبغي أن تكون من هذا الباب , فلذلك العلماء الذين رأوا صحة هذا الحديث تأوّلوه فقالوا : المراد من ذلك يعني أن النبي صلى الله وسلم قال : إنه لا يُستغاث بي في مثل هذا الموطن مع أنه مما يقدر عليه النبي صلى الله عليه وسلم , قالوا : أراد من ذلك حماية جناب التوحيد وسداً لذرائع الشرك , وفعل ذلك أيضاً أدباً وتواضعاً لربه

تبارك وتعالى وتحذيراً للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال , هذا ذكره من يذهب إلى صحة الحديث , يعني تأوّلوه , وبما أن الحديث ضعيف عندنا فلا نحتاج إلى هذا , طيب .

نبدأ بالباب الرابع عشر : قال المؤلف رحمه الله :" باب: قول الله تعالى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ}"

في هذا الباب : قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (لمّا ذكر المؤلف رحمه الله الاستعاذة والاستغاثة بغير الله تبارك وتعالى ذكر البراهين - يعني الأدلة - الدالّة على بطلان عبادة ما سوى الله) يعني ذكر الأدلة , ذكر المؤلف بعد ذلك الأدلة التي تدلّ على بطلان عبادة غير الله تبارك وتعالى , على بطلان عبادة الأصنام , بطلان عبادة الملائكة وما شابه , فلما كانت الاستغاثة والاستعانة من أنواع العبادات , وصرفها لغير الله شرك على التفصيل الذي تقدّم معنا , أراد أن يؤكد لنا في هذا الباب أن عبادة غير الله تبارك وتعالى باطلة وهي عبادة قد صُرفَت لغير الله بغير وجه حق , فذكر الآية مباشرة , وهي دليلٌ على ما ذَكَرَ , قال : " باب: قول الله تعالى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} " هنا السؤال أو الاستفهام في هذه الآيات هو استفهامٌ للتوبيخ والتعنيف , يعني كيف يُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ , كيف يفعل ذلك أهل الشرك , يذهبون إلى مخلوقات كالأصنم والأوثان وغيرها فيعبدونها مع الله تبارك وتعالى , وهذه الأصنام هي لا تستطيع أن توجد شيئاً من العدم , وهذا معنى الخلق , غير قادرة على خلق شيء , وهي مخلوقة , فهي غير قادرة على خلق الشيء من العدم , وإيجاده من العدم , وهذا نقصٌ في قدرتها وفي نفس الوقت هي مخلوقة , يعني هي احتاجت إلى غيرها كي يوجدها , وهذا نقصُ آخر فيها , فكيف يكون الناقص على هذا النحو إلهاً يُعبَد مع الله تبارك وتعالى فهو لا يستطيع أن يَخلُق , وهو نفسه أصلاً مخلوق , إذاً هو ناقصٌ من الجهتين , عدم قدرته على الخلق , هذا نقصٌ في قدرته , وكونه هو مخلوق أصلاً كان

معدوماً فهو بحاجة إلى من يخلقه هذا أيضاً نقصٌ في حقه فكيف يكون الناقص بهذا الوصف وهذه الصورة إلهاً يُعبَد مع الله تبارك وتعالى ؟ أفما لهم عقول ؟ , قال : { أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ } يعني كيف يفعلون ذلك ؟ كيف يفعل المشركون أمراً كهذا ؟ { وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ } يعني انظر إلى أي مستوى هم ضعفاء !! - الذين يعبدونهم ويتضرّعون إليهم ويخضعون ويتذلّلون لهم - , الذي يُعبَد ينبغي أن يكون كاملاً قادراً على كل شيء , قادراً على نصرتك , قادراً على حمايتك عندما ترفع يديك إليه وتدعوه , قادر على أن يستجيب دعاءك , هذا هو الذي يستحق أن يُعبَد لا الذي لا يقدر على شيء من ذلك وعنده نقصٌ كبير وضعف , يُعبَد على ماذا هذا ؟! { وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً } يعني لو جاءهم عدو أو نزل بهم ما يحتاجون إلى نُصرة هذه الآلهة التي يعبدونها لا تستطيع الآلهة أن تنصرهم وأن تذبّ عنهم وأن تحميهم , لا تستطيع ذلك , إذاً لماذا تُعبَد ؟ لماذا تُدعى مع الله تبارك وتعالى ؟ بل ليس هذا فحسب , حتى إنهم غير قادرين على نصرة أنفسهم , لو جاء عدو يعتدي عليهم أنفسهم ما استطاعوا أن ينصروا أنفسهم , لذلك عندما جاء الأنبياء وحطّموا هذه الأصنام هل استطاعت هذه الأصنام أن تدافع عن نفسها من التحطيم ؟ وعندما جاء المؤمنون الموحّدون وحطّموا هذه الأصنام ما استطاعت الأصنام أن تدافع عن نفسها , ما استطاعت أن تنصر نفسها , يدعون الأصنام ليلَ نهار , يخضعون يتذلّلون لها , يعبدون القبور , يخضعون لأصحابها ويتذلّلون لهم , هل استطاع أحد من أصحاب القبور أن يلبّي دعاءهم ؟ أن يرزقهم ؟ أن يحفظهم ؟ أن يرفع عنهم البلاء ؟ ما يستطيع إلا بإذن الله تبارك وتعالى فقط , عندما يأذن الله سبحانه وتعالى يكون ذلك , إذاً مَن الذي يُدعى ؟ مَن الذي يُعبَد ؟ هو الله سبحانه وتعالى الذي بيده ملكوت كل شيء , ثم قال المصنّف رحمه الله تعالى :" وقوله: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ } , { وَمَا يَسْتَوِي} الآية الأخرى { وما يستوي الْأَحْيَاءُ وَلا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ

مَنْ فِي الْقُبُور { " آيات كلها مغزاها واحد تدل على أن هذه الآلهة التي تعبدونها مع الله وتشركون بها في عباداتكم لا تملك شيئاً غير قادرة على منفعتكم بشيء , لا تسمع , وإذا سمعَت لا تستطيع أن تستجيب لكم ولا أن تنفعكم , لأنها لا تملك شيئاً , }وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ { " يعني : الذين تعبدونهم من سوى الله سبحانه وتعالى , من غير الله تبارك وتعالى , { ما يملكون من قطمير { يعني : لا يملكون حتى القطمير , القطمير هي اللفافة التي تكون على نواة التمرة مثل النايلون , رقيقة جداً , بعد ما تشيل الذي على التمر , الذي يؤكَل من التمر تجد مثل النايلون , رقيق شفاف , شيء حقير تافه , لا يملكونه , فإذا ما استطاعوا أن يملكوا مثل هذا فما هو أعظم منه من باب أولى , إذاً فَهُم لا يملكون شيئاً , والذي لا يملك شيئاً لو دعوته ليل نهار ماذا سيعطيك ؟ فاقد الشيء لا يعطيه , هو لا يملك شيئاً فماذا سيعطيك ؟ لن يعطيك شيئاً , إذاً الذي يستحقّ أن يُدعى هو الله سبحانه وتعالى , تخضع , تتذلّل بين يديه بحاجتك فيلبّي الله سبحانه وتعالى طلبك , قال : { إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم { ,{ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم { لأنهم إما جمادات أصنام أو موتى أو غائبون , هذه المعبودات التي تُعبَد من غير الله تبارك وتعالى , فلا يسمعون , { ولو سمعوا { : لو قدّرنا أن منهم من يسمع وسمعوا { ما استجابوا لكم , لأنهم لا يقدرون على أن يستجيبوا , لا يستطيعون أن يلُبّوا شيئاً , الأمور ليست بأيديهم , إنما هي بيد الله تبارك وتعالى { ولو سمعوا ما استجابوا لكم , ويوم القيامة يكفرون بشرككم { يعني أنتم تعبدونهم , تتضرّعون إليهم , تخضعون , تتذلّلون , تتقربون إليهم بأنواع القُرب , تدعونهم , ومع ذلك : يوم القيامة يتبرَّؤون منكم ومما كنتم تفعلونه معهم مِن عبادة , لا يعترفون بكم أصلاً { ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبّئك مثل خبير { يعني : لا يُخبرك بالخبر ويُعلِمك بالحقائق مِثلُ خبيرٍ بها وهو الله سبحانه وتعالى , والخبير هو العالم ببواطن الأمور وحقائقها , نعم . أما الآيات الأخرى : { وما يستوي الأحياء ولا الأموات { كثير من نسخ كتاب التوحيد ليس فيها ذِكر لهذه الآيات , على كلٍّ : { وما يستوي الأحياء

ولا الأموات } الأحياء الذين هم المؤمنون , والأموات الذين هم الكفار , فالمؤمن حيٌّ , فهو سميع بصير يمشي بنور من الله سبحانه وتعالى على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة إلى أن يصل إلى جنّات الخلد , والكافر أعمى أَصَمّ في ظلماتٍ يمشي , لا خروج له منها فهو في تيه وفي ضياع وفي ضلال إلى أن يأتي يوم القيامة فيكون في جهنم - نسأل الله السلامة - , فالمؤمن حيٌّ بإيمانه والكافر ميّتٌ بكفره , قال الله سبحانه وتعالى : { وما يستوي الأحياء ولا الأموات } الفرق بينهم كبير , فالأحياء في فلاح وفي نجاح , والكفّار في خُسران - نسأل الله العافية والسلامة - , { وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ } إن الله يُسمع : أي يهدي اللهُ سبحانه وتعالى إلى سماع الحجّة وقَبولها والانقياد إليها من يشاء من خلقه { إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ } أي : كما أن الذين في القبور لا ينتفعون ولا يسمعون , كذلك الكفار , الكفار مهما أعطيتهم من أدلّة وبراهين فلا ينفعهم ذلك , لأن الله سبحانه وتعالى لا يهديهم ولا يوفّقهم لطاعته تبارك وتعالى , هذا معنى الآيات المذكورة هنا , ونحن كما ذكرنا : هذه الآيات ليست موجودة في كثير من نسخ كتاب التوحيد , ولعلّ عدم وجودها هو الأنسب , فالشاهد والمراد في الآيات التي سبقت من سورة فاطر , ثم قال المؤلف رحمه الله : " وفي الصحيح عن أنس قال: "شجّ النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته. فقال: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ "فنزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} " في الصحيحين : الحديث موجود في البخاري ومسلم , إلا أنه عند مسلم موصول وعند البخاري معلّق , عن أنس بن مالك قال :" شُجَّ النبي صلى الله عليه وسلم ", شُجَّ يعني : ضُرب على رأسه وشُقّ رأسه يوم غزوة أحد , " وكسرت رباعيته " سنٌّ من أسنانه كُسر , فقال : أي النبي صلى الله عليه وسلم : " كيف يفلح قوم شجوا نبيهم " يعني : يستبعد هذا الأمر بعد أن ضربوا نبيهم كيف يكون لهم الفلاح لقومه , هم قريش , " فأنزل الله تبارك وتعالى : {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} " فكان هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم سبباً

لنزول الآية , والشاهد هنا أن الله تبارك وتعالى قال لنبيّه - وهو صاحب المكانة المعروفة ونبيُّ الله تبارك وتعالى على جلالة قدره ومكانته - قال له ربنا تبارك وتعالى : {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} يعني يتوب الله سبحانه وتعالى عليهم أو يُضلّهم الله سبحانه وتعالى , هذا الأمر بيد مَن ؟ بيد الله سبحانه وتعالى , والأمر يرجع إلى الله تبارك وتعالى , وأنت امض في شأنك وفي دعوتك , هذا المقصود , فمعنى ذلك : إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو صاحب المكانة المعلومة , وهو نبيّ الله تبارك وتعالى وسيّد ولد آدم , ومع ذلك يقول له ربنا تبارك وتعالى : { ليس لك من الأمر شيء } , طيب إذاً , غيره ماذا لهم ؟ الأصنام , الأحجار , الأشجار , الملائكة , كل من يُعبَد مع الله تبارك وتعالى , ماذا لهم ؟ ليس لهم من الأمر شيء , الأمر كله بيد الله سبحانه وتعالى , إذاً فالذي يستحقّ أن يُعبَد هو من ؟ هو الله سبحانه وتعالى لأن الأمر كله بيده تبارك وتعالى , هذا المقصود وهو المراد من الحديث , ثم قال المصنف رحمه الله : " وفيه" يعني في الصحيح والحديث في صحيح البخاري قال "عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر" يعني في القنوت , قنوت الفجر , هذا عند النوازل , قنوت النوازل : كان يقنت في الخمس أوقات : "اللهم العن فلانا وفلانا".يسمي أشخاصاً بعدما يقول: "سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد"،يعني يرفع من الركوع , من ركوع الركعة الثانية , في الركعة الثانية يرفع من الركوع , يقول سمع الله لمن حمده ثم يبدأ بالقنوت فيقول اللهم العن فلاناً وفلاناً " فأنزل الله: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} " , " وفي رواية :" في رواية ثانية "يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام" ها قد صرح بالأشخاص الذين كان صلى الله عليه وسلم يدعو عليهم " فنزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} " طيب : هذه الآية سبق أن نزلت بسببٍ ثاني , لا يمنع من نزول الآية أكثر من مرة بسببين أو أكثر , ما في مشكلة في هذا , فالآية نزلت بالسبب الأول وبالسبب الثاني أيضاً , والشاهد نفس الشاهد : إذا

قال الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم :{ ليس لك من الأمر شيء } الهداية والتوفيق والإضلال كله بيد الله سبحانه وتعالى فأنت ليس لك من الأمر شيء , تمضي فيما أمرك الله سبحانه وتعالى به , وهذه الأمور مرجعها إلى الله سبحانه وتعالى , فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء فغيره من باب أولى أنه ليس له من الأمر شيء , إذاً فالذي يستحق أن يُعبَد هو الذي بيده الأمر وهو الله سبحانه وتعالى , هذا المراد من الحديثين , وهو الشاهد . ثم قال المصنف رحمه الله تعالى : " وفيه أي في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله عليه: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} . فقال: "يا معشر قريش- أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، اشتروا أنفسكم بالطاعة , يعني أطيعوا الله سبحانه وتعالى والجؤوا إليه وارجعوا إليه واعبدوه ووحّدوه كي تشتروا أنفسكم من الله سبحانه وتعالى وتدخلوا الجنة وتُنجّوا أنفسكم من نار جهنم "اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً،لا أغني عنكم من الله شيئاً ,يعني أني لا أستطيع أن أنفعكم بشيء إذا متّم على الشرك , إذا لم تشتروا أنفسكم من الله بالتوحيد

والطاعة فلن أغني عنكم من الله شيئاً أي لن أستطيع أن أنفعكم بشيء عند الله سبحانه وتعالى , سيكون مآلكم إلى جهنم , " لا أغني عنكم من الله شيئاً " يا عباس , يا عباس بن عبد المطلب:عباس هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم , فالنبي صلى الله عليه وسلم ذكر الأقربين الأبعد ثم صار يقرّب , العباس أقرب من عموم قريش , قال : " لا أغني عنك من الله شيئاً " يعني إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يغني عن عمّه شيئاً ولا يغني عن قريش الذين هم أقرباؤه شيئاً إذا ماتوا على الشرك " يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم:" صفية عمّته قال " لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد: سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً" " أي بنته , بنت النبي صلى الله عليه وسلم لا يغني عنها من الله شيئاً , إذا مات أحدهم على الشرك فلن ينفعه النبي صلى الله عليه وسلم بشيء يوم القيامة , حتى الشفاعة لا تكون

للمشركين , إنما تكون للمؤمنين فقط , فلا ينفعهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يشتروا أنفسهم بأنفسهم بالتوحيد وطاعة الله سبحانه وتعالى ينجون , الشاهد أنه قال لهم : " لا أغني عنكم من الله شيئاً " وهو نبي الله , فالأمور كلها بيد الله تبارك وتعالى , فالذي يستحقّ أن يُدعى وأن يُعبد وأن تخلص العبادة له هو الذي بيده كل شيء وهو الله سبحانه وتعالى , وهذا هو الشاهد والله أعلم والحمد لله رب العالمين ثم قال المؤلف رحمه الله : " باب: قول الله تعالى: {حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير} " قال أهل العلم : هذا الباب يدل على أنه لا يستحق أحد أن يكون شريكاً مع الله , لماذا ؟ الآية التي ذكرها المؤلف في الملائكة , فإذا كان الملائكة - وهم الذين لهم القرب المعروف من الله تبارك وتعالى يحصل منهم الفزع عند سماع كلام الله تبارك وتعالى , وذلك لعلمهم بالله تبارك وتعالى وبعظمته , فهو سبحانه الذي يستحق أن يُعبَد وحده , لماذا ؟ لأنه المتّصف بالعظمة الكاملة , ومتّصفٌ بصفات الكمال وهو الذي يجب أن يُهاب وأن يُخاف كما خافته الملائكة , فهو سبحانه الذي يستحق أن يُعبَد لا غيره , فلا أحد يجب أن يُخاف منه أو أن يُهاب بالطريقة التي يُخاف من الله تبارك وتعالى بها , لأنه لا أحد له العظمة الكاملة والصفات الكاملة غير الله سبحانه وتعالى , قال :{ حتى إذا فُزّع عن قلوبهم } عندما تسمع الملائكة كلام الله تبارك وتعالى يصيبهم الخوف ويُغشى عليهم , فإذا زال عنهم الفزع { قالوا : ماذا قال ربكم قالوا } قال الحق { وهو العلي الكبير } وسيأتي تفسيرها من نفس الأحاديث , قال المؤلف رحمه الله : " في الصحيح " صحيح البخاري " عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا قضى الله الأمر في السماء " أي إذا تكلم الله بالأمر الذي يوحيه إلى جبريل بما أراده " ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً " يعني من الخضوع , تخضع لله تبارك وتعالى " لقوله " أي تخضع لقول الله تبارك وتعالى " كأنه سلسلة على صفوان " يعني كأن الصوت المسموع سلسلة على صخرة أو على حجر أملس , تجر السلسلة على الصخرة " يَنفذهم ذلك " أي يخلُص ذلك القول

إلى الملائكة ويمضي فيهم حتى يفزعوا منه { حتى إذا فزع عن قلوبهم } يعني إذا زال الفزع عنهم { قالوا ماذا قال ربكم } يسأل بعضهم بعضاً { ماذا قال ربكم } يقولون : { قال الحق وهو العلي الكبير } " فيسمعها مسترق السمع " يعني يسمع الكلمة التي قضاها الله سبحانه وتعالى مسترقي السمع من الجن , من الشياطين , كما جاء في حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن الجن يصعد بعضهم على بعض , يرتقي بعضهم على بعض , يسترِقون السمع من السماء فيأتيهم شهاب , فإما يسبق الشهاب قبل أن يأخذ الجنّيّ الكلمة من السماء ويلقيها للذي بعده يأتيه الشهاب فيقتله ويحرقه قبل أن يُلقي الكلمة أو أنه يلقي الكلمة ثم يأتيه الشهاب فيأخذها الكاهن , طبعاً يأخذها هؤلاء الشياطين ويلقونها إلى الكهنة , يأخذها الكاهن ويكذب عليها مئة كذبة , هذا جاء في حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم , قال , في نفس الحديث هذا , في آخره سيذكر هذا الأمر , قال : " فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض , وصفه سفيان بكفّه فحرّفها وبدّد بين أصابعه " حرّفها يعني مال بكفّه , لم يجعل الكف قِبَل الأرض , لا , جعلها واقفة , الإبهام إلى السماء , وفرّج بين أصابعه , يصعد بعضهم على بعض يعني , " وصفه سفيان بكفّه فحرّفها وبدّد بين أصابعه , فيسمع الكلمة " يعني مسترق السمع , الشيطان , الجنّيّ , " فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته " يعني يتناقلونها فيما بينهم إلى أن تصل إلى من هو على الأرض " حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن " فيأخذها الشيطان الأخير فيوصلها إلى الساحر أو الكاهن " فربّما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها " هذا الأول الذي يسترق الكلمة ربما يصل إليه الشهاب فيحرقه قبل أن يلقي الكلمة إلى من بعده , وربما يلقي الكلمة قبل أن يصله الشهاب " فربّما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه " " فيكذب معها مئة كذبة " يعني الكاهن " فيقال " يعني الناس الذين يسمعون الكاهن يقولون " أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا " يعني يركّزون على الكلمة التي صدق فيها وينسون له المئة كذبة " فيصدّق بتلك الكلمة التي

سمعت من السماء " فيأتي بعد ذلك الحديث الآخر : [من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد] وسيأتي إن شاء الله موضوعه , الشاهد من الحديث أن الملائكة عندما تسمع الصوت يأخذها الفزع لعلمهم بعظمة الله تبارك وتعالى , فلا يستحق أحد أن يكون شريكاً مع الله في عبادته وطاعته لأنه ليس لأحدٍ العظمة التي لله تبارك وتعالى , ثم قال المصنف رحمه الله : " وعن النواس بن سمعان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة أو قال : رعدة شديدة خوفاً من الله عز وجلّ " تصوّر حتى السماوات , حتى السماوات تخاف من الله سبحانه وتعالى هذا الخوف المذكور أمامنا , لأنها كلها تعرف عظمة الله تبارك وتعالى " فإذا سمع ذلك أهل السماوات صُعقوا وخروا لله سجداً " أهل السماوات : الملائكة " فيكون أول من يرفع رأسه جبريل , فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر " يعني يوحي الله سبحانه وتعالى ما أراد له من وحي " ثم يمر جبريل على الملائكة , كلما مر بسماءٍ سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول : قال الحق وهو العلي الكبير " هذا فيه إيضاح لما سبق , من الذي يسأل ؟ الملائكة , من الذي يجيب ؟ جبريل عليه السلام " فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل , فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عزّ وجلّ " يأخذ الوحي إلى أين ما أمره , ربما ينزل به إلى النبي صلى الله عليه وسلم - محمد أو غيره - , الشاهد أن السماوات وأن الملائكة كلها تُصعق وتفزع من عظمة الله تبارك وتعالى , فلا يستحق أحد أن يكون شريكاً مع الله تبارك وتعالى , قال أهل العلم : (والآيات المذكورة في هذا الباب والأحاديث تقرّر التوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله , يعني الذي دلت عليه هذه الشهادة , فإن المَلِك العظيم الذي تُصعق الأملاك من كلامه خوفاً منه ومهابة , وترجف منه المخلوقات , الكامل في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته وملكه وعزّه وغناه عن جميع خلقه وافتقارهم جميعهم إليوه , ونفوذ قدَره وتصرّفه فيهم لعلمه وحكمته , لا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يُجعل له شريك من خلقه في

العبادة التي هي حقه عليهم , فكيف يُجعل المربوب ربّاً , والعبد معبوداً , أين ذهبت عقول المشركين ؟ سبحان الله عما يشركون هذا توضيح لمراد المؤلف من عقد هذا الباب , وبهذا ننتهي من درس اليوم , والحمد لله رب العالمين وسبحانك اللهم وبحمدك , أشهد ألا إله إلا أنت , أستغفرك ونتوب إليك تفريغ إخوانكم في معهد أورفا العلمي (البصيرة)

الدرس رقم 12

تفريغ الدرس الثاني عشر :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , درسنا اليوم هو الدرس الثاني عشر من دروس شرح كتاب التوحيد :

وصلنا إلى الباب السادس عشر وهو باب الشفاعة , والدرس اليوم من الدروس المهمّة جدّاً في هذا الكتاب لأن الشفاعة هذه هي التي , أو هي السبب التي جعلت الكثير من المشركين يشرك بالله تبارك وتعالى ويعبد غيره فالمشركون يعبدون الأصنام , كانوا في الجاهلية يعبدون الأصنام يطلبون شفاعتها , والمشركون اليوم أيضاً عُبّاد القبور كذلك يعبدون الأولياء , يطلبون منهم الشفاعة فهي السبب التي لأجلها عُبد غير الله سبحانه وتعالى , وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :{ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } { هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } قال الله سبحانه وتعالى : { قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }

الشاهد أنهم يعبدون ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ولكنهم يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، أي : هم الذين سيشفعون لنا عند ربنا تبارك وتعالى , وقالوا أيضاً : { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } , إذاً هذه هي حجّتهم , المشركون في عبادة الأصنام كي تشفع لهم هذه الأصنام وتقرّبهم إلى الله سبحانه وتعالى.

ما المقصود بالشفاعة ؟

الشفاعة في اللغة : اسمٌ مِن شفع يشفع إذا جعل الشيء اثنين , ومنه الشفع.

واصطلاحاً : التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرّة ،

التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرّة ، نحن اليوم نسميها هذه الشفاعة ، نحن الآن عندنا فيما بيننا نسميها الواسطة باختصار ، يقولك : شوف لك - والله - واسطة

من أجل أن تحصل على عمل، شوف لك واسطة من أجل أن تمشّي المعاملة الفلانية , هذه هي الشفاعة , هذا المقصود بالشفاعة , فالشفاعة هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرّة , مثال الشفاعة التي تكون عند الله تبارك وتعالى : شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الجنة ليدخلوا الجنة , فأهل الجنة عندما يصلون إليها لا يدخلونها إلا أن يستفتح لهم النبي صلى الله عليه وسلم , فهو يطرق باب الجنة ويستفتحها لهم , فيشفع لهم بدخول الجنة , هذه توسّط النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين من أجل أيش ؟ من أجل أن يجلب لهم منفعة , وكذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيمن استحقّ أن يدخل النار من الموحّدين , يشفع فيهم النبي صلى الله عليه وسلم من أجل أن لا يدخلوا النار , وهذا توسّطٌ للغير لدفع مضرّة , هذه هي معنى الشفاعة , طيب.

الآن نأتي لردّ شبهة الكفار والمشركين الذين يعبدون من يعبدونه مع الله تبارك وتعالى من أجل أن يشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى , هذه الذريعة التي أوصلتهم إلى الشرك ردّها الله سبحانه وتعالى وأبطل دعواهم , كيف ؟ الشفاعة قسمان : الله سبحانه وتعالى لما ردّ على الكفار والمشركين ما أبطل الشفاعة من أصلها , ما قال : لا يوجد شفاعة والشفاعة باطلة , لا , الله سبحانه وتعالى لما رد على الكفار والمشركين أبطل نوعاً من أنواع الشفاعة , وهو النوع الذي يتعلّق به المشركون , وأبقى نوعاً آخر , أبقى نوعاً آخر , الأدلة التي ستأتي وسيسوقها المؤلف كلها ستدل على التفصيل الذي سنذكره , نحن الآن سنذكر لكم الخلاصة في الموضوع.

خلاصة الموضوع في إبطال هذه الذريعة التي تعلّق بها المشركون , أن الشفاعة قسمان : شفاعةٌ منفيةٌ , وشفاعة مثبتة.

الشفاعة المنفية : هي الشفاعة التي كان يتعلّق بها المشركون , ما هو ضابطها ؟ سيأتي إن شاء الله.

الشفاعة المثبتة: هي الشفاعة التي تكون للأنبياء , تكون للملائكة وتكون للصالحين عند الله تبارك وتعالى , والتي ورد فيها أدلة كثيرة متواترة تبيّن وجود الشفاعة وأنها حق.

إذاً ما الفرق بين الشفاعة المنفية والشفاعة المثبتة , الشفاعة المنفية : هي الشفاعة التي تكون بغير إذن الله ولا رضاه , بغير إذن الله ولا رضا، بمعنى : ألا يأذن الله سبحانه وتعالى لزيدٍ من الناس بالشفاعة ولا يرضى أن يشفع في عمرو من الناس , فيشفع زيد عند الله حتى وإن لم يأذن له , ويشفع في عمرو وإن لم يرض الله سبحانه وتعالى بالشفاعة في عمرو .

إذاً الشفاعة المنفية هي الشفاعة التي تكون بغير إذن الله ولا رضاه، بغير إذنه للشافع أن يشفع ولا رضاه عن المشفوع أن يُشفَع فيه، هذه الشفاعة هي الشفاعة المنفية , فعندما يأتي المشرك يريد أن يعبد الصنم من أجل أن يشفع له الصنم عند الله سبحانه وتعالى , نقول له : الصنم هذا لا ينفعك , لماذا ؟ لأن الله سبحانه وتعالى لم يأذن له بالشفاعة , لم يأذن له أن يشفع لك أنت عنده يوم القيامة , طيب بلاش , نحن نترك هذا , خلينا إذاً نأتي نعبد محمد صلى الله عليه وسلم , ألم تقولوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم له شفاعة يوم القيامة ؟ نعم , الأولياء - كما يعبدهم أصحاب القبور - يقول لك الأولياء الصالحون لهم شفاعة عند الله تبارك وتعالى , نعم لهم شفاعة وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بشفاعة الصالحين , وفي كتاب الله سبحانه وتعالى الشفاعة مثبتة للأنبياء والصالحين وللملائكة في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كل هذا مثبَت , طيب إذاً قلنا نحن نعبد الأصنام , الأولياء هذي أو نعبد القبور من أجل أن يشفع لنا أصحابها , نقول لهم الشرط الثاني أين أنتم عنه ؟ قلنا لكم : الشرط الأول : أن يأذن للشافع أن يشفع , قلتم لنا الأصنام , قلنا لكم لم يأذن الله سبحانه وتعالى لها أن تشفع , قلتم لنا الأنبياء , قلنا لكم نعم أذِنَ , لكن بقي عندنا الشرط الثاني : أن يرضى أن يشفعوا فيك , وأنت مشرك تعبدهم مع الله سبحانه وتعالى , هل رضي الله سبحانه وتعالى بذلك ؟ لا , لأن الشفاعة لا تكون إلا لمن ؟ إلا للموحّد , الشفاعة للموحّدين فقط , كما قال أبو هريرة :[من أسعد اللناس بشفاعتك يا رسول الله ؟] ماذا قال النبي صلى الله عليه و سلم ؟ قال :[من قال لا إله إلا الله خالصاً

من قلبه] فالشفاعة لا تكون إلا لأهل الإخلاص , إلا لأهل التوحيد , وأنت عندما عبَدْتَ الولي الفلاني أو الصنم الفلاني أخللت بكلمة التوحيد , نقضتها , أفسدتها , فأنت مشرك ولست موحّداً فليست لك شفاعة وإن طلبت الشفاعة من الأنبياء فلا قدرة لهم على أن يشفعوا فيك , لأنه أذن لهم أن يشفعوا في الموحدين لا في غيرهم , إلا في حالة خاصة واحدة فقط , وهي شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أبي طالب لِما صنعه للنبي صلى الله عليه وسلم من نصرة , حالة خاصة هذه , منفردة , أما الباقي فقد ذكر الأدلة الشرعية على أن الشفاعة لا تكون إلا للموحّدين , إذاً الشفاعة المثبتة هي الشفاعة التي تكون بإذن الله وبرضاه , بأن يأذن للشافع أن يشفع ويرضى عن المشفوع أن يُشفَع فيه , والشفاعة المنفية هي الشفاعة التي تكون بغير إذن الله ولا رضاه , ما في شيء من هذا القبيل , ما في شفاعة هذه صورتها أبداً , هذه الشفاعة المنفية في شرع الله سبحانه وتعالى.

الآن نأتي إلى الأدلة التي ذكرها المؤلف التي تدلّنا على التفصيل الذي ذكرناه , نحن أتينا بتفصيل , لكن دائماً تقول : هات الدليل , أين الدليل ؟ لأن مجرّد القول بدون دليل يُحسنه كل أحد , لكن الأدلة هي الفاصلة في الموضوع .

هنا المؤلف يقول : " باب الشفاعة " , يعني ما الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية وذِكرُ أدلّتها.

قال المصنف رحمه الله تعالى : { وقول الله عز وجل :{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يتَّقُونَ} " , { وأنذر به { : أنذر يا محمد , الكلام للنبي صلى الله عليه وسلم , أنذر يا محمد , أيش معنى الإنذار ؟ إعلامٌ مع تخويف , إعلامٌ مع تخويف , هذا معنى الإنذار , أنذرك بالشيء يعني : أُعلِمك بأنك إن فعلت كذا فأنت على خطر , { وأنذر به { : يعني أنذر بالقرآن , وأنذر يا محمد بالقرآن { الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ { من هؤلاء الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ؟ هم المؤمنون , المؤمنون هم الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم

, أما الذين هم من الكفار , هؤلاء لا يبالون لأنهم غير مؤمنين بذلك , { ليس لهم من دونه وليّ ولا شفيع } , ليس لهم من غير الله تبارك وتعالى وليٌّ ينصرهم , ليس لهم وليٌّ ينصرهم , فالولي هنا هو الناصر , فليس لهم من دونه , يعني من دون الله تبارك وتعالى , وليٌّ : يعني ناصر ينصرهم , ولا شفيع يشفع لهم , { لعلهم يتقون } : لعلهم يرجعون إلى الله سبحانه وتعالى , فذكّرهم بذلك وخوّفهم وبيّن لهم , بأنهم يوم المحشر ليس لهم نصير ولا لهم , أيش , شفيع , فهم يتخلون عمن ينصرهم ويتخلون عمن يشفع لهم , وهنا الشاهد نفي الشفاعة من دون الله , هنا أيش ؟ شفاعة منفية , شفاعة منفية , وذكرنا نحن ضابطها , الآن ستأتينا أدلة تدل على نفي الشفاعة وأدلة تدل على إثبات الشفاعة , وستأتي أدلة مفصّلة , الآن هنا عندنا ماذا ؟ نفيٌ.

الآية التي بعدها , قال المصنف رحمه الله تعالى :" وقوله : { قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً } , هنا أثبت شفاعة ولا ما أثبت ؟ أثبت شفاعة , ولكنه أثبت شفاعة مملوكةً لله تبارك وتعالى , فأيُّ شفاعةٍ , جميع الشفاعات مملوكة لله سبحانه وتعالى ,

الشفاعة أنواع : تفصيلها في كتب الاعتقاد ، شفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم , شفاعة خاصة به وشفاعة عامة له وللمؤمنين.

وشفاعة خاصة به: كشفاعته في أهل الموقف.

شفاعة عامة للجميع: كإخراج العصاة من النار , وأنواع كثيرة , محل التفصيل فيها كتب الاعتقاد.

أما هنا في التوحيد : هذا الذي يهمنا : التفصيل بين الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية , هنا قال : { قل لله الشفاعة جميعاً } يعني الشفاعة كلها مملوكة لله تبارك وتعالى , فليس لمن تُطلَب منه شيء منها , هذا المراد من هذه الآية , أنتم تذهبون وتطلبونها ممن ؟ من الأصنام , تعبدونها كي تشفع لكم , ليس لها - الأصنام - شيء منها , إنما هي لله سبحانه وتعالى , إذا كانت مملوكة لله فتُطلب من الله تبارك وتعالى لا من غيره , فاعبدوه هو ووحدوه هو كي تنالوا الشفاعة إذا أردتم الشفاعة , إذاً هنا عندنا أيش ؟

إثبات للشفاعة , لكن إثبات لشفاعة مملوكةٍ لله تبارك وتعالى وهي التي تكون بإذنه ورضاه كما ستأتي أدلة تدل على ذلك أَيضاً.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :" وقوله :{ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } الآن بدأ التفصيل , نكمل إن شاء الله .

قال المصنف رحمه الله تعالى :" وقوله :{ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } " : من ذا الذي يشفع عنده ؟ هذا سؤال , لكن ليس المراد منه الاستفهام , وإنما المراد منه النفي , كأن تكون مثلاً : أنت مميّزاً في جانب من الجوانب , كأن تكون مثلاً رجلاً مفتول العضلات , قوي , مصارع , وتعلم أنه لا أحد يستطيع أن يغلبك , ماذا تفعل ؟ تقول له ماذا ؟ تقول : من الذي يستطيع أن يصرعني ؟ من هذا الذي يستطيع أن يصرعني ؟ أيش تريد من هذا ؟ أنه لا يوجد أحد يقدر على ذلك، هذه طريقة في اللغة العربية تستعمَل , المخرج مخرج سؤال لكن المراد منه النفي , { من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } ؟ لا أحد , هذا جواب , لا أحد يستطيع أن يشفع عند الله سبحانه وتعالى إلا بإذنه , فهنا إثبات ونفي للشفاعة , شفاعة منفية وشفاعة مثبتة في هذه الآية , { من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } , أي أنه لا أحد يستطيع أن يشفع عند الله سبحانه وتعالى إلا بعد إذنه , فنفيٌ للشفاعة التي تكون بغير إذن الله , وإثبات للشفاعة التي تكون بإذنه تبارك وتعالى , إذا أذن الله سبحانه وتعالى للشافع أن يشفع ورضي عن المشفوع أن يُشفَع فيه : عندئذٍ تكون الشفاعة ثابتة وإلا فلا , كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في الآية الثانية : { ولا يشفعون إلا لمن ارتضى } يعني حتى من أذن له بالشفاعة لا يشفع إلا لمن ارتضى , { من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } لا أحد يستطيع أن يشفع عنده إلا أن يأذن له بالشفاعة , ولا يمكنه أن يشفع لأحد إلا أن يرضى الله سبحانه وتعالى بذلك { ولا يشفعون إلا لمن ارتضى } كما قال تبارك وتعالى , وهذه الآية :{ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } كقوله تبارك وتعالى : { يومئذٍ لا تنفع الشفاعة } إلا أيش ؟ { لا تنفع الشفاعة }

هذا نفيٌ للشفاعة { إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً } معنى واحد.
ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :" وقوله :{ وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى } انظر الكلام في من ؟ : { وكم من ملك في السماوات } تكثير , هذا الأسلوب أسلوب التكثير , وهذه " كم " التي تسمّى ب" كم " الخبرية للتكثير , يعني هناك ملائكة كُثُر في السماوات { وكم من ملك } الحديث عن من ؟ عن الملائكة الذين لهم قدرٌ عند الله تبارك وتعالى , ومع ذلك : لا تغني شفاعتهم شيئاً , إذا أرادوا أن يشفعوا فلا يمكنهم الشفاعة إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء أن يشفع ليشفع , ويرضى بالشفاعة , يرضى بأن يشفع الشافع ويرضى في المشفوع أن يشفع فيه , هؤلاء الملائكة الذين هم مقربون إلى الله تبارك وتعالى , فما بالك بالأصنام ؟ اللات والعزى والولي الفلاني والقبر الفلاني , كلها من باب أولى.
قال المصنف رحمه الله تعالى :" وقوله: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} " هذه الآية آية عظيمة , قطعت جميع أسباب الشرك , أغلقت أسباب الشرك كلها , هي أربع نفاها الله سبحانه وتعالى نفياً مرتّباً , بدأ من الأعلى وانتقل إلى الأدنى , قال : { قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله } ادعوهم دعاء مسألة , { الذين زعمتم من دون الله }, الذين تزعمون فيهم الشفاعة , تزعمون لهم الأسباب التي تجعلكم تعبدونهم مع الله تبارك وتعالى : هل سيستجيبون لكم لو دعوتموهم , لن يحصل , فلا قدرة لهم على الاستجابة لما سيأتي إن شاء الله , { قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله } ماذا سينفعكم لو دعوتموهم , وهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض , تدعو الولي الفلاني تأتي عند قبره وتتضرع إليه : ارزقني اهدني وفقني اشفني , هو لا يملك , هو لا يملك شيئاً , لا يملك نفعاً ولا ضراً , { لا يملكون مثقال ذرة } وزن

ذرة , الذرة التي هي النملة الصغيرة , وهذا يُذكر لتقليل الشيء , لتقليل الوزن , أقل وزن ممكن { لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ } يعني : لا يملكون شيئاً البتّة , هذه واحدة , لأن الذي يُدعى ويُعبد ويُتضرّع إليه , لماذا يُفعل معه هذا ؟ من أجل أن يُعطي , طيب هو فاقد لهذا الشيء فكيف يعطيه , لا يملك شيئاً , طيب ممكن تقول هو ما يملك لكن ممكن لهم شراكة ولو ضئيلة في الموضوع , قال : { وما لهم فيهما من شرك } , ليسوا شركاء لا في قليل ولا كثير , لا يملكون وليست لهم شراكة , يقول : ممكن لا يكون لهم شراكة ولا ملك لكن لهم معونة , يعينون , يساعدون في شيء , جاءت التي بعدها , قال : { وما له منهم من ظهير } أي ليس لله من معبوداتكم التي تعبدونها - من أصنامٍ - وغيرها من مُعين , يعني لا يعينه لا صنم ولا ولي ولا غير ذلك , ما أحد أعانه على خلق السماوات والأرض وعلى كل ما يملك سبحانه وتعالى , وما لله مما تعبدون من ظهير , من معين , لأنك ربما تقول : والله إذا كان أعان ربما يكون له نصيب في الأمر و, يعني كونه أعان , الله سبحانه وتعالى يعطيه شيء من التصرّف , ما له إعانة أصلاً , { ولا تنفع الشفاعة عنده } تقول : ربما والله صح لا يملك وليست له شراكة ولا هو معين في شيء , بقيت الشفاعة , ربما يشفع لي , فقال الله سبحانه وتعالى : { وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } , وهل أذن للأصنام التي تعبدونها أيها المشركون ؟ لم يأذن .

فائدة الآية : تتبيّن بما نقله المؤلف عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله , قال المصنف رحمه الله تعالى : " قال أبو العباس - ابن تيمية رحمه الله - : نفى الله عما سواه " نفى الله عما سواه يعني عن غيره , " كل ما يتعلق به المشركون " الأسباب التي يتعلق بها المشركون من أجل أن يعبدوا غير الله معه كلها نفاها , ما أبقى لهم حجة ولا عذر أبداً " فنفى أن يكون لغيره ملكٌ " أي لا يوجد غير الله سبحانه وتعالى مالك شيء من هذا الكون , السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما , " أو قسطٌ منه " أي ولا جزء حتى من الملك بشراكة يعني ," أو يكون عوناً لله " نفى الله سبحانه

وتعالى أن يكون أحد من الذين تعبدون عوناً لله تبارك وتعالى " ولم يبق إلا الشفاعة ، فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب تبارك وتعالى كما قال : { ولا يشفعون إلا لمن ارتضى } " حتى من أذن الله تبارك وتعالى له أن يشفع , فلا يمكنه أن يشفع إلا لمن رضي الله سبحانه وتعالى أن يشفع فيه , ولا يرضى الله إلا في أهل التوحيد " فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده " يعني النبي صلى الله عليه وسلم و هذا في أهل الموقف كما جاء في الصحيحين , عندما يُبعث الناس من قبورهم يجتمعون في أرض المحشر , تقترب عليهم الشمس , وتبعد عنهم قدر ميل , فيغوصون في عرقهم , كلٌّ على حسب ذنوبهم , منهم من يبلغ به العرق إلى الكعبين , منهم إلى الركبتين , ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً , يعني : يغطّيه كاملاً , حتى بالأعمال , ولا ينجو من هذا إلا السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله , من حرارة الشمس هذه , فيطول بهم الوقوف فيأتون إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة , أن يشفعوا عند الله من أجل أن يبدأ بالحساب , يأتون لآدم فيذكر ذنباً ويقول : نفسي نفسي , ويأتون إلى نوح وإلى موسى وإلى عيسى , وكل واحد يذكر ذنباً ويقول : نفسي نفسي , حتى يرشدوهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم , ويقولون لهم : ذاك رجلٌ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فعليكم به , فيذهبون إليه , فيذهب النبي صلى الله عليه وسلم فيخرّ عند العرش , يسجد ويحمد الله سبحانه وتعالى ويثني عليه , لا يبدأ بالشفاعة أولاً , كما قال المؤلف , قال : إنه يأتي فيسجد لربه ويحمده , ما يبدأ مباشرة بالشفاعة , لا , يقدم ثناء عريضاً على الله سبحانه وتعالى , لا يبدأ بالشفاعة أولاً , ثم يُقال له : ارفع رأسك وقل يُسمع وسل تُعط واشفع تشفّع , فما استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع حتى أُذن له بالشفاعة , هذا الذي يدل عليه الحديث , وقال له أبو هريرة - والكلام لابن تيمية رحمه الله - : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه , إذاً تعرف عندئذٍ من الذي يرتضي الله سبحانه وتعالى أن

يُشفَع فيه , وهو المخلص الموحد , لا إله إلا الله خالصاُ من قلبه : قالها وهو يعتقدها ويدين لله بها , هذا هو الذي تنفعه , لا مجرد أن يتلفّظ بها , قال ابن تيمية رحمه الله : " فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله , وحقيقتها : أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع" هي حقيقةً في النهاية : هي رحمة من الله تبارك وتعالى أن أذن للشافع أن يشفع , وأذن للمشفوع أن يُشفع فيه , ليكرمه , أي ليكرم من أذن له بالشفاعة كالنبي صلى الله عليه وسلم , وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع , وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص , انتهى كلام ابن تيمية , هل بقي عذر للمشركين أن يُشركوا , ما بقي لهم شيء , ما بقي لهم شيء , فأغلق الله تبارك وتعالى عليهم جميعاً الأسباب التي ممكن أن يتعلقوا بها فيعبدوا غير الله سبحانه وتعالى ويخضعون له , اليوم الذي نعيش فيه نحن تماماً كما كان المشركون يفعلون , المشركون كانوا مع أصنامهم , ومشركوا زماننا مع القبور , مع الأولياء , يعبدونهم , يخضعون لهم , الذبح الذي نذبحه لله هم يذبحونه للقبور , الدعاء الذي ندعوه نحن لله ونخلص فيه لله تبارك وتعالى هم يدعونه للقبور , النذر الذي ننذره لله تبارك وتعالى هم ينذرونه للقبور , وهكذا . أيّ عبادة أعظم من هذه ؟! , يتقربون بها إلى أوليائهم من أجل أيش ؟ من أجل أن يشفعوا لهم عند الله تبارك وتعالى , هذا الذي كان يفعله المشركون تماماً بنصوص هذه الآيات التي ذكرها المؤلف في هذا الباب .

قال المؤلف رحمه الله : " باب قول الله تعالى: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وهو أعلم بالمهتدين } "

هذا الباب يريد منه المؤلف أن يبيّن لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم مع حرصه على أن ينفع عمه بالهداية , بالاستغفار له , ومع ذلك لم يستطع , فغيره من باب أولى فإذا

كان البشر والخلق جميعاً لا قدرة لهم على منفعة أحد ومضرته إلا بإذن الله تبارك وتعالى , إذاً فاللجوء يكون إلى الله تبارك وتعالى , والعبادة تكون لله تبارك وتعالى , هذا المراد من هذا الباب.

الآية قالوا : نزلت في قصة أبي طالب , وذكرها لنا المؤلف قال، قال المصنف رحمه الله تعالى : " في الصحيح عن ابن المسيّب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة , جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل " انظروا بارك الله فيكم , الآن , على فراش الموت جاءه النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده رفقته , أصحابه , وانظروا إلى رفقة السوء وما تفعل بالإنسان , أصحابه هؤلاء هم عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل , رؤوس الكفر , "فقال له النبي صلى الله عليه وسلم , قال لعمّه : يا عم , قل لا إله إلا الله , كلمة أحاجّ لك بها عند الله " قل لا إله إلا الله , كلمة أحاجّ لك بها عند الله , يحثه على ماذا ؟ يحثه على الإسلام , أن يسلم كي يموت موحداً , فيقول له : اذكر هذه الكلمة , كلمة لا إله إلا الله , كي تكون لك حجة عند الله تبارك وتعالى , كي تكون حجة لك عند الله تبارك وتعالى , فتتخلص من نار جهنم , من الخلود فيها , قال : قل لا إله إلا الله , كلمة أحاجّ لك بها عند الله , "فقالا له" : - الكلام الآن لمن ؟ لعبدالله بن أبي أمية ولأبي جهل - : أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ يعني يا أبا طالب , أتزهد في الدين الذي كان عليه عبد المطلب أبوك ؟ دين الآباء والأجداد , هذا الدين كان معظّماً عندهم , فذكّروه بهذا , فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم من حرصه على إسلامه , أعاد النبي صلى الله عليه وسلم وكرّر , وهم يعيدون ويكرّرون نفس الكلام , فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب , إذاً مات علي أيش ؟ على الكفر , مات كافراً , هو على ملة عبد المطلب , وأبى أن يقول : لا إله إلا الله , هذا النوع من الكفر كفر الإباء والاستكبار , لأنه جاء في روايات : أنه أبى أن يقول ذلك كي لا تعيّره نساء قريش , وكي لا يقال بأن استه قد علت على رأسه , وأبى أن يقول لا إله إلا الله , فقال النبي صلى الله عليه

وسلم : لأستغفرنّ لك مالم أُنه عنك , هذا الشاهد الآن , شوف النبي صلى الله عليه وسلم أيش ؟ يستغفر , يطلب له المغفرة من الله تبارك وتعالى , أراد أن يشفع فيه , بدعائه له , فأنزل الله عز وجل : {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ } ما كان لهم هذا , ولا يجوز هذا الفعل أن يستغفروا للمشركين , انظروا إلى حال الضُّلّال من دعاة السوء اليوم عندما يموت بعض رؤوس وصناديد الكفر في هذا الزمن يترحّمون عليهم مخالفين لهذه الآية صراحة , { ولو كانوا أولي قربى } حتى ولو كان الكافر هذا قريباً لك { مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} خلاص بعد ما تبين لك أنه مات على الكفر فليس لك أن تستغفر له , وأنزل في أَبي طالب : { إنك لا تهدي من أحببت } إنك يا محمد , لا تهدي من أحببت له الهداية , { ولكن الله يهدي من يشاء } طبعاً بعض أهل العلم قالوا : لا تهدي من أحببت له الهداية , وبعضهم قال : لا تهدي من أحببته , ليس موضوعنا الآن , قال : { ولكن الله يهدي من يشاء } إذاً الهداية منفية عن النبي صلى الله عليه وسلم ومثبتة لله تبارك وتعالى فهو الذي بيده الهداية , ما أذن الله تبارك وتعالى لنبيه أن يستغفر له بعد ذلك , فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم - وهو النبي صاحب المقام الرفيع عند ربنا تبارك وتعالى - يقول الله سبحانه وتعالى له : { إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء } فغيره من باب أولى , هذا الشاهد من ذكر هذه القصة مع هذه الآية التي ذكرها المؤلف , فمعنى ذلك : المطلوب منك أن تكون عبادتك خالصة لله تبارك وتعالى الذي بيده كل شيء , أسأل الله أن يوفّقنا وإياكم إلى طاعته , نكتفي بهذا القدر , سبحانك اللهم وبحمدك , أشهد ألا إله إلا أنت , أستغفرك وأتوب إليك

الدرس رقم 13
تفريغ الدرس الثالث عشر :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , أما بعد :

فهذا المجلس الثالث عشر من مجالس شرح كتاب التوحيد , وصلنا عند الباب الثامن عشر.

قال المؤلف رحمه الله :" باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين " , هذا الباب معقود للتحذير من السبب الرئيسي الذي جعل الناس يشركون بالله تبارك وتعالى وهو الغلو في الصالحين , إذاً : هذا الباب معقود للتحذير من الغلو في الصالحين لأنه يؤدي إلى ماذا ؟ يؤدي إلى الشرك بالله تبارك وتعالى.

ما المقصود بالغلو ؟ المقصود بالغلو هو الإفراط , مجاوزة الحد , المبالغة في الأمر , تعطي الشخص أكثر من حدّه , أكثر مما يستحق , تمدحه , تثني عليه , تعطيه مقاماً عالياً لا يستحقه , هذا معنى الغلو : الإفراط في التعظيم , في المدح , في الثناء , هذا معنى الغلو.

الغلو في الصالحين : مجاوزة الحد فيهم , الصالحون نحبهم , أهل الصلاح , أهل الطاعة , طاعة الله سبحانه وتعالى , هم الصالحون الذين يجتنبون المعاصي والذنوب ويُقبِلون على طاعة الله سبحانه وتعالى , هؤلاء هم الصالحون , هؤلاء واجبهم علينا : نحبّهم , ونتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى بحبّهم , لأنهم قريبون من الله سبحانه وتعالى , مطيعون له , فنحن نحبهم , ونتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بحبّهم , ونعلَم , ونعتقد فيهم أنهم لا ينفعون ولا يضرّون , وأنهم لا يستحقّون شيئاً من أنواع العبادة , فلا نتقرّب إليهم بشيءٍ من أنواع العبادة , لا يملكون نفعاً ولا ضراً , فنعطيهم ما جعل الله سبحانه وتعالى لهم من حقوق , ولا نتجاوز الحدّ فيهم , لأن مجاوزة الحدّ فيهم تؤدي

إلى عبادتهم , إلى جعلهم آلهة مع الله سبحانه وتعالى , هذا الباب عُقِد لهذا الغرض.
قال : باب ما جاء من أدلة تبيّن أن سبب كفر بني آدم وسبب تركهم لدينهم هو مجاوزتهم الحدّ في الصالحين من عباد الله , هذا معنى الباب ,
قال المؤلف رحمه الله :" وقول الله عز وجل : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ } "
أهل الكتاب هم اليهود والنصارى , نهاهم الله تبارك وتعالى عن الغلو في الدين (مجاوزة الحد) في كل أمرٍ شرعِ الله , ربنا سبحانه وتعالى ينهى عن الإفراط والتفريط , الإفراط يعني الغلو , التفريط يعني : التقصير.
الإفراط : تأتي بما أوجب الله عليك فيه وزيادة من عندك , تتجاوز الحد.
التفريط : التقصير (لا تأتي بما أوجب الله عليك فيه) في شرع الله.
ربنا سبحانه وتعالى ينهى عن الإفراط والتفريط , ويأمر بالاعتدال في الأمور كلها , وهذا موجود في كل باب من أبواب العلم , الإفراط والتفريط، قال موسى بن أبي عائشة - وهو أحد التابعين - :[ما أمر الله عز وجل بأمر إلا وكان للشيطان فيه نزغتان] إحداهما إلى إفراط , والثانية إلى تفريط , قال :[ولا يبالي بأيتهما ظفر] يعني : إبليس لا يهتمّ , أخذ منك الإفراط أو التفريط , كلاهما مَكسَبٌ له , هذا كلام السلف رضي الله عنهم , قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم محذّراً أهل الكتاب : { يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم } هذا نهي لهم عن الغلو في الدين (مجاوزة الحد) , { ولا تقولوا على الله إلا الحق } وهذا الحق الذي تعلمناه من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم , هذا هو الحق , { إنما المسيح عيسى بن مريم } لاحظ هنا ينبههم على منزلة عيسى الذي غلوتم فيه , تجاوزتم الحد وجعلتموه ابناً لله , { إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله } أي ليس إلا رسولاً لله سبحانه وتعالى وليس ابناً لله ولا هو الله , { وكلمته ألقاها إلى مريم } كلمة : كن فكان ,

{ ألقاها إلى مريم وروح منه } أي : روح من خلقه , من إيجاده , هو خلقها وأضافها إلى نفسه تشريفاً لها , فهذا نهي من الله تبارك وتعالى لأهل الكتاب عن الغلو في الدين لأن غلوّهم في عيسى عليه السلام هو الذي أدّى بهم إلى الشرك بالله تبارك وتعالى , هذا الشاهد الذي يريده المؤلف رحمه الله , ما الذي جعل النصارى يشركون ؟ يقولون في عيسى ما قالوا من أكاذيب ؟ غلوّهم فيه , والاعتدال أن تقول : هو عبدٌ ورسولٌ لله تبارك وتعالى , ليس هو ابن الله , ولا هو الله , ولا ابن زنا كما تقوله اليهود , هذا هو , هذا حال الناس بين إفراط وتفريط , شوفوا الآن قضية عيسى عليه السلام الناس فيه بين إفراط وتفريط ووسط (اعتدال) , الإفراط : الغلو , وقع فيه النصارى , فقالوا : ابن الله , وبعضهم يقول : هو الله , وثالث ثلاثة , التفريط : وقع فيه اليهود , قالوا هو ابن زنا - نعوذ بالله - وأهل الاعتدال هم أهل الإسلام , قالوا : هو عبدٌ لله ورسولٌ له , خلقه الله من غير أب كما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الشاهد: أن سبب كفر النصارى هو غلوّهم في عيسى عليه السلام، فيجب الحذر من الغلو.

قال المصنف رحمه الله تعالى :" في الصحيح: "صحيح البخاري " عن ابن عباس في قول الله تعالى: {وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً } "

لا تتركوا آلهتكم , ما هي آلهتهم ؟ هذه هي : ود وسواع ويغوث ويعوق , هذه أسماء , ونسر , ابن عباس يقول :" هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت "

قال المصنف رحمه الله تعالى :" وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم "

المعنى واحد , ابن عباس يقول : هذه الأسماء التي ذُكِرَت في كتاب الله هي أسماء رجال , رجال صالحين , ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر , " من قوم نوح " يقول ابن عباس بأن الناس كانوا على التوحيد سابقاً , قديماً , من أيام آدم عليه السلام فما بعده , كان الناس على التوحيد , حتى زمن قوم نوح عليه السلام , ماذا حصل فيهم ؟ كان فيهم رجال صالحون هذه أسماؤهم , مات هؤلاء الرجال , فعظّموا هؤلاء الرجال وأوحى إليهم الشيطان , يعني وسوس لهم , اجعلوا لهم تماثيل , صور , أنصاباً . أنصاب : جمع نُصب : والمراد به هنا الأصنام المصوَّرة على صور أولئك الصالحين، فجعلوا لهم هذه الأصنام ووضعوها في ناديهم يتذكرون الرجال الصالحين ويعبدون الله كما كانوا يعبدون هم , هكذا وسوس لهم الشيطان , ففعلوا وسمّوا هذه الأصنام بأسماء هؤلاء الرجال , ففعلوا ذلك ولم تُعبَد , ما زال فيهم أهل علم , لأن دين الله يُحفَظ بالعلماء , الجاهل ما أدراه الحق من الباطل من الشرك من التوحيد , أسباب الشرك , أسباب التوحيد , ما يدري عن هذا شيء , حتى ينبّه ويعلّم الناس , العالم هو الذي ينبّه , لذلك الإمام البخاري رحمه الله عندما جاء حديث : [لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين] قال : هم العلماء , لا يعني بهم أي علماء , العلماء عند السلف وفي كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يأتي ذكرهم في مقام المدح , هم العلماء أهل السنة العاملين بعلمهم , هذا المقصود بهم , لذلك الإمام البخاري رحمه الله لما فسّر في موضع آخر في جزء من كتبه هؤلاء القوم ذَكَر أهل الحديث , أهل السنة , الشاهد أن العلماء هم الطائفة المنصورة لأنهم هم الذين يعرفون الحق من الباطل وهم الذين يعلّمون الناس أمر دينهم , هنا يقول ابن عباس :" ففعلوا ولم تُعبَد " جعلوا هذه الأصنام في نواديهم كي يتذكروا الرجال الصالحين , ويعبدوا الله كما كاوا يعبدونه , " حتى إذا هلك أولئك " : هلك الجيل الذي كان موجوداً عند صناعة تلك الأصنام , قال :" ونُسي العلم " لاحظ كيف ! حتى نعرف قيمة العلماء وقدرهم , ونحترمهم ونقدرهم ونعطيهم مقامهم الذي أعطاهم الله تبارك وتعالى ,

فالكلام في العلام والطعن فيه أمره خطير , ليس سهلاً , لذلك يُرجَع في هذه الأمور إلى العلماء أيضاً , الشاهد : قال : " ونسي العلم " دين الله يبقى عزيزاً , يبقى قوياً , يبقى ظاهراً بالعلماء , هذه سنة الله في خلقه , فالعلماء سبب لذلك , قال : " ونُسي العلم " فلما نسي العلم أيش حصل ؟ قال : " عُبِدَت " جاءهم الشيطان ووسوس لهم أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الأصنام فعبدوها.

وفيما نقله ابن القيم رحمه الله أنهم عكفوا على قبورهم , ما اكتفوا فقط بصنع الأصنام بل عكفوا على قبورهم أيضاً , فالعكوف هو المكث في ذاك المكان والاستمرار فيه عبادة وتعظيماً لهم , تعظيماً ومحبة لهم تؤدي بهم إلى عبادتهم , وهذا الذي حصل في قوم نوح هو الذي حصل في زمننا , في عبادة القبور , تأتي تحدّث عابد القبر يقول لك هذا رجل صالح , يعبده ويعظّمه ويسأله مسألة لا تُسأل إلا لله تبارك وتعالى , نفس ما حصل مع قوم نوح تماماً , وهذا الذي حصل في هذه الأمة , لما نسي العلم في أماكن كثيرة , وصار في الناس أشباه علماء وليسوا هم بعلماء حقيقةً , لأنهم لا علم لهم في مسائل التوحيد والشرك , هؤلاء ليسوا علماء وإن سُمُّوا كذلك , لما حصل ذلك عُبِدَت الأوثان , عبدت القبور , الشاهد الذي يريده المؤلف من هذا أن الغلو في الصالحين هو الذي أدى إلى الشرك بالله تبارك وتعالى , وهذا باقٍ إلى زمننا هذا , نعم

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :" وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله" أخرجاه "

يعني هو مخرّج في البخاري ومسلم , لكن الحديث موجود عند البخاري فقط .

" عن عمر ": هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه , صحابي مشهور غني عن التعريف، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تطروني " الإطراء : هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه , هكذا قالوا في تعريفه , قالوا : مجاوزة الحد في المدح والكذب

فيه هو الإطراء , نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم " لأن النصارى مدحوا عيسى عليه السلام وذكروه بما ليس فيه وليس هو أهل له فجعلوه إلهاً , فجعلوه إلهاً، وجعلوه ابن إلهٍ , هذا الإطراء هو الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم , وقال : لا تفعلوا بي كما فعلت النصارى بعيسى عليه السلام، أي لا تغلوا بي كما غلت النصارى بعيسى عليه السلام , هذا المقصود من هذا الحديث , لذلك قال : إنما أنا عبدٌ , يعني لست بإلهٍ ولا بابن إله , فقولوا ماذا ؟ فقولوا عبد الله ورسوله , هو عبدٌ كبقية العباد , لا هو إله ولا ابن إله ويَفضُل على العباد بأن الله اصطفاه بالرسالة , فهو عبد الله ورسوله كعيسى عليه السلام , عبد الله ورسوله.

الشاهد منه : التحذير من سبب الشرك وهو الغلو , لذلك نهى عن الإطراء الذي فعلته النصارى.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :" قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو" " إذاً هو داء مستفحل , داء خطير , لذلك حذرَناه النبي صلى الله عليه وسلم ,, " إياكم والغلو " يعني احذروا من الغلو , لماذا نحذر من الغلو ؟ قال " فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو " فتحذرون من الغلو لأنه سبب هلاك من قبلكم , اليهود والنصارى ومن شابههم , انظروا إلى خطورة الغلو , فهو كان السبب في شرك بني إسرائيل وفي شرك النصارى وغيرهم من الأمم ," إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو " وهذا نهي عامٌّ , تحذير عام من الغلو , ليس فقط الغلو في هذا الباب , بل هو تحذير من الغلو في جميع أبواب الدين والشريعة , لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : [هذا عام في جميع أنواع الغلو , في الاعتقادات والأعمال] قال : [وسبب هذا اللفظ العام] يعني لماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الذي قاله [رمي الجمار] في الحج يعني [وهو داخلٌ فيه] لا شك داخل في هذا اللفظ , لكن اللفظ جاء عامّاً , والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

السبب [مثل الرمي بالحجارة الكبار] السنة في الحجارة التي تُرمى بها الجمرات أن تكون مثل حبة الحمص الكبيرة شوي , فيأتي شخص مثلاً ويأخذ صخرة ويرمي بها , هذا من الغلو , ما يجوز مثل هذا لأن الشرع جاء بوصفٍ معيّن تقف عنده , مجاوزته إلى هذه الزيادة غلوّ قال : [مثل الرمي بالحجارة الكبار بناءً على أنه أبلغ من الصغار] يعني أفضل من الصغير في الإيلام , وهذا خطأ , هذا من الغلو , فكيف لو رأى النبي صلى الله عليه وسلم الذي يُفعل اليوم : أحذية - أعزكم الله أحذية , حجارة , صخور , أنواع غريبة عجيبة أحياناً لا تخطر , بصاق يُبصق في الجمرات , أشياء تخطر على بالك وأشياء لا تخطر على بالك من شدة الجهل الذي عند الناس , الغلو هذا الذي حذّر منه النبي صلى الله عليه وسلم , والذي جاء هذا الحديث , والقصة التي كانت سبباً لهذا الحديث تقع بين الناس وبكثرة , هذا خطأ , هذي عبادة , رمي الجمرات عبادة , والواجب أن تقف مع العبادة على قدر ما ورد , لا تتجاوز الحد , قال شيخ الإسلام : [مثل الرمي بالحجارة الكبار بناء على أنه أبلغ من الصغار , ثم علله - يعني النبي صلى الله عليه وسلم بيّن العلة فقال - بما يقتضي مجانبة هدي من كان قبلنا] مجانبة طريقة من كان قبلنا من الغلو [إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به] هلكوا بماذا ؟ بالوقوع بالغلو [وأن المشارك لهم في بعض هديهم يُخاف عليه من الهلاك] كما هلكوا هم.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :" ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [هلك المتنطعون] قالها ثلاثاً "

المتنطع : هو المتعمّق في الشيء , المتعمق في الشيء , اليوم الناس تسميه أيش ؟ متشدّد , هذا هو المتنطّع , متعمق يتشدد في الأمور ويتعمق فيها ويبحث عن أشياء لا علاقة له بها ويدخل في أشياء لا ينبغي له أن يدخل فيها ويتكلم في أشياء لا ينبغي له أن يتكلم فيها تشدداً وتعمقاً وغلواً , كالذي يترك الزواج لأجل التفرّغ للعبادة وكالذي يترك أكل اللحم والخبز وما شابه , هذا كله تشدّد , تعمق , تنطع , هذا معنى التنطع , الناس اليوم يرمون أهل الحق به يقولون أنتم متشددون , قل له : وأنت مميّع , مفرّط

في حقوق الله وواجباته عليك , مَن المنصف وصاحب العدل ؟ أنا أم أنت ؟ أنا أرميك بهذا وأنت ترميني بهذا , قل له إلى مَن نرجع ؟ نرجع إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } تعال ونتحاكم إلى كتاب الله وإلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم , عندئذ نعرف المتشدد المتنطع مِن المفرّط المقصّر المميّع مِن المعتدل , وستجد نفسك أنت الضائع الذي لا يعرف دينه , ويظن ما لا يوافق هواه أو لا يركب على عقله أو لم يكن في البيئة التي هو فيها أنه ليس بشرع ولا بدين وهو تشدد , بجهله يحكم على أصحاب العلم لذلك دائماً ندندن ونقول : لا تحكم على أهل العلم بجهلك , تعلم قبل أن تتكلم , لا تبادر إلى الإنكار , تعلم قبل أن تتكلم , إذا رأيت شيئاً أو سمعت فتوى من أحد من يُثنى عليه بخير فلا تبادر إلى الإنكار , تعلم قبل أن تتكلم , اعرف المسألة : هل فيها قول واحد ؟ أم أقوال ؟ هل فيها نصوصٌ أم لا ؟ هل فيها إجماعٌ أم لا ؟ قبل أن تتكلم بكلمة , وربما تُنكر ما هو حق ودين وأنت لا تدري , فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم التقوى وأن يُجنّبنا الغلو وأن يُجنّبنا الشرك , ونكتفي بهذا لدرسنا اليوم , سبحانك الله وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

الدرس رقم 14

تفريغ الدرس الرابع عشر :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , أما بعد :

فهذا المجلس الرابع عشر من مجالس شرح كتاب التوحيد , وصلنا عند الباب التاسع عشر , قال المؤلف رحمه الله تعالى : " باب: ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟ " " باب ما جاء في التغليظ " : يعني في التشديد في هذا الأمر وعدم التسهيل والتخفيف فيه , " باب ما جاء في التغليظ " يعني : من أدلة تدل على التشديد في هذا الأمر , " فيمن عبد الله " شوف : عبد من ؟ عَبَد الله سبحانه وتعالى , لم يعبد غيره , ما وقع في الشرك الآن " عبد الله عند قبر رجل صالح " لكن محل العبادة كان وين ؟ عند قبر الرجل الصالح , التغليظ في فعلٍ كهذا , هو يتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى لا يتقرّب إلى غيره , لكن لمّا كان المحلّ عند قبر رجل صالح يؤدي إلى عبادة الرجل الصالح غُلّظ في هذا الأمر وأُغلق الباب وسُدّ الطريق على الناس حتى لا يقعوا في الشرك الأكبر , فهذا طريقٌ , تحرّي الصلاة عند قبر الرجل الصالح يؤدي إلى الشرك الأكبر , إلى عبادة الرجل الصالح , لذلك جاء التشديد في هذا الأمر , وهذا الذي يسمى في الشرع بسدّ الذرائع , يعني إغلاق الطرق الموصلة إلى المحذور , هذا المراد , المؤلف ذكر في الباب الماضي الغلو في الصالحين وأنه سببٌ للوقوع في الشرك , في الكفر الأكبر , هنا هذا أيضاً مثله , هذا مثله , فيه تحذير من الغلو في قبور الصالحين , فهو نوع من أنواع الغلو أيضاً , , فجاء في الشرع ما يدل على تحريم الصلاة عند قبر رجل صالح , أما إذا عبد الرجل الصالح فهذا شرك أكبر , الكلام مش هنا فيمن عبده , الباب جاء في التغليظ أو التشديد في عبادة الله , لا عبادة غيره , عند قبر الرجل الصالح , طيب , إذا كان التشديد قد جاء في هذا فما بالك بشخص قد عبد الرجل الصالح أصلاً , هذا أعظم شراً لأن ذاك أصلاً , التغليظ

في العبادة عند قبر الرجل الصالح هو أصلاً شُدّد فيه من أجل ألا يوقع في عبادة الرجل الصالح , فإذا عبد الرجل الصالح فقد وقع في المحذور الأعظم , الرجل الصالح عبادته شرك أكبر لأنك جعلته نداً لله , وعبادة الله عنده وسيلة إلى عبادته , يعني وسيلة توصلك إلى عبادة الرجل الصالح , وسائل الشرك محرّمة لأنها تؤدي إلى الشرك الأكبر , وهو أعظم الذنوب , هذا خلاصة موضوع بابنا , قال المؤلف رحمه الله :" في الصحيح " الآن سيذكر الأدلة التي دلّت على تغليظ عبادة الله عند قبر رجل صالح , الدليل الأول : قال " في الصحيح " الحديث في الصحيحين " عن عائشة "أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: "أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح- أو العبد الصالح - بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله" فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل " , " في الصحيح " يعني في الصحيحين , الحديث هذا موجود في الصحيحين " عن عائشة " أم المؤمنين , عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنها , مات النبي صلى الله عليه وسلم وهي ما زالت صغيرة في السن , تقريباً في الثامنة عشر من عمرها رضي الله عنها وأرضاها , وهي زوجته في الدنيا وفي الآخرة , كما صحّ بذلك الحديث " أن أم سلمة " أم سلمة هذي هي هند بنت أبي أمية المخزومية القرشية , هي زوج أبي سلمة , هاجرت هي وزوجها الهجرة الأولى إلى الحبشة , والهجرة الثانية إلى المدينة , الهجرة الأولى إلى الحبشة , والهجرة الثانية إلى المدينة , في بداية الأمر كانت الهجرة الأولى , هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة , هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة , وكانت من ضمنهم أم سلمة هذه وزوجها أيضاً , الحبشة الآن : أثيوبيا وبعض الدول التي حولها , ثم بعد ذلك رجعوا وهاجروا إلى المدينة , ومات أبو سلمة وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم , فهي إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم , وذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة , الكنيسة للنصارى كالمسجد للمسلمين , محل العبادة , الكنيسة محل العبادة للنصارى ,

يجتمعون فيه يوم الأحد لعبادتهم , واليهود عندهم معابد , معبد , عند المسلمين مساجد , " فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة " لما هاجرت " وما فيها من الصور " وهي صور الصالحين , ذكرنا في السابق , هذا عمل أهل الشرك , اتخذوا هذه الأسباب التي أدت بهم إلى الشرك فكانت وسيلة , تصوير الصور هذه وصناعة التماثيل كانت وسيلة إلى عبادتها , تذكرون أنتم في الدرس الماضي , أول ما بدأ قوم نوح ما بدؤوا بعبادة الصالحين مباشرة , صنعوا لهم تماثيلاً , صنعوا لهم تماثيلاً ثم بعد ذلك أدى بهم إلى عبادة تلك التماثيل , ومن ها هنا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتحطيم التماثيل , وعدم إقرارها , عندما أرسل علياً رضي الله عنه قال له :[لا تدعنَّ قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته] وفي رواية : [ولا صورة إلا طمستها] , لماذا ؟ لأن رفع القبور وتصوير الصور ذريعة إلى الشرك , وسيلة , كهذه الذريعة التي معنا , عبادة الله عند قبر رجل صالح , هذه الذرائع كلها قد أغلقها الشارع وحرّمها , لأنها توصل إلى المحذور الأكبر وهو الشرك الأكبر , قال " فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة , وما فيها من الصور فقال : أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح " شك الراوي : أقال الرجل الصالح أو العبد الصالح ؟ ما في فرق " بنوا على قبره مسجداً " ماذا فعلوا ؟ " بنوا على قبره مسجداً " فصاروا يصلّون وين ؟ عند قبره , أو على قبره " بنوا على قبره مسجداً وصوّروا فيه تلك الصور " جمعوا بين شرّين ووسيلتين من وسائل الشرك العظيمة , الأولى : بناء المساجد على القبور والثانية : تصوير الصور , يعني صناعة التماثيل " أولئك شرار الخلق عند الله " هكذا وصفهم نبينا صلى الله عليه وسلم , " شرار الخلق " يعني أشر الخلق عند الله تبارك وتعالى , كان لهم دورٌ عظيم في الشرك بالله تبارك وتعالى ونشر الشرك بين الناس , ما أدري , بعض الناس يستحْلُون مخالفة شرع الله ويتلذّذون بالكفر وبوسائله , هذه أحاديث صريحة واضحة في تحريم البناء على القبور , بناء المساجد على القبور , وفي تحريم صناعة التماثيل ,

وتصوير الصور وتعظيمها , ومع ذلك تجدهم يصنعون ذلك ويعظّمونها ويعبدونها مع الله تبارك وتعالى , ويصلّون في تلك المساجد ويبرّرون لأنفسهم بأنواع من المبرّرات , قد تمكّن الشرك من قلوبهم - نعوذ بالله - وأُشربوا في قلوبهم العجل بأيش ؟ بكفرهم , الإنسان عندما يقع في الشرك ولا يبالي بشرع الله سبحانه وتعالى وبأحكامه تُقذَف محبة الشرك في قلبه - نعوذ بالله - , لا يستغني عنه ولا يتركه , وهؤلاء قد وجدوا وانتشروا بكثرة في مجتمعاتنا اليوم وفي السابق , منذ زمن , دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خرجت لمحاربة مثل هذه الأمور التي انتشرت بكثرة في زمنه , وأرسله الله سبحانه وتعالى مجدداً لهذا الدين , على رأس كل مئة سنة يرسل الله لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها , فتجد لهؤلاء المجددين أثراً عظيماً في أمة محمد صلى الله عليه وسلم , انظر إلى الأئمة الأربعة في زمننا هذا , ابن باز والألباني والعثيمين والشيخ مقبل تجد لهم أثراً عظيماً , وكانوا على رأس المئة , رحمهم الله , انظر إلى الحال قبل مجيئهم وإليه بعد ظهورهم , ستجد الفرق واضحاً جداً , ستجد وتلتمس الخير الذي نشره الله سبحانه وتعالى على أيديهم , فنشروا التوحيد ونشروا السنة في هذا الزمن , جزاهم الله عنا وعن الإسلام خيراً , " بنوا على قبره مسجداً , وصوّروا فيه تلك الصور , أولئك شرار الخلق عند الله " هذا الشاهد , أن من يفعل ذلك هو من شرار الخلق عند الله تبارك وتعالى , البناء على القبور هو شاهدنا الذي بوّب المؤلف رحمه الله بابه لأجله , البناء على القبور : عبادة الله عندها , فجاء التشديد في ذلك , فما بالك لو أن الشخص عبَد صاحب القبر كما يحصل اليوم من عُبّاد القبور , يصلون لها , يركعون , يسجدون , يخضعون , يتذلّلون بين يدي صاحب القبر , يذبحون له , أنواع النذور تُصرَف له , يستغيثون به , يسألونه الولد , يسألونه الرزق , يسألونه رفع الضرّ وجلب النفع ويعتقدون فيه , هذا كلّه نحن نفعله لله , هم يفعلونه لأوليائهم , هذا معنى الشرك , قال :" فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل " فتنة القبور وفتنة التماثيل , أعظم الفتن التي توصل إلى عبادة غير الله تبارك وتعالى , وهذا الكلام من

كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال : فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل , من هم ؟ النصارى , قال النبي صلى الله عليه وسلم : [لتتبعن سَنن من كان قبلكم حذو القُذّة بالقُذّة , لو دخلوا بجحر ضبٍّ لدخلتموه] وهذا ما حصل , هذا ما حصل , تجد اليوم بين المسلمين التماثيل والصور المُعظّمة , وتجد القبور في المساجد , والله المستعان .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : " ولهما عنها " أي عن عائشة رضي الله عنها , " لهما " أي للبخاري ومسلم " قالت: "لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال - وهو كذلك -: "لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً " أخرجاه " , ولهما : للبخاري ومسلم , عنها : أي عن عائشة رضي الله تعالى عنها " قالت : لما نُزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ": يعني لما نَزل به ملك الموت " طفق يطرح خميصةً له على وجهه " طفق : يعني جعل " جعل يضع خميصة " الخميصة : كساء له خطوط , جعل يضعه على وجهه " فإذا اغتم بها كشفها " يعني إذا اختنق بسبب وجودها على وجهه أزالها عن وجهه , فقال وهو على هذه الحال :" لعن الله اليهود والنصارى " اللعن : يعني الطرد من رحمة الله , طردهم الله سبحانه وتعالى من رحمته , لماذا ؟ " اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " فمن اتخذ القبور مساجد , هذا ما يدلّ عليه الحديث , لماذا ؟ لإغلاق وسيلة الشرك , لكي لا يُعظَّم أصحاب القبور حتى يُعبَدوا مع الله سبحانه وتعالى , وهذا الشاهد من الحديث , " اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " تقول عائشة رضي الله عنها : " يحذّر ما صنعوا " يعني ما قاله لنا هذا لكي يحكي لنا قصة أو يروي لنا رواية يسلينا بها , لا , إنما ذكر لنا ذلك كي نتّعظ ونعتبر , وهذا نتعظون وتعتبرون به حتى في القرآن , الله سبحانه وتعالى يذكر لنا القصص في القرآن واليهود فعلوا والنصارى فعلوا والأقوام الذين قبل فعلوا وفعل الله بهم كذا وكذا , هذا ليس للتسلية , هذا يقوله الله سبحانه وتعالى لنا كي نعتبر ونتعظ ,

لذلك في كثير من الآيات يذكر في آخرها : { لعلكم تتقون } ها , و} في ذلك موعظة للمتقين } وهكذا , ليش ؟ يعني انتبهوا , هذه القصص ليست للتسلية , بل هي معوعظة وعبرة لكم , فاحذروا أن تفعلوا كفعلهم فتهلكوا كما هلكوا , والواجب عليكم أنّ تطيعوا وأن تتقوا الله وأن تبتعدوا عما وقعوا فيه من ضلال , فعندما تُذكَر لنا أخبار الأوّلين نركّز على هذا , نركّز على هذا , لماذا يذكر الله لنا ذلك ؟ كي نحذر , ما وقفعوا فيه من ضلال نجتنبه , وما فلوه من طاعة نفعله إذا لم يُخالف شرع الله سبحانه وتعالى , إذا لم يأتِ شرعنا بما ينسخه , قالت عائشة رضي الله عنها : " يحذّر ما صنعوا " لذلك ذكر لنا هذا , يعني إياكم من بناء المساجد على القبور , يعني كأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحذّر ولم يتكلم ولا فعل شيئاً , ذهبنا وبنينا المساجد على القبور وصلينا فيها وعبدنا القبور مع الله سبحانه وتعالى , قالت : " ولولا ذلك أُبرز قبره " يعني : لولا الخوف من أن يتخذ الناس قبره مسجداً لجعل قبره مع المسلمين في مقبرة البقيع ولكن جُعِل قبره في بيته لاجتناب الغلو فيه , " غير أنه خشي أن يُتّخذ مسجداً " خشي أن يتخذ مسجد : يعني أن يبنوا عليه مسجداً كما فعل اليهود والنصارى مع أنبيائهم , أخرجاه في الصحيحين .

ثم قال رحمه الله : " ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا. ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك " " عن جندب بن عبد الله " هو البَجلي رضي الله تعالى عنه , أحد الصحابة الكرام , يقول : " سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمسٍ وهو يقول " الظاهر أنها خمسة أيام , لأن تحذيره من البناء على القبور كان في آخر حياته كما جاء عن عائشة , فركّز على ذلك في تلك الفترة , " وهو يقول : إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل " البراءة : المقصود بها هنا نفي

الشيء والابتعاد عنه , أي أبتعد عن ذلك وأجتنبه " أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل " الخُلّة : هي أعلى درجات المحبّة , المحبّة أنزل منها , الخُلّة : أعلى درجات المحبّة , فلا يصح أن يكون الله سبحانه وتعالى خليله وأن يكون أحدٌ من البشر كذلك , فتبرّأ النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك , " فإن الله قد اتخذني خليلاً " هنيئاً له عليه الصلاة والسلام , هذه نعمة وفضيلة عظيمة من الله سبحانه وتعالى امتنّ بها عليه وعلى إبراهيم , فالله سبحانه وتعالى ما اتخذ أحداً خليلاً إلا إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم , بقية الأنبياء يحبّهم , لكن إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم لهم مكانة خاصة , لهم الخُلّة , " كما اتخذ إبراهيم خليلاً , ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً " لو كان هذا يصلح , " لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً " هذه من أعظم مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه , وليخسأ أعداؤه , هذه درجته , لو كان النبي صلى الله عليه وسلم متخذاً خليلاً لاتخذ أبا بكرٍ خليلاً , " ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد " هذا هو الشاهد , ذكر المؤلف الحديث هنا لأجل هذا , ينبّه النبي صلى الله عليه وسلم , لا تفعلوا كفعلهم , " من كان قبلكم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد , ألا فلا تتخذوا القبور مساجد " هذا كلام صريح , " فإني أنهاكم عن ذلك " إذاً لا يصحّ الصلاة في مقبرة , الصلاة في مقبرة لا تصحّ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عنها , لماذا ؟ كي لا توصل إلى عبادة صاحب القبر , هذا هو الصحيح في العلة , علة النهي عن الصلاة في القبور , قال : " فقد نهى عنه في آخر حياته " وقد نهى عنه في آخر حياته , كما جاء في حديث جندب أنه سمع هذا من النبي صلى الله عليه وسلم قبل خمسٍ , وفي حديث عائشة : عندما نُزِل به , يعني نزل به ملك الموت , وهذا الكلام الآن الذي سيسوقه المؤلف كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله , قال :" ثم إنه لَعن وهو في السياق من فعله والصلاة عندها من ذلك وإن لم يُبْنَ مسجدٌ , وهو معنى قولها خَشي أن يُتّخذ مسجداً فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً ، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً ، بل كل موضع يصلى

فيه يسمى مسجداً ، كما قال صلى الله عليه وسلم: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" " , " ثم إنه لُعن وهو في السياق " في سياق الموت كما في حديث عائشة الذي سبق , فقال : [لعنة الله على اليهود والنصارى , اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد] , قال :" فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً " لأنهم يعلمون نهي النبي صلى الله عليه وسلم وهم أشد الناس امتثالاً لأمره , اذاك بناء المساجد على القبور ما تجده في القرون الأولى أبداً التي كان فيها التوحيد قائماً والسنة قوية وأهل السنة قادرين على إنكار المنكر وعلى فعل ما يجوز والنهي عما لا يجوز , لا تجده في القرون الثلاثة الأولى , إنما تجده بعد ذلك , لما انتشرت البدع والضلالات وأهل الانحراف , قال :" ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله , والصلاة عندها من ذلك " الصلاة عند ماذا ؟ الصلاة عند القبور , " وإن لم يُبنَ مسجدٌ " يعني ليست القضية متوقفة على بناء المسجد فقط , لا , حتى لو ذهبت وصليت عند القبر وإن لم تَبنِ مسجداً فأنت داخل في النهي , " وهو معنى قولها خشي أن يُتّخذ مسجداً " يعني أن يُصلّى عندها , عند القبر," فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً , وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً " يعني لا يذهب ذهنك فقط إلى بناء مسجد على القبر , لا , هذا داخل في النهي , لكن أيضاً حتى تعمُّد الصلاة في ذاك المكان هو اتخاذ لها مسجد , كيف ؟ قال :" بل كل موضع يُصلى فيه يسمى مسجداً " من هنا , وما الدليل ؟ قال :" كما قال صلى الله عليه وسلم [جُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً] إذاً الأرض كلها مسجد , فأي مكان تصلي فيه فهو مسجد , إذاً لا يجوز لك أن تصلي عند القبر ولا إلى القبر ولا على القبر , هذا كله قد جاء فيه النهي لأنه يؤدي إلى المحذور .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : " ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعا: "إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد"ورواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه " الشاهد منه قوله : " والذين يتخذون القبور مساجد " جعلَهم من شرار الناس وقد تقدّم معناه , قوله هنا :" إن من شرار الناس من

تدركهم الساعة وهم أحياء " جاء في الحديث أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق وذلك لأنه في آخر الزمان وبعد أن يظهر عيسى عليه السلام ويظهر المهدي ويظهر الدجال ويأجوج ومأجوج وكل هذه الأمور وعلامات الساعة تأتي ريح طيبة كما جاء في الحديث , تأتي ريح طيبة فتأخذ نفس كل مؤمن فلا يبقى على ظهرها إلا شرار الخلق كما جاء في الحديث , هؤلاء هم شرار الخلق , " الذين تدركهم الساعة وهم أحياء " يعني تقوم الساعة وهم موجودون , وأيضاً من شرار الخلق الذين يتخذون القبور مساجد , لماذا ؟ لأنهم قد فتحوا الباب للشرك الأكبر الأعظم , فتحوا الباب لعبادة غير الله تبارك وتعالى , هذا الأمر الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وحذّر منه في أحاديث كثيرة ومع ذلك تركوا أوامر النبي صلى الله عليه وسلم ونواهيه وذهبوا وفعلوا ما يحلو لهم , نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لطاعته .

ثم قال المؤلف رحمه الله :" باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تُعبد من دون الله " يعني مجاوزة الحد في قبور الصالحين وتعظيمها , يؤدي ذلك إلى أن تصير هذه القبور أوثاناً تعبد من دون الله , الوثن : ما عُبد من دون الله فهو وثن , سواء كانت له صورة أو ليست له صورة , " يصيرها أوثاناً تُعبد من دون الله " تعظيم الشيء , مجاوزة الحد فيه يؤدي إلى ذلك , وهذا معنى الذي تقدّم معنا في الغلو , قال المصنف رحمه الله تعالى : " روى مالك في الموطأ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" " : مالك في الموطأ : مالك بن أنس , إمام دار الهجرة , الإمام المعروف صاحب المذهب المالكي ," في كتابه الموطأ " الموطأ يعني المسهَّل , وهو من الكتب النفيسة , قال في الحديث :" اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبَد " دعاء من النبي صلى الله عليه وسلم دعا به ربه أن يحفظ قبره من الغلو به حتى لا يُعبد , والحمد لله قد استجاب الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم , قال :" اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " لما غلوا في قبور أنبيائهم , اتخذوا عليها المساجد

وعبدوا أنبياءهم وعبدوا صالحيهم , فغلوا في الأنبياء والصالحين حتى عبدوهم مع الله تبارك وتعالى , هذا الشاهد الذي يريده المؤلف رحمه الله , قال المؤلف رحمه الله : " ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى} قال: كان يلت لهم السويق، فمات فعكفوا على قبره." تقدمت الآية وتقدم شرحها لكن الشاهد هنا أن غلوّهم في هذا الرجل لأجل ما كان يفعله من خير أدى بهم إلى عبادة قبره , فصار قبره وثناً يُعبد لأجل الغلو فيه , هذا الشاهد الذي يريده , قال :" وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج " يعني هذا الرجل كان يلت السويق للحاجّ , يصنع لهم طعاماً , للحُجّاج , فعظُم في نفوس الناس فلما مات اتخَذوا قبره مسجداً وعكفوا عنده , قال المؤلف رحمه الله : " وعن ابن عباس قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج" " هذا من الغلو , من الغلو في القبور الذي أدّى إلى الشرك بها وعبادتها : البناء على المساجد , اتخاذ السرُج , تزيينها , زخرفتها , كل هذا نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم لأن هذا من الغلو فيها , الذي أدى بالناس إلى عبادتها , لذلك قال عليه الصلاة والسلام : [لا تدعنّ قبراً مُشرفاً إلا سوّيته] فمن الغلو فيها : البناء عليها وتزيينها وإضاءتها بالسُرُج , وهذا المقصود من قوله : [المتخذين عليها المساجد والسرج] السراج يعني النور , إضاءة , تُضاء , ومساجد , يصلون فيها أو عندها , هذا كله من الغلو فيها الذي أدى إلى عبادتها مع الله تبارك وتعالى , لكن هذا الحديث بهذا اللفظ ضعيف , والصحيح في زيارة القبور :[زائرات القبور] صوابه:[زوّارات القبور] هذا الذي صحّ باللفظ , ونهى , والنهي عن اتخاذها مساجد قد مرّ معنا في أحاديث كثيرة , وتنويرها قربةً لأصحابها شرك , نكتفي اليوم بهذا القدر والحمد لله رب العالمين .

الدرس رقم 15
تفريغ الدرس الخامس عشر :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , أما بعد : فهذا هو المجلس الخامس عشر من مجالس شرح كتاب التوحيد , وصلنا عند الباب الحادي والعشرين , قال المؤلف رحمه الله : " باب: ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك " ما جاء من أدلة تدل على حماية المصطفى , المصطفى : هو النبي صلى الله عليه وسلم , ومعنى المصطفى يعني المُختار الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لتبليغ رسالته ," صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد " يعني جانب التوحيد , يعني : عندما يغلق السبل التي توصل إلى الشرك يكون قد حفظ جوانب التوحيد حتى لا يحصل الخلل فيه ," وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك " يعني : تحريم الوسائل التي توصل إلى الشرك , كتحريم - مثلاً - الصلاة عند القبور , تحريم الذبح في مكان كان يُذبح فيه لغير الله وما شابه , وهذه الأمور قد تقدمت معنا , هنا المؤلف يزيدها بياناً وإيضاحاً , لأن هذا أمرٌ عظيم , التهاون في الوسائل التي توصل إلى الشرك يؤدي بالناس إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى , وهذا ما حصل , تهاوَنَ الناس في البناء على القبور , في , تهاون الناس في الذبح عند القبور , في الدعاء عند القبور , حتى أدى بهم الأمر إلى عبادة القبور , هذا الذي حصل , وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند القبور , عن الذبح عندها من أجل إغلاق هذه الوسائل , لكن الناس تركت هذه النواهي التي نُهينا عنها لذلك وقعوا في الشرك , فهذا الذي يريد أن يبيّنه الآن المؤلف , أن النبي صلى الله عليه وسلم قد سد الوسائل التي توصل إلى الشرك خشيةً على الناس أن يقعوا في الشرك , وهذا - كما ذكرنا - الباب كالتوضيح للأبواب التي سبقت , والأدلة التي سبقت كثير منها يعني يدل على هذا الأمر , كتحريم البناء على القبور , وتحريم الصلاة عند القبر أو عليه , وكذلك تحريم

الذبح في محلٍ يُذبح فيه لغير الله , هذه كلها من سد الذرائع التي توصل إلى الشرك , قال المؤلف رحمه الله تعالى : " وقول الله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} " { لقد جاءكم رسول من أنفسكم } الرسول كما تقدم معنا : هو من بعثه الله سبحانه وتعالى برسالة ليبلغها للناس , بُعث للناس بشريعة يبينها لهم , فهو من أوحي إليه بشرعٍ وأُمِر بتبليغه , هذا الرسول { لقد جاءكم رسول من أنفسكم } يعني منكم , هو من العرب , أصله معروف , قبيلته معروفة , لسانه عربي , هو معروف بينهم بالصدق , معروف بالصفات الكريمة , { عزيز عليه ما عنتّم } , { ما عنتّم } يعني ما يشقّ عليكم , هو يشق عليه ويكون عزيز عليه : يعني شاق عليه , فلا يحب لكم المشقة , لا يحب أن تلحق بكم المشقة , وأي أمر فيه مشقة يحاول أن يدفعه عنكم كما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :[لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة] وكما جاء أيضاً في فرض الصلاة عندما أُسريَ به إلى السماء , أول ما فرضت الصلاة : خمسين صلاة , وكان ينزل إلى موسى وموسى يقول له ويرجع إلى ربه ويطلب التخفيف حتى وصلت إلى خمس صلوات , هذا من شفقته على أمته صلى الله عليه وسلم وحرصه على هدايتهم , { حريص عليكم } يعني يحرص عليكم , يحرص على هدايتكم وعلى طاعتكم لربكم , ويخاف عليكم من الوقوع في الشرك والوقوع فيما لا يرضي الله سبحانه وتعالى , هذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله تبارك وتعالى إلينا , وهذا من نعمة الله علينا , هذه نعمة من الله سبحانه وتعالى علينا تحتاج منّا إلى شكر , فلو أنه أرسل إلينا نبيّاً فظاً غليظاً لا يبالي بنا ولا يهتم بما يشق علينا لكان في ذلك علينا - يعني - تبعات عظيمة , لكن من رحمة الله تبارك وتعالى وفضله ومنّه علينا أن أرسل إلينا نبيّاً بهذه الأوصاف , وهذه الصفات تقتضي محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه التعظيم الذي يليق به , قال تبارك وتعالى { حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم } : هذه صفته مع المؤمنين , { رؤوف رحيم } : وهذا خاص بالمؤمنين وليس بالكافرين ,

الرأفة هي شدة الشفقة , فهو يشفق عليهم جدّاً , { رحيم } : عظيم الرحمة , هذا مع المؤمنين , أما مع الكفار { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } هذا وصفهم , فمع المؤمنين شيء ومع الكفّار شيء آخر , مهم جداً أن نفهم ما يجب علينا ناحية الكفار , اليوم حاصل خلط شديد عند الناس , البعض يدعو إلى قتلهم بدون أي تفصيلات , والبعض الآخر يقابلهم يدعو إلى المحبة وإلى الإلف فيما بيننا وبينهم وإسقاط عقيدة الولاء والبراء , ويحارب الكراهية , هكذا يزعمون , الكراهية مِن ديننا ومن شرعنا , من أحب فليحبّ ومن كره فليكره , من أصول ديننا الكراهية , الولاء والبراء , الحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان ,[أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله] كما قال النبي صلى الله عليه وسلم , والكفار ليس لهم عندنا إلا البغض هؤلاء مجرمون مع الله سبحانه وتعالى , ظالمون لأنفسهم , يشتمون الله سبحانه وتعالى ليل ونهار , يحاربون ربنا تبارك وتعالى ليل نهار , بعد ذلك تريد منا أن نحبهم , كيف ؟ أنت عندما تحب إنساناً وتجد شخصاً يؤذيه تغار عليه وتنصره وتبغض من يعاديه , هذا في البشر , الأصل في المؤمن أن تكون محبته لله وبغضه لله , في الله , إذا كنت حقيقة تحب الله سبحانه وتعالى فأنت تحب من يحب الله وتبغض من يبغض الله سبحانه وتعالى , هؤلاء يشتمون الله سبحانه وتعالى , يسبّونه , يكفرون به ليل نهار , كيف تريد مني أن أحبهم ؟ عندما تموت منك عقيدة الإسلام في نفسك , عندئذ تحبهم ولا تبالي بهذه القضايا , أن يقول : الله ثالث ثلاثة , وأن يقول : عيسى ابن الله أو ما شابه , ما تهتم , وهذا تكذيب لله سبحانه وتعالى يقول ليس له ولد , هم يقولون له ولد , ويشتمونه كما قال هو تبارك وتعالى : [يشتمني ابن آدم] [يكذّبني ابن آدم] كيف ترضى بهذا ؟ عقيدتنا عقيدة الولاء والبراء , لكن بغضهم شيء ومعاملتهم شيء آخر , الكفار عندنا أصناف , وكل صنف له معاملة تخصّه , ومحلّه كتب الفقه , الشاهد من هذه الآية , لماذا ذكرها المؤلف ؟ إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم - كأنه يقول لنا - إذا كان الرسول

صلى الله عليه وسلم متّصفاً بهذه الصفات التي هي أنه عربي , يتكلم بلساننا , ونفهم لغته , وأنه يشقّ عليه ما يشقّ علينا , وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم , يتصف بكل هذه الصفات , فهل يليق بمن هذه صفاته أن يترك الأمة تقع في الشرك الذي يبعدها عن الله ويسبب لها دخول النار ولا يبيّن لهم ولا يوضّح ولا يغلق السبل التي توصلهم إلى الشرك , لا يمكن ذلك , رسول موصوف بهذه الصفات يبين لهم الشرك ويحذّرهم منه , ويحذّرهم من الوسائل التي توصلهم إليه , هذا الذي يريده المؤلف من ذكر هذه الآية في هذا الموطن .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : " عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم" رواه أبو داود بإسناد حسن رواته ثقات " , " لا تجعلوا بيوتكم قبوراً " : هذا نهيٌ عن ترك الصلاة والذكر وقراءة القرآن والدعاء في البيت , ينبغي على المسلم أن ينوّر بيته بفعل هذه الأمور فيها , عبادة الله سبحانه وتعالى وطاعته في بيتك , ولا تجعل بيتك كالقبر , لماذا شبّهه بالقبور ؟ لأن القبور لا يُصلّى فيها ولا يُقرأ القرآن فيها , ولا يُذكر الله سبحانه وتعالى فيها , ولا يذهب المرء إليها يدعو لنفسه فيها , القبور ليست محلاً لهذه العبادات والطاعات , محل الطاعات هذه : المسجد والبيت وفي أي مكان لم يَنهَ الله سبحانه وتعالى عن الصلاة فيه , " لا تجعلوا بيوتكم قبوراً " كالحاصل اليوم من كثير من الناس , كثير من الناس تدخل بعض البيوت عندهم : لا يصلون في بيوتهم , لا يقرؤون القرآن , لا يذكرون الله , لا يدعون الله في بيوتهم , هذه خرابة , هذا ما هو بيت , هذا خرابة , قبر , يصلح هذا البيت أن يُسمى مقبرة وليس بيتاً , يبارك الله سبحانه وتعالى في البيت ليكون فيه ذكر الله سبحانه وتعالى , لماذا تسلط الشياطين على كثير من الإنس في زمننا هذا بالذات ؟ لبعد الناس عن دينهم , الكثير من المسّ يحصل بين الناس اليوم , تسمع به بشكل ما كان يكون على عهد السلف رضي الله عنهم , وما كانوا يَشْكون من هذا الأمر بهذه الصورة الموجودة عليها ,

لماذا ؟ لأننا اتخذنا بيوتنا قبوراً , قال :" ولا تجعلوا قبري عيداً " , " ولا تجعلوا قبري عيداً " , وهذا الشاهد , هذا الشاهد , لذلك ذكره المؤلف هنا , ما معنى العيد ؟ قالوا : العيد هو اسمٌ لما يعود من الاجتماع العام على وجهٍ مُعتاد , مأخوذ من العَود , يعود , يجتمعون فيه في كل عام مرة أو في كل شهر مرة أو في كل أسبوعٍ مرة , الجمعة مثلاً عيدٌ لنا , يومٌ نجتمع فيه في كل أسبوع , عيد الفطر عيدٌ لنا , عيد الأضحى عيد لنا , نجتمع فيه في كل سنة , والأعياد قسمان : أعيادٌ زمانية , وأعياد مكانية , الأعياد الزمانية : التي تتعلق بالزمن , بالوقت , كعيد الفطر وعيد الأضحى والجمعة , هذه أعياد زمانية متعلقة بالوقت , أعيادٌ مكانية متعلقة بالمكان , كالمسجد : مكانٌ نجتمع فيه , فهذا يسمّى عيداً مكانياً , القبر الذي يُزار عيدٌ مكاني , لكن المسجد عيد مكاني مشروع , والقبر عيد مكاني ممنوع , محرم , عيد الفطر عيد زماني مشروع , عيد الوطن أو عيد الاستقلال عيد زماني لكنه ممنوع , لأنه الأمر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : نحن أهل الإسلام قد أبدلنا الله بعيدين : عيد الفطر وعيد الأضحى , ومنع النبي صلى الله عليه وسلم من العيد الذي كان على عهد الجاهلية , فالأعياد تعبدية , ما ثبت في الشرع نثبته وما لم يثبت فلا يجوز , إذاً الأعياد قسمان : زمانية ومكانية , والأعياد الزمانية منها مشروع ومنها ممنوع , والأعياد المكانية منها مشروع ومنها ممنوع كما مثّلنا , هنا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تجعلوا قبري عيداً " عيد أيش ؟ عيد مكاني تجتمعون في هذا المكان , عنده , لماذا ؟ لعبادته , لماذا تجتمعون عند القبر ؟ لعبادة صاحب القبر , وإن لم يُعبَد : مجرد أن تجعلوه عيداً هو وسيلة وذريعة توصل إلى عبادته , لذلك نهى عنه صلى الله عليه وسلم , وهذا المراد , لماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يُجعل قبره عيداً ؟ حتى لا يؤدّي ذلك إلى عبادة النبي صلى الله عليه وسلم , هذا المراد , قال :" وصلوا علي " عليه وعلى آله الصلاة والسلام , " وصلوا علي " الأمر بالصلاة عليه جاء في كتاب الله , قال الله سبحانه وتعالى : { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } عليه

وعلى آله الصلاة والسلام , فنحن نصلي ونسلم عليه , " صلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم " يعني لا داعي لأن تتكلّفوا وتأتوا إلى قبري كي تصلوا علي , لا , لستم بحاجة إلى هذا , صلِّ أينما كنت فالملائكة تسمع وتنقل للنبي صلى الله عليه وسلم الصلاة , فقط الصلاة , هذا الذي ورد وهذه أمور غيبية , لا حكم فيها للعقل بالقياس وما شابه , لا , أمر غيبي , أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الصلاة هي التي توصله , توصل الملائكة الصلاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتبلغه , نصلي عليه وتبلغه هذه الصلاة عليه وعلى آله الصلاة والسلام ," حيثما كنتم " يعني ما في فرق , أن تكون عند القبر أو بعيد عن القبر , ما في فرق , فما في داعي أن تتكلف وتذهب إلى القبر , وتجتمعوا هناك من أجل أن تصلوا عليه , غايتك ماذا ؟ الأصل فيك أنها تكون غايتك هي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء له , وهذا يحصل في مكانك الذي أنت فيه فلست بحاجة إلى أن تشد الرحال إليه , وشد الرحال منهيٌّ عنه إلا إلى ثلاثة مساجد للتعبد , [لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد] فأنت تشد الرحال إلى المسجد النبوي فأنت تصلي فيه وتحصل على أجره : لا بأس , تكون نيتك هذا , ثم إذا ذهبت زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم , أما أن تكون نيتك هي شد الرحال إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم : لا , محرّم , وتشد الرحال إلى بيت الله الحرام , إلى مكة , وتشد الرحال إلى بيت المقدس , هذه الثلاث مساجد التي أُذن لنا شرعاً أن نشد الرحال إليها , فللتعبّد لا تشد الرحال إلا إلى هذه المساجد الثلاثة كي تصلي فيها " رواه أبو داوود بإسناد حسن ورواته ثقات " , قال المصنف رحمه الله تعالى :" وعن علي بن الحسين " وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه " أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة " فتحة صغيرة " كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم" رواه في المختارة " هو ضعيف وما قبله يغني عنه , نعم .

ثم قال المؤلف رحمه الله :" باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان " باب ما جاء من أدلة تدل على أن بعض هذه الأمة , لا كلّها , لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [لاتزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرّهم من خالفهم أو من خذلهم حتى يأتي أمر الله] فالإسلام باقٍ إلى قرب قيام الساعة , إلى أن تأتي تلك الريح الطيبة فتأخذ نفس كل مؤمن , الإسلام باقٍ وباقية هذه الطائفة إلى آخر الزمان , لكن لا يعني ذلك أن الشرك لا يقع في بعض هذه الأمة بل يقع , والأدلة القادمة تدل على ذلك , " باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان " , " يعبد الأوثان " الوثن : كل ما عبد من دون الله فهو وثن , إذاً سيأتي أو سيحصل في هذه الأمة أن يكون منها من يرتد عن دينه ويقلب على عبادة الأوثان , الأدلة التي سيذكرها المؤلف كافية في ذلك , ولكن ما مراده من هذا التبويب ؟ مراده الرد على بعض أهل التصوّف الذين قاتلهم في وقته رحمه الله , حينما كان ينكر عليهم الشرك الذي كانوا فيه , عبادة القبور وأصحاب القبور , كانوا يقولون : لا يمكن أن نكون نحن مشركين , لماذا ؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن إبليس قد أيس أن يُعبَد في جزيرة العرب , إذاً لا يمكن للشرك أن يقع في هذه الجزيرة , وهذا استدلالٌ باطل , الأدلة التي ذكرها المؤلف هنا تدل على أن الشرك يقع , وجاء في حديثٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوسٍ عند ذي الخَلَصَة] ذي الخَلَصَة هذا صنم كان يُعبد في الجاهلية , ولا تقوم الساعة حتى يُعبد من جديد , هذا نص صريح واضح في وقوع الشرك في هذه الأمة , وأما الحديث الذي ذكروه فيأس الشيطان لا يدل على عدم الوقوع , يأس الشيطان لا يدل على عدم الوقوع , يئس من كثرة ما رأى من الخير والتوحيد الذي دبّ في البلاد , يئس أن يُعبد في جزيرة العرب , ورضي بالتحريش بينهم , لكنه يقع , ومتى وجد فيهم فرصة سيعود , وعاد ووجد فيهم فرصة ودخل , الحديث الذي ذكرناه دليلٌ على وقوع الشرك في هذه الأمة , والذي سيذكره المؤلف هنا كذلك يدل على ذلك , استدلال المؤلف يتم بجميع

الأدلة التي ذُكرت في الباب , سيذكر المؤلف أدلة تدل على وقوع أهل الكتاب في الشرك , ما مراده من هذا ؟ مراده أن يُثبت أن ما وقع فيه أهل الكتاب لابد أن نقع فيه نحن , لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة] فيذكر لنا أدلة تدل على وقوع أهل الكتاب في الشرك ثم يذكر لنا هذا الحديث , أي أنكم ستفعلون ما فعل اليهود والنصارى , لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه] فمِن باب أولى أن يكون الشرك داخل في ذلك , فبما أنهم قد عبدوا الأوثان , فسيقع فينا عبادة الأوثان كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا بد , وقد حصل , وقد حصل , بل وقع ما لا يختلفون هم معنا أيضاً في أنه شرك , في زمننا هذا : صار في هذه الأمة من يعبد الأوثان صراحة , وفي هذه الأمة من ألحد أصلاً , ومن هذه الأمة من وقع في أنواعٍ من الكفر , فكيف يزعمون ما يزعمونه ؟ زعمهم هذا من أبطل الباطل , بل قد ارتد بعض الناس في زمن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ورجعوا إلى ما كانوا عليه , قال المصنف رحمه الله تعالى : " باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان , وقول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} " ألم تر يا محمد , أي أنك قد رأيت , هذا يسمّى استفهام تقرير { إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ } أوتوا حظاً , النصيب : هو الحظ , { من الكتاب } وهو التوراة , والمقصود بهم هنا اليهود { يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} الجبت الذي هو السحر , والطاغوت من الطغيان : مجاوزة الحد , وكل ما عُبد من دون الله فهو طاغوت - وهو راضٍ - سيأتي تفصيل الطاغوت إن شاء الله وأقوال العلماء فيه { وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً} هذه تتمة الآية , يقول اليهود للمشركين بأن طريقتكم التي أنتم عليها ومنهجكم أهدى من منهج محمد صلى الله عليه وسلم , وهم كَذَبة في ذلك , الشاهد : أنهم يؤمنون بالجبت وأيش ؟ والطاغوت , هم عبدوا الأوثان , وقع فيهم عبادة العجل وغيره , إذاً أثبتنا هنا بأن الشرك قد وقع في أهل الكتاب , هذا الذي نريده

الآن , ثم قال المصنف رحمه الله تعالى : " وقوله تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} " هذه الآية في الرد على الذين يسخرون من المسلمين ومن دينهم , هؤلاء الذين يسخرون كانوا من اليهود والنصارى والوثنيين , يقول الله سبحانه وتعالى رداً عليهم : { هل أنبئكم } أخبركم { بشرٍّ من ذلك } الذي زعمتم فينا ,{ مثوبة } جزاء عند الله سبحانه وتعالى { من لعنه الله } ومَن هؤلاء الذين لعنهم الله , طردهم وأبعدهم من رحمته تبارك وتعالى بسبب كفره ؟ هم اليهود والنصارى { مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ } هم اليهود , مسخهم قردة وخنازير , { وعبد الطاغوت } يعني جُعل منهم من عبد الطاغوت , هذا الشاهد , أن من أهل الكتاب من عبد الطاغوت { أولئك شرٌّ مكاناً وأضل عن سواء السبيل } الشاهد : أنه قد أثبت وقوع عبادة الأوثان في أهل الكتاب , قال المصنف رحمه الله تعالى : " وقوله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً} " المراد أنهم فعلوا مع الفتية بعد موتهم ما يُذَمّ فاعله , هؤلاء الذين بنوا على الفتية الذين هم أصحاب الكهف , لما ماتوا بنوا على قبرهم مسجداً , مَن الذي بنى المسجد ؟ الذين غلبوا على أمرهم وليس أهل العلم فيهم , فلا يُستدلّ بذلك عل جواز البناء على القبور , نترك الأدلة المحكمة ونأتي لمثل هذه المتشابهات !! أو يقال بأن الله أقرّهم ولم ينكر عليهم باطل , كذب , ما بُيِّن من أدلة في الكتاب والسنة فهي إنكارٌ لهذا الفعل , لا يلزم أن يكون الإنكار مرافقاً للقصة , فالموضوع ليس هذا , لكن وردت أدلة في الكتاب والسنة تنكر هذا الفعل , انتهى الأمر , فالإنكار حاصل بالأدلة الأخرى التي وردت , ودعوى عدم الإنكار باطلة , كذب , لكن هذا حال أهل الباطل , يتركون الأدلة المحكمة ويتعلقون بالمتشابهات , عندما تجد عندك أدلة محكمة في المسألة , كهذه , البناء على القبور , [لعن الله اليهود والنصارى , اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد , يحذّر ما صنعوا] أدلة واضحة وصريحة تصرخ صراخاً , عندما

تجد شخصاً يترك مثل هذه الأدلة القوية في ثبوتها , القوية في دلالتها وصراحتها ويذهب إلى المتشابهات كهذه , اعلم أنه مريض القلب , من الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم :{ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ } الشاهد من هذه الآية أنه قد وقع مثل هذا المحذور في الأمم الماضية , قال المصنف رحمه الله , الآن نجمع تلك الأدلة , ثبت عندنا بما تقدم أن اليهود والنصارى قد وقعوا في عبادة الأوثان , قال المصنف رحمه الله : " وعن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟ " أخرجاه " هذا الحديث دليلٌ من أدلة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم , أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أمرٍ واقعٍ بدقة متناهية , قال : " لتتبعن " أي أمرٌ هذا حاصل ولا بد , الاتباع , يضعون أقدامهم على خطوة نضع نحن أقدامنا على نفس الخطوة التي وضعوها , هكذا يكون الاتباع الدقيق , " لتتبعن سنن من كان قبلكم " السَّنَن : هي الطريق , والسُّنَن : هي الطُّرُق , والسَّنَن أصح هنا , هي طريقٌ واحد يسيرون عليه ونحن نسير خلفهم , وكلاهما صحيح , " حذو القذة بالقذة " القذة : ريش السهم , انظر دقة ريش السهم هذا فنحن سنتّبعهم في كل ما فعلوه , حتى انظر إلى ريش السهم , كم تكون متشابهة الريشة مع الريشة ؟ كذلك نحن , " حتى " يعني : لو وصل الأمر , " لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه " ضب : حيوان يحفر جحراً في الأرض , من أصعب الجحور , يعني حتى لو كان في فعلهم مشقة وصعوبة في الأمر ولا فائدة منه لحقناهم وتبعناهم على ذلك , هذا الواقع الحاصل تماماً ما نراه أمامنا , ومِن ذلك الشرك , فبما أن الشرك قد وقع بينهم وفيهم فالشرك واقع فينا ولا بدّ أيضاً , فمنّا من سيمضي على هذا الطريق وسيُشرك كما أشركوا , ومنا من لا يصل معه الأمر إلى الشرك لكن إذا قصّ قصّةً معوجّة قص مثله , إذا قصّوا قصّة معوجّة لشعرهم , لشعورهم , قص مثلهم , إذا حلقوا لحاهم حلق مثلهم , إذا أطلقوا لحاهم أطلق مثلهم , إذا خرجوا عراةً خرج

عارياً , وهكذا , هذا الحاصل اليوم والذي نراه أمامنا , اليوم اللحية أصبحت موضة , بالأمس كان إطلاق اللحية معيباً عند الكثيرين , وإذا رأوا شخصاً بلحية يُصبح إرهابياً , اليوم صارت اللحية شيئاً مستحسناً , صارت اللحية شيئاً مستحسناً , يطلقون الشباب الرُّعل الذين في الطرقات لحاهم , لماذا ؟ لأن الغرب فعل ذلك , شوف كيف !! " حذو القذّة بالقذّة " صارت الموضة الآن بإعفاء اللحية صار أبناء الشوارع والطرقات الذين لا يعرفون من دين الله شيئاً يطلقون لحاهم , لماذا يفعلون ذلك ؟ لأن الغرب صار عندهم هذا من الموضة , " حذو القذة بالقذة " , ما نراه عند الغرب يحصل عند المسلمين ولا بد , تسمع به في الغرب ثم تراه أمامك بعد فترة وجيزة , هذا من أدلة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم , أخبر بذلك تماماً ووقع كما أخبر عليه الصلاة والسلام , الشاهد أن الشرك وقع في اليهود والنصارى فهو واقع في هذه الأمة ولا بد , وقد وقع , وما زال يقع كل ما وقع فيهم , حتى لو وقع فيهم من أتى أمّه وقع في هذه الأمة من أتى أمّه , أسأل الله أن يسلمنا وإياكم ويرحمنا وإياكم برحمته .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : " ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليها عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً" ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: "وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من

أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى" هذا الحديث طويل وفيه فوائد كثيرة , الحديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان , ثوبان : مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم , والمقصود بالمولى هنا : العتيق , كان عبداً مملوكاً ثم أُعتِق , فيصير مولى , عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله زوى لي الأرض " يعني جمعها , جمعها وطواها حتى صار النبي صلى الله عليه وسلم يراها , والله على كل شيء قدير , قال " فرأيت مشارقها ومغاربها " رآها من المشرق ومن المغرب , " وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها " وقد بلغ , ملكه وصل إلى الناحية الغربية إلى المغرب والأندلس , ومن الناحية الشرقية وصل إلى الهند والسند , البلاد الشرقية من بعد إيران : الهند والباكستان وأفغانستان وما شابه من هذه الدول كلها وصل ملكه إلى هناك , " وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض " الأحمر : الذي هو الذهب , والأبيض : الفضة , وهذا عبارة عن أموال الفرس والروم , ففيه خبر من النبي صلى الله عليه وسلم أن الفرس ستُفتَح وأن بلاد الروم ستُفتَح وأن كنوزهما سترجع إلى المسلمين , وهذا ما حصل , وهذا دليل على صدق نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم , فما يُخبر به يأتي كما أخبر عليه الصلاة والسلام , لا يخرم منه شيء أبداً , " وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة بعامةٍ " سألت ربي يعني دعوته , وهذا من شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته , " ألا يهلكها بسنة بعامة " المراد بالسنة الجدب , قحط , يعني ألا يصيب الله سبحانه وتعالى بلاد المسلمين جميعاً بقحطٍ وجدبٍ فيهلك الناس , وقد أعطاه الله سبحانه وتعالى ذلك , لذلك من يوم أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ما حصل , " وأن لا يسلط عليها عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم " ألا يسلط الله عليهم عدوّهم من الكفّار , " فيستبيح بيضتهم " , البيضة التي هي حوزة المسلمين , يعني لا يستبيح بلادهم كلها وجماعتهم فيهلك المسلمون , وهذا من يوم بُعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليوم ما حصل ولن يحصل , ربّما تُحتلّ بعض بلاد الإسلام وترجع , يسيطر الكفرة على

بعض بلاد الإسلام , لكن لن يكون لهم القدرة على السيطرة على جميع بلاد الإسلام والقضاء على المسلمين أبداً , ولو اجتمع مَن بأقطارها , ولو اجتمع جميع كفار الأرض عليهم لن يستطيعوا أن يصلوا إلى ذلك , " وإن ربي قال يا محمد إذا قضيت قضاءاً فإنه لا يُردّ " إذاً الأمر المكتوب عند الله سبحانه وتعالى إذا كتبه وقضاه أن يقع , خلاص , لا يرد , لا يتغير," وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة " فأعطاه الله سبحانه وتعالى هذه والحمد لله " وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم " والحمد لله " ولو اجتمع عليهم من بأقطارها " يعني جميع الكفار لو اجتمعوا , الذين هم على وجه الأرض اليوم بكل ما عندهم من صواريخ ونووي ودبّابات وكل شيء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً , فليفعلوا , لن يستطيعوا , وهذا دليلٌ على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم , " حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا " إذاً هلاك هذه الأمة بماذا ؟ بأن يُسلَّطَ بعضهم على بعض , هلاكها بهذا , وأنتم ترون اليوم , هذا الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم واقع أمامكم , انظروا إلى الحال في ليبيا , انظروا إلى الحال في مصر , انظروا إلى الحال في سوريا , وإن كان يوجد قتال بين المسلمين والكفار لكن أيضاً هناك قتال بين المسلمين بعضهم في بعض , يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً , ابتلانا الله بجماعات التكفير , تكفّر المسلمين وتقتلهم وتسبيهم , هكذا يكون قتلُ بعضهم بعضاً , يستبيح بعضهم دماء بعض وأموال بعض وأعراض بعض , يؤدي إلى هذا , هذا الواقع , كما أخبر عليه الصلاة والسلام , " ورواه البَرقاني في صحيحه " يعني هذا الحديث , البرقاني عنده مستخرج على صحيح مسلم , روى هذا الحديث وزاد فيه " وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين " مَن الذي يهلك الأمم ؟ مَن يأتيها يتكلم باسم الإسلام , من أتاها يتكلم باسم الدين , الأئمة المضلين الذين يُضلون عباد الله سبحانه وتعالى عن طريق الحق وعن الهداية , تجده إماماً لكنه إمامٌ في الضلال كالقرضاوي ومن شابه , هؤلاء يحرفون بالناس عن جادّة الصواب , هؤلاء أشد خطراً من

الكافر , الكافر عندما يأتي ويتكلم ما أحد يبالي به لأنه كافر , يأتيك يقول لك الإسلام ليس هكذا , الإسلام هكذا , نقول أنت كافر , ما أدراك بالإسلام ؟!! أمره سهل , لكن المصيبة عندما يأتيك من هو بثوب الإسلام بل ربما بثوب السنة أيضاً ويتكلم باسم السنة , هذا أشد خطراً من أولئك , لماذا ؟ لأن الاغترار بهم أعظم , فلذلك تجد بعض علماء السنة الذين عندهم حُرقة على الدين يشنّعون على هؤلاء ويحذّرون منهم أكثر من غيرهم , لأن الخطر مِن قِبَلهم أعظم على عقائد المسلمين وعلى دينهم , " وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة " كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم , في حديث حذيفة : لما سأل عمر حذيفة عن الفتنة الكبرى التي تموج كموج البحر , قال : [مالك ولها , بينك وبينها باب] قال : [أيُفتَح أم يُكسَر ؟] قال : [يُكسَر] قال : [إذاً لا يُغلَق أبداً] لا يُغلق أبداً , وكان الباب عمر , فبعد أن قُتل عمر دبّ السيف في هذه الأمة ولن يرفع إلى قيام الساعة كما أخبر عليه الصلاة والسلام , كلها أدلة تدل على نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم , قال :" ولا تقوم الساعة " هذا الشاهد عندنا , نركّز عليه , قال :" ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام " يعني جماعات " من أمتي الأوثان " إذاً يقع الشرك في هذه الأمة ولا ما يقع ؟ أدلة واضحة وصريحة , " وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون " ثلاثين كذّاب يدعي أنه نبي من عند الله سبحانه وتعالى , وقد خرج منهم الكثير , من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وإلى بعد هذا اليوم , وما زال يخرج , قبل أيام خارج في مصر واحد جديد , " كلهم يزعم أنه نبي , وأنا خاتم النبيين " أنا آخرهم , خاتم النهاية يعني , انتهى , خاتم , " وأنا خاتم النبيين " يعني آخرهم , " لا نبي بعدي " تصريح واضح , " ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة " مع كل ما يحصل من ضلال ومن ضياع في هذه الأمة إلا أن هذه الطائفة تبقى موجودة في هذه الأمة , من هم هؤلاء ؟ هؤلاء أهل العلم من أهل السنة الذين يقدّمون كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهج السلف الصالح على كل شيء , ولا يبالون بأي

شيء إلا نصرة هذا الدين ونصرة هذا المنهج بالاعتدال , ربما يكون بعض الناس عندهم إخلاص في هذا الأمر لكن عندهم غلو , إفراط أو تفريط , فيُفسدون , أهل الحق أهل اعتدال , تجدهم يدعون إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى منهج السلف الصالح باعتدال , كما كان عليه علماؤنا , الأكابر , هذه هي الطائفة المنصورة , العلماء هؤلاء ومن اتبعهم هم الطائفة المنصورة , ينصرهم الله , فهم يجاهدون بالكلمة وباللسان , وإذا دعت الحاجة بالسيف أيضاً , حتى ينصروا الحق , ويبينوا للناس الهدى من الضلال , هذا الذي عليهم , وهذا ما يفعلونه , وهو واجبهم , وتبقى كلمتهم لها قوتها في نفوس الناس , وهذا الواقع الذي نشاهده , " لا يضرهم من خذلهم " من ترك نصرتهم لا يضره , " مخذّل , يترك نصرة أهل الحق , وإذا وصل به الحال إلى معاداتهم ومناصرة أهل الباطل فهو من أهل الباطل , أما المخذّل الذي يترك نصرة أهل الحق وهو قادرٌ على ذلك , ولكنه لا يضرّهم شيئاً , " حتى يأتي أمر الله " وهي الريح الطيبة التي تكون في آخر الزمن بعد خروج الدجال وبعد خروج المهدي وبعد خروج عيسى عليه السلام تأتي ريحٌ طيبة فتأخذ نفس كل مسلم ولا يبقى على وجه الأرض إلا شرار أهلها وعليهم تقوم الساعة كما جاءت في الأخبار , الشاهد : قوله : " ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين " ويصبح مشركاً مثله , " وحتى تعبد فئامٌ من أمتي الأوثان " إذاً هذا نصٌّ صريح واضح في أن الشرك يقع في هذه الأمة , فخاب وخسر أولئك الدعاة الكَذَبة الذين يعبدون القبور ويقولون نحن لا نعبدهم , كما قال المشركون : { ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى } , هؤلاء يعبدونهم ويقولون نحن لا نعبدهم , كيف هذا ؟ ما فهموا حتى العبادة أيش هي , الله المستعان , أبو جهل أفقه منهم في هذه القضايا , والله أبو جهل أفهم منهم , يعرف أبو جهل معنى هذا الكلام , ونسأل الله العافية من أناسٍ أبو جهل أفهم منهم وأفقه منهم في هذه المسائل , نكتفي بهذا القدر وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

الدرس رقم 16

تفريغ الدرس السادس عشر :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , أما بعد : فهذا المجلس السادس عشر من مجالس شرح كتاب التوحيد , وصلنا عند الباب الثالث وعشرين , قال المؤلف رحمه الله :" باب ما جاء في السحر " , السحر , باب ما جاء : أي من أدلة تبيّن حكم السحر والساحر , قال المؤلف :" باب ما جاء في السحر " , السحر في اللغة : هو عبارة عما خفي ولطف سببه , سببه كان لطيفاً دقيقاً , ويخفى على الناس , لا يظهر , هذا من حيث اللغة , أما من الناحية الشرعية فالسحر هو عزائم ورقى كما عرّفه أبو محمد المقدسي , عزائمٌ ورقى وعُقد تؤثّر في القلوب والأبدان , فيُمرِض ويَقتل , ويفرّق بين المرء وزوجه , فله تأثير , له تأثير حقيقي على الإنسان , تتمة كلام أبي محمد : قال الله تعالى :{ فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه } , الذي يتعلم السحر يتعلم هذا الأمر , التفريق بين المرء وزوجه , وقال سبحانه :{ ومن شر النفاثات في العقد } , تعقد العقدة , حبل , خيط , شعر , أشياء مثل هذي , يعقدون العقدة وينفثون عليها نفث ويتكلمون بكلمات يتكون منها السحر , قال : يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن , النفث الذي هو النفخ مع شيء من الريق , ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه , لا شك أن السحر حقيقة , وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم سُحِر , وفُكّ عنه السحر , جاءت الملائكة وفكّت السحر عنه بالمعوّذات , السحر عرفنا ما هو , أما حكمه فالسحر كفر , السحر كفر , بدليل قول الله تبارك وتعالى :{ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر } فالسحر كفر , قال الله تبارك وتعالى : { واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا

تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون } , لذلك المؤلف قال رحمه الله : " وقول الله تعالى :{ ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق } " يريد أن يبيّن بهذه الآية حكم السحر , علمَ أهل الكتاب أن من يأخذ بالسحر ويتعلّمه لا خلاق له في الآخرة , يعني لا نصيب له في الآخرة لأنه يكفر بذلك , قال القرطبي رحمه الله في تفسيره :[قوله تعالى :{ وما كفر سليمان } تبرئة مِنَ اللَّهِ لِسُلَيْمَانَ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ فِي الْآيَةِ أَنَّ أَحَدًا نَسَبَهُ إِلَى الْكُفْرِ - ما في أحد قال والله سليمان كفر فلماذا إذاً جاءت هذه الآية وقال وما كفر سليمان , ما في أحد رماه بهذا , قال : - وَلَكِنَّ الْيَهُودَ نَسَبَتْهُ إِلَى السِّحْرِ - فكانت النسبة إلى ماذا ؟ إلى السحر لا إلى الكفر , مع ذلك ماذا قال ربنا تبارك وتعالى , قال : وما كفر سليمان , إذاً السحر ماذا ؟ السحر كفر , قال : - وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ السِّحْرُ كُفْرًا صَارَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ نَسَبَهُ إِلَى الْكُفْرِ. ثُمَّ قَالَ - رحمه الله -:" وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا" فَأَثْبَتَ كُفْرَهُمْ بتعليم السحر] هذا كلام القرطبي رحمه الله في تفسيره , وقال أيضاً :[وقال بعض العلماء : إن قال أهل الصناعة إن السحر لا يتم إلا مع الكفر والاستكبار أو تعظيم الشيطان , فالسحر إذاً دالٌّ على الكفر على هذا التقدير , والله تعالى أعلم] , وقال الجصاص في " أحكام القرآن " : [وقولهما : { فلا تكفر } يدل على أن عمل السحر كفر] , وقال أيضاً أبو بكر بن العربي في " أحكام القرآن " :[وما كفر سليمان قطُّ ولا سَحَر ولكن الشياطين كفروا بسحرهم وأنهم يعلّمونه الناس , ومعتقِد الكفر كافرٌ وقائله كافرٌ ومعلّمه كافر] , وقال أيضاً :[وقد أوردْنا في كتاب المشكلَين القول في السحر وحقيقته ومنتهى العمل به على وجهٍ يشفي الغليل , وبيّنّا أن من أقسامه فعلُ ما يُفرَّق به بين المرء وزوجه ومنه ما يجمع بين المرء وزوجه ويسمى التِّوَلة وكلاهما كفر , والكلّ حرامٌ كفرٌ قاله مالك] وهو مذهب الإمام أحمد وأبي حنيفة رحمهم الله جميعاً , أما الإمام الشافعي فعنده تفصيل , وقال

أبو الحسن الأشعري في " مقالات الإسلاميّين " عند ذكره لما عليه أصحاب الحديث أهل السنة , قال : [ويصدّقون بأن في الدنيا سَحَرَة وأن الساحر كافر كما قال الله تعالى , وأن السحر كائنٌ موجودٌ في الدنيا] ونقلَه عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله , هذا كله يدل على أن الآية تدل على كفر السحرة , والأمر واضح , نعم . أما الشافعي رحمه الله فتفصيله يقول : إذا تَعَلَّم السحر قلنا له صِف لنا سحرك , فإن وصف ما يوجب الكفر , مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرّب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يُلتمَس منها فهو كافر , وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كفر , انتهى , من اعتقد إباحة السحر يعني , كفر , لكن السحر بالمعنى الذي ذكره ابن قدامة رحمه الله هذا لا يكون إلا كفراً , أما بالمعنى الذي ذكره الشافعي رحمه الله , المعنى الثاني الذي لا يكفر فيه فهذا ليس بسحر , فالسحر حقيقةً لا يمكن للساحر أن يسحر أو أن يتعلم السحر إلا بالكفر , والله أعلم , على كلٍّ , الآية واضحة { وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر } , فالساحر كافرٌ , والسحر كفرٌ , هذا هو الصحيح وهو الذي عليه المحقّقون من أهل العلم , قال المصنف رحمه الله تعالى :" وقوله :{ يؤمنون بالجبت والطاغوت } " هذه الآية تقدّمت وذكرنا أن السحر من الجبت , قد ذكره المصنف رحمه الله , قال المصنف رحمه الله :" قال عمر : الجبت السحر والطاغوت الشيطان " الشيطان هو سبب الطغيان , لذلك قال عمر : الطاغوت الشيطان , يوسوس للعبد ويغره بنفسه حتى يطغى , قال المصنف رحمه الله تعالى :" وقال جابر : الطواغيت كُهّان " يعني أن الكهان من الطواغيت , " كان ينزل عليهم الشيطان في كل حيٍّ واحد " يعني تنزل عليهم الشياطين وتوسوس لهم , في كل حي من أحياء العرب , في قبائلها , يأتي لشخصٍ منهم من كهّانهم الذين يدّعون معرفة الغيب , يأتيه الشيطان ويوسوس لهم ويتحاكم الناس إليه في الجاهلية , هذا كان حالهم , نعم .

قال المؤلف رحمه الله تعالى :" وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"اجتنبوا السبع الموبقات" " , الموبقات يعني المهلكات , سبع أشياء مُهلكة من وقع فيها هلك إلا أن يرحمه الله برحمته , يستغفر ويتوب ويرجع إلى الله , " قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: "الشرك بالله " هذا هلاكه إذا لقي الله بذلك , هلاكه هلاك تام , الشرك أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك وقد تقدّم ، " والسحر " وهذا الشاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل السحر من الموبقات , من المهلكات , وقد تقدّم تفسيره، " وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق " سفك الدم سواء كانت دم المسلم , إن كان المقصود دم المسلم أو دم الذمي أو المعاهَد أو المستأمَن , كل هؤلاء يدخلون , بما أن قتله ليس بحق , وما يفعله الخوارج من قتل المسلمين والمعاهدين والذمّيّين , كل هذا بغير حق , وإن تأوّلوا , تأويلاتهم هذه لا تنفعهم , لأنهم يتّبعون أهواءهم , أعرضوا عن كلام العلماء وكلام السلف واتّبعوا أهواءهم ، " وأكل الربا " ، الربا أبوابه كثيرة , منه ربا القروض وربا البيوع , ومحلّه كتب الفقه , آكل الربا محارب لله سبحانه وتعالى ولرسوله { فأذنوا بحرب من الله ورسوله } فأكل الربا من الذنوب العظيمة , نسأل الله السلامة والعافية , " وأكل مال اليتيم " ، اليتيم الذي لم يبلغ من الذكر والأنثى ومات أبوه , مات أبوه ولم يبلغ , أما إذا ماتت أمه , هذا لا يسمّى يتيماً , وإذا مات أبوه وهو بالغ , أو بلغ بعد موت أبيه , هذا لا يسمى يتيماً , اليتيم الذي لم يبلغ ومات أبوه , بهذين القيدين , هذا يسمى يتيماً أما غيره فليس بيتيم , وأكل مال اليتيم , أكل ماله , هذا ضعيف , يحتاج إلى من يقوم على ماله , ولمّا كان أكله سهلاً , ومن يقوم على ماله ربّما يأكله من غير خوف الله سبحانه وتعالى , هدّد الله سبحانه وتعالى فاعل ذلك وجعل ذنبه من أعظم الذنوب ليحفظ مال اليتيم , " والتولي يوم الزحف " ، الفرار في المعارك , أن تهرب , الهروب هنا لا يجوز في المعركة , هذا من الموبقات , من المهلكات , إلا متحيّزاً إلى فئة , عندك - يعني - تريد أن تذهب إلى جماعة يعينونك , عندك خطة تريد أن تفعلها , ما في بأس , وأيضاً إذا كان العدو أكثر من الضِّعف , " وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" , رمي المؤمنات

العفيفات بالزنا , هذا أيضاً من كبائر الذنوب , المهم , الشاهد في الموضوع هو قوله :" والسحر " , اجتنبوا السبع الموبقات , ومنها السحر , فهذا يبين خطورة السحر وأنه - يعني - من المهلكات , بل هو من الكفر كما تقدّم معنا , الآن عرَفنا السحر , وعرفنا حكم السحر وحكم الساحر في الآخرة , وفي الدنيا ما هو حكمه أو حدّه الذي يقيمه عليه ولي الأمر , قال المصنف رحمه الله تعالى :" وعن جندب مرفوعاً " وعن جندب مرفوعاً يعني يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم , جندب بن عبد الله البَجلي صحابي , قال :" حد الساحر ضربه بالسيف " , " حد الساحر ضربه بالسيف " فالساحر كافر يُقتل ردّة , " رواه الترمذي وقال الصحيح أنه موقوف , يعني الصحيح أنه من قول جندب لا من قول النبي صلى الله عليه وسلم , وجندب صحابي , قال المصنّف رحمه الله تعالى :" وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبْدة قال: "كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر " وهذا عن عمر بن الخطاب , وهو أحد الخلفاء الراشدين , يأمر بقتل السحرة , والأمر بقتل السحرة لعِظَم شرّهم وفسادهم في المجتمعات , لهم فسادٌ عظيمٌ وعريضٌ , ولا يمكن القضاء على فسادهم إلا بقتلهم , لذلك كان الحد الشرعي فيهم القتل , وهذا كما سيأتي ثابت عن مجموعة من الصحابة ولا يُعرف لهم مخالف منهم , من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم , قال المصنف رحمه الله :" وصح عن حفصة " , حفصة بنت عمر بن الخطاب , " أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقُتلت , وكذا صحّ عن جندب " , قال المصنف رحمه الله تعالى :" قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم " , يعني هذا ثابت , صحّ قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم , عن عمر وعن حفصة وعن جندب , إذاً حد الساحر ضربةٌ بالسيف , إذاً حده أن يُقتَل , لكن من يفعل ذلك ؟ يفعله ولاة الأمر , لأن الحدود إذا أقامها غير ولاة الأمور أدّت إلى فوضى , يأتي الشخص ويقتل الآخر ثم يقول : والله كان ساحراً أو سبّ الرب أو سبّ الدين , يفتري عليه , يقتله كي يتخلص منه , صارت

الأمور فوضى , يقطع يده ويقول : رأيته يسرق , لا يصلح , تصبح الأمور فوضى , أو ربّما يقتل فعلاً ويذهب شخص آخر يقتله ويقول قتلت القاتل , فتقوم عشيرة هذا لتطالب بدمه وتقوم عشيرة هذا لتدافع عنه , فتدبّ الفوضى بين المسلمين , لذلك جُعِلت الحدود لولاة الأمور فقط , الذين عندهم المُكنة والقدرة على ضبط الناس وعلى تأديبهم .

قال المؤلف – رحمه الله - : باب بيان شيء من أنواع السحر , السحر له أنواع مختلفة , وسيذكر لنا المؤلف أنواع هذي ... أنواع السحر , حتى نحذرها .. قال - رحمه الله - :" قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر , حدثنا عوف , حدثنا حيان بن العلاء , حدثنا قطنُ بن قبيصة , عن أبيه , أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن العيافة , والطَّرْقَ , والطِّيرة , من الجبت))

يعني : من السحر , ثلاث أشياء ذكره وذكر أنها من السحر : العيافة , والطرق , والطيرة ... فسَّرها أحد رواة الحديث , فقال : قال عوف : ((العيافة : زجر الطير))

يعني : تأخذ الطير وتطيّره .. وكانوا يتفاءلون بها ويتشاءمون بها , فجُعِلَت من السحر , ((والطرق : الخطُّ يُخطُّ في الأرض))

يعني : يريدون من وراء ذلك : التَّكهُّن , و((الجبت)) : قال الحسن : ((رنة الشيطان)) إسناده جيد ... ولأبي داود والنسائي , وابن حبان في صحيحه المسند منه ,

يعني: المرفوع فقط ... من الجبت , يعني : من السحر ... هذا الحديث ضعيف لا يصح .. قال المصنف – رحمه الله - : وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من اقتبس شعبةً من النجوم , فقد اقتبس شعبة من السحر , زاد ما زاد)) رواه أبو داود وإسناده صحيح ... من اقتبس , يعني : من أخذ , شيئا من ... شعبة : طائفة

(جزء يعني) ((من اقتبس شعبة من النجوم)) يعني : تعلم شيئا من علم النجوم ... فقد اقتبس شعبة من السحر ,يعني : قد أخذ شيئاً من علم السحر ((زاد ما زاد)) يعني : كلّما زاد في تعلُّم علم النجوم زاد في تعلُّم علم السحر , وزاد في الإثم ..وهذه ,المقصود به : علم النجوم الذي كان في الجاهلية , يستدلون بحركة النجوم , على أشياء تحدثُ في الأرض (نوع من أنواع الكهانة , والتأثير و التعلُّق بالشياطين)أمّا علم النجوم الأخر وهو علم التسيير , وسيأتي - إن شاء الله - الكلام فيه , كأن تستدل بالنجوم على القبلة - مثلا - , أو على الطريق فهذا جائز , سيأتي - إن شاء الله - التفصيل في ذلك ... الحديث هذا كلَّه ضعيف الذي ذكره هنا ... قال المصنف - رحمه الله - : وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ((من عقد عقدة , ثم نفث فيها , فقد سحر , ومن سحر , فقد أشرك , ومن تعلق شيئا وكِل إليه)) وهذا الحديث - أيضا - ضعيف ... والمقصود بذلك : انك إذا عقدت عقدة , ونفثت (نفخت نفخ , مع شيء من الريق) فقد سحرت ,والسحر شركٌ ((ومن تعلَّق شيئا وكِل إليه)) وهذا قد تقدم شرحه فيما مضى , وكما ذكرنا هذا الحديث ضعيف واكن هذا العقد والنفث والتمتمة ببعض أنواع الكلام , هو نوع من أنواع السحر ((من شرِّ النَّفَّاثات في العقد)) - كما جاء في الآية - قال المصنف - رحمه الله - : وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ألا أنبئكم ما العضْه ؟ هي : النميمة ، القالة بين الناس)) رواه مسلم

ألا أنبئكم : أي ألا أخبركم ؟ ما العضْهُ ؟ فسّرها نفسها (الكلمة) قال : هي النميمة ... والنميمة : هي المشي بين الناس بنقل الكلام للإفساد .. تنقل الكلام بين الناس للإفساد , تذهب إلى زيد تقول له : عمرو يقول فيك كذا وكذا .. (من أنواع المَذَامِّ) كي توقع بينهم , هذا ذنب عظيم وهو من الكبائر , لإن له إفساد عظيم ((القالة بين الناس)) هذه هي النميمة : القالة بين الناس , تنقل الأقوال ما بين الناس , وهذه في الغالب لا تنفك عن الكذب , وعن البهتان , ولشدِّة إفساد النَّمَّام ,

عُدَّ فعله مثل فعل السحر لإنه يفسد كما يفسد السحر , بل ربما يكون إفساده أعظم , وأنتم تعرفون ما يحدث إذا مشى شخص بالنميمة بين الناس , يفسد إفسادا عظيما .. والنميمة - كما ذكرنا - كبيرة من كبائر الذنوب , ويدل على ذلك حديث الذي في الصحيح : عندما مرَّ النبيُّ صلّى الله عليه وسلم بقبرين قال : ((إنهما يُعذبان وما يعذبان في كبيرة , أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة , وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول)) إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير , يعني : الأمر الذي يعذبان عليه كان من السهل البعد عنه والتخلص منه فهما يعذبان عليه ... قال المصنف - رحمه الله - : ولهما عن ابن عمر (الظاهر أنه يعني ب (لهما) للبخاري ومسلم , الحديث عند البخاري) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن من البيان لسحرا)) يريد المؤلف - من ذلك - أن يدخل البيان في نوع من أنواع السحر , لذلك ذكره هنا , والمقصود بالبيان : البلاغة والفصاحة في الكلام , وقد اختلف العلماء في هذا الحديث أهو ذمٌ للبيان ؟ أم مدحٌ له ؟ يعني : كأن تأتي تقول : والله فلان يتكلم بكلام مثل السحر ؛ يسحرك من جماله , وورونقه (هذا من حمله على المدح) , ومن حمله على الذم ...قال : شبّه بالسحر ((إن من البيان لسحرا)) وذلك بأنّ الشخص يكون الحق عليه , ولبلاغته وفصاحته يقلب الأمر إلى صاحبه - كما قال أحد المبتدعة , قال : والله إني قادر أن أقلب الحق باطلا , والباطل حقا (عنده لسان) فتحذر من أمثال هؤلاء ... وللأسف ؛ كثير من الجهال يغتر بأمثال هؤلاء (الذين أوتوا بيانا) فيسمع كلامه المنمّق والمزوّق , فيغتر به , ويظن أن الرجل على حق , ولا يدري أنه يضع السُّم في العسل ... الشاهد بعض العلماء قال : أن هذا الحديث ((إن من البيان لسحرا)) مذمّة للبيان , الذي يستغله صاحبه في الباطل فلأن السحر مذموم صار البيان مذموما ... والبعض قال : لا .. قال لا .. هو المقصود به المدح للبيان .. لكن ؛ لا شكّ أنه إذا حُمل على المدح فالمقصود بالبيان : الذي يستعمل في طاعة الله , وفي الخير .. لا في الشرّ وقلب الحق باطلا ... لكن سوقُ المؤلف له يدل على أنه

حمله على الذم , فالمقصود أن البيان هذا , يعمل عمل السحر , فيجعل الحق في قالب الباطل , هذا ما أراده هنا , والله أعلم .. لكن - لا شك - هنا , لا يكفر صاحب البيان كما يكفر الساحر ... لا , المقصود من ذلك كله بيان خطر هذه الأشاء (خطر النميمة , خطر البيان الذي يحصل فيع قلب الحقائق) هذا المقصود لذلك شبهه بالسحر (لما له من مفاسد وإفساد , شبهه بالسحر) أما أن يقال : يأخذ نفس حكم الساحر ؟ لا طبعا , ليس هذا المقصود ... والله أعلم .. نكتفي بهذا القدر اليوم ... وفقنا الله وإياكم لطاعته .

الدرس رقم 17

تفريغ الدرس السابع عشر :

الحمد الله ,والصلاة والسلام على رسول الله ... أما بعد :

هذا المجلس السابع عشر من مجالس شرح كتاب التوحيد, وصلنا عند الباب الخامس والعشرين : باب ما جاء في الكهان ونحوهم

باب ما جاء : من أدلة في الكهان ونحوهم - ممن يدعي معرفة الأمور الغيبية - الكاهن , و المنجم , و الرّمّال , و غيرهم ... كما سيأتي - إن شاء الله - كل هؤلاء يجتمعون في أدعاء معرفة الأمور الغيبية , و سيأتي تعريف الكاهن والعرّاف وغيرهم من كلام المؤلف - رحمة الله تعالى - المهم في - الآية - أن نعرف أنَّ الكاهن هو من يدعي معرفة الأمور الغيبية , أمور الغيب لا يعلُمها إلا الله - سبحانه و تعالى - كما قال الله - سبحانه و تعالى - في كتابه الكريم : ((وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو)) وقال - تبارك وتعالى - : ((عالم الغيب فلا يظهر على غيبيه أحدا إلا من ارتض من رسول ...)) وقال الله - سبحانه و تعالى - أيضا : ((قل لا يعلم من في السماوات و الأرض الغيب إلا الله)) الأمور الغيبية لا يعلمها إلا رب العالمين - تبارك وتعالى - , وقد نصت هذه الآيات بدلالة واضحة لا خفاء فيها على ذلك فمن ادّعى معرفة الأمور الغيبية , فقد كذب بهذه الآيات , ومن صدّقه كذلك كذّب بهذه الآيات , ومن ادعى معرفة الأمور الغيبية فقد جعل نفسه نداً لله - تبارك وتعالى - في ذلك , فلذلك ؛ الكاهن و العّراف و المنجم هؤلاء كفرة ... أي نعم ... وكما ذكرنا بأن معرفة الأمور الغيبية خاصٌ بالله - سبحانه وتعالى - فمن نازعه شيء من ذلك , وادّعى معرفة الأمور الغيبية فقد جعل نفسه نداً لله - تبارك وتعالى - , قال المصنف - رحمه الله وتعالى - روى مسلم في صحيحه , عن بعض النبي صلى الله عليه وسلم , عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من أتى عرافاً فسأله عن شيء

فصدقه بما يقول , لم تقبل له صلاةٌ أربعين يوماً)) من أتى عرَاف : بحث عن عرَافٍ وذهب إليه .. ذهبت له ناقة , أو سُرقت منه سيارة , أو ضاع له ولد ... يذهبُ إلى أين ؟ إلى العرَاف (الذي يدعي معرفة الأمور الغيبية , كي يرشده إلى محلها) هؤلاء العرَافون والكُهَان يتعاملون مع الجنِّ , إذا كان أ مراً مفقوداً , ربَّما الجنّ يعرف مكانه , فيذكره للكاهن أو للعرَّاف , فالكاهن والعراف يخبر مطيعه بذلك , فيذهب ... وقبل ذلك ـ طبعاً ـ يقرِّب قرباناً (إما يذبح شاةً , يقول له : اذهب واذبح شاة , أو اذبح ديكاً , أو ادفع مالاً قدرِ كذا) .. يقرِّب قرباناً للجنّ , فيقع الشرك بأنواعه , نسأل الله السلامة والعافية ... وهذا واقع من الناس كثيراً , رأيناه و سمعناه من الناس , يفعلون ذلك , وهذا من الشرك بالله ـ سبحانه وتعالى ـ نسأل الله العافية والسلامة ... يقول ـ هنا ـ المؤلف , ذكر في صحيح مسلم : من أتى عرافاً , من جاءه فسأله عن شيء منفي هذا الحديث الأمور التي يريد أن يعرفها , من الأمور الغيبية ... قال : ((فصَّدقه بما يقول)) هذه الزيادة في هذا الحديث , زيادة مقحمة , ليست منه هذه , هذه الزيادة (فصَّدقه بما يقول) ليست في صحيح مسلم .. المؤلف يذكر الحديث في صحيح مسلم وخذه الزيادة ليست موجودة في صحيح مسلم ... في صحيح مسلم : ((من أتى عرافاً , فسأله عن شيء , لم تقبل له صلاة أربعين يوماً)) وهكذا تستقيم الأحاديث ـعلى ما سيأتي إن شاء الله ـ فمن أتى العرَّاف وسأله مجرد سؤال ـ حتى و إن لم يصّدقه ـ لم تقبل له صلاة أربعين يوماً , ومعنى لا تقبل له صلاة أربعين يوماً : أنه لا يؤجر عليها , ويأثم على فعله ذلك , لكنه لا بدَّ أن يصلِّي , وإذا صلَّى سقط عنه الطلب , هذا لا بدَّ منه بإجماع العلماء ـ كما نقل النووي رحمه الله ـ قال : ((العلماء متَّفقون على أنه لا يلزم من أتى العرَّاف إعادة الصلاة أربعين ليلة , لكنه لا يؤجر على ذلك , ويأثم على فعله)) فهذه مصيبة ؛ أنْ لا يُقبل له صلاة أربعين يوماً .. مشكلة , فهذا يدلُّ ـ بارك الله فيكم ـ على عدم جواز إتيان العرَّاف , حتَّى لمجرد السؤال المحض , الذي ليس معه تصديق , أما إذا أتى العرّاف

فصَّدقه , فالمصيبةُ أعظم , لذلك قال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ : وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من أتى كاهناً فصَّدقه بما يقول ؛ فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)) رواه أبو داوود .

من أتى كاهناً يدَّعي معرفة الأمور الغيبية (من جاءه لذلك) فصدّقه بما يقول (- هنا - هذه الزيادة تأتي في هذا الحديث) لأنَّ -هنا - ما ترتب على ذلك يختلف عمّا ترتّب عليه في الحديث السابق , فهناك قال : "من أتى ..." و هنا قال : (... فصدقه) هناك كانت العقوبة أنه لا تقبل له صلاة أربعين يوماً , هنا : كفر بما أُنزل على محمد ... فمن ذلك نستنتج : أن مجرد السؤال مع غير التصديق ... لا تقبل له صلاة أربعين يوماً ... لكن إذا حصل التصديق , قد كفر بما أُنزل على محمد , يعني : مكذب بكتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ الذي فيه النصوص التي ذكرنا : أن الأمور الغيبية لا يعلمها إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ ... فالآيات واضحات ... فمن أتى الكاهن و صدَّقه فقد كفر ... فقد كذب بهذه الآيات , و لم يصَّدق بها ... والصحيح من أقوال اهل العلم : أنَّ منْ صدَّق الكاهن كفر , (إذا كان يعلم هذه الآيات ويعلم الحكم الشرعي) فهذا يكفر , يخرج من ملِّة الإسلام , لأنه مكذّب لكتاب ربه ـ تبارك وتعالى ـ , عداك عن أنه إذا قرب قرباناً مع الكاهن , هذا يُشرك شركاً آخر في شرك في عبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وتكذيبٌ بكتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ فيكون قد جمع بين طامَّتين .

قال المصنف - رحمه الله - : وللأربعة (المقصود بالأربعة : سنن أبي داود , وسنن الترمذّي , وسنن النسائي , وسنن ابن ماجة و هذه الستة , فالستة : البخاري , ومسلم ٫ و أبو داود , والترمذي , والنسائي , وابن ماجة ... هذه تسمى الكتب الستة , و الأربعة منها : أبو داود , و الترمذي , والنسائي , ابن ماجة , و ترتيبها -من حيث الأصّحّية - : النسائي , و أبو داود , والترمذي , و ابن ماجه ... النسائي أصح هذه الكتب الأربعة ,وليس كلُّ ما فيها صحيح , فلم يشترط واحد من الأربعة الصحة في

كتابة , لكن النسائي كان أشد انتقاء من غيره , وأما البخاري ومسلم , فقد اشترطوا الصحة , فما في كتابيهما صحيح على خلاف يسير في بعض الأحاديث القليلة ... أي نعم ... فالمقصود بالأربعة -هنا - : ما ذكرناه " والحاكم " (في المستدرك) , الحاكم له كتاب اسمه : كتاب المستدرك , وسمي مستدركاً لأنه استدرك على البخاري ومسلم أحاديث لم يخرّج لها في صحيحهما , ويدعي الحاكم أنها على شرطهما , ويخرجها في كتابه هذا , يقول : هي على نفس شرط البخاري و مسلم , كان ينبغي عليهما أن يخرجاها , بناء على مذهبه من أن البخاري و مسلم اشترطا أن يُخرجا جميع الأحاديث الصحيحة التي على شرطهما , و كلامة غير صحيح ... لا في ... من حيث شرط البخاري ومسلم (لأنه لم يشترط هذا الشرط) و لا ما يضعه في كتابه - أصلاً - هو يكون على شرطهما غالباً " على شرطهما " هذا هو ... هذا قوله ودندنته , دائماً بهذه الطريقه ... لكنْ , هذا لا يسلّم للحاكم فأوهامه كثيرة في كتابه ... على كل حال , هذا موضوع حديثي ... عن " عن أبي هريرة " لكنْ , ليست موجودة عندي في المتن ... " من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه , بما يقول ؛ فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم " يعني هنا , قد رويت بالشدة " من أتى كاهناً أو عرفاً ... " وكلاهما ينطبق عليهما ادعاء معرفة الأمور الغيبية , و سيأتي تعريفهم , ويأتي - أيضاً - الفصل بين الكاهن والعرف - بإذن الله تعالى - الشاهد من هذا كلّه أنَّ إتيان الكُهان أمره عظيم , مخالف لشرع الله , إما أن يكون ناقصاً لأصل التوحيد , أو لكماله , على التفصيل الذي ذكرنا ... قال المصنف - رحمه الله تعالى - : " و لأبي يعلى بسند جيد " (لأبي يعلى , يعني : صاحب المسند , له مسند (مسند أبي يعلى) وله مسندان هو : كبير و وصغير , مطبوع بين أيدينا أحدهما) " بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً " (يعني : من كلام ابن مسعود , وليس مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسام) ... نعم

قال المصنف - رحمه الله- : وعن عمران بن حصين مرفوعا : " ليس منا : من تطَّير

أو تُطير له , أو تكهن أو تُكهن له , أو سَحر أو سُحر له , ومن أتى كاهناً فصدقة بما يقول فقد كفر بما أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم " رواه البزار بإسناد جيد ... وراه الطبراني بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : " ومن أتى كاهناً ..." إلى آخره ... " من أتى كاهناً فصدقه بما يقول ..." إلى آخره , قد تقدم شرحه .. أما قوله : " ليس منا " فهذه تدل على الوعيد الشديد ويدل على أن هذا العمل من الأمور العظيمة , وكان السلف لا يحبون تفسيرها , ويتركونها كما هي , كي يبقى لها وقع في النفوس , لأنها إذا فسرت ربما تفسر بأمر يهون وقعها في نفوس الناس , فلذلك ما كان السلف يحبون تفسيرها , فيتركونها كما هي ... " ليس منا من تطير " من تطير , يعني : تشاءم , و ذلك بفعلٍ... كانوا في القديم يأخذون الطير فيطيرونه , فإذا طار يميناً تفاءلوا خيراً , و إذا طار شمالاً تشاءموا شراً , فالذي يُمسكَ الطيرَ _ هذا _ ويطيره , هذا يتطيرُ للناس , وينظرُ لهم فألهم : هذا ليس منا (من تطير) : ((أو تطيرَ له)) أي : من فُعل له ذلك , يأتي الشخص إلى آخر , ويقول له : افعل لي هذا , فيفعله له , فليس منا لا هذا : لا الفاعل , ولا المفعول له... ((أو تَكَهَّنَّ أو تُكِهِّنَّ له)) كذلك نفس الشيء , تَكَهَّنَّ , يعني : الكاهن , الذي يعمل الكهانة , ((وتُكُهِّنَّ له)) : الذي يسأل الكاهن , ((أو سَحَرَ أو سُحر له)) السَّحرة الذي يسحر الذي هو الساحر , و ((سُحِرَ له)) الذي طلب من الساحر السحر ... طل هؤلاء داخلون في قوله ((ليس منَّا)) , و ((من أتى كاهناً ...)) إلى آخره .. فيه زجر شديد عن هذه الأفعال (التطير , والكهانة _ وسيأتي موضوع التطير موضوعاً خاصاً إن شاء الله _ , والكهانة , والسحر _ السحر تقدم _ , والكهانة : الذي نحن فيه الآن) ... قال المؤلف _ رحمه الله تعالى _ : قال البغويّ (الآن نأتي على تعريف العرَّاف , والكاهن , والرَّمال) قال البغوي : ((العراف : الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضَّالة ونحو ذلك ... يعني : يدعي الأمور الغيبية , بالنسبة له , وبالنسبة للسائل .. أمور غيبية لا يدري عنها ,

مكان المسروق , هو لا يدري عنه , وكذلك الذي جاء سأله , لا يدري عنه , فعنده مقدمات وأشياء يفعلها , يستدل بها على معرفة هذه الأمور , فيُفَرَّقُ بينه وبين الكاهن في أن العرَّاف يدعي معرفة أمور قد وقعت في السابق , أما الكاهن يدعي أمور مستقبلية , هكذا فَرق بينهما أهل العلم , وقيل : هو الكاهن , يعني : قول من أقوال العلماء أنه لا فرق بين العرَّاف والكاهن , وهما واحد , والكاهن : هو الذي يُخبرُ عن المغيبات في المستقبل : يُخبر عن الأمور الغيبية في المستقبل , ستحصل لم تحصل بعد , وقيل : الذي يُخبر عمَّا في الضمير)) (عمَّا في النفس يعني) كلها أمور غيبية وقال أبو العباس ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : ((العرَّاف : اسم للكاهن والمنجِّم والرَّمال ونحوهم (يعني العراف اسم عامٌّ , يجمع الجميع , فإذا قلت : العراف , شما كل من يدعي معرفة الأمور الغيبية , مِنْ كاهن , أو منجِّم , منجم : الذي ينظر في النجوم , ويستدل بالأحوال الفلكِّية على الحوادث الأرضية , وقد تقدم الحديث عنه , والرَّمال : الذي يخطُّ على الرَّمل , ويدعي بذلك معرفة أشياء غيبية , ـ أيضاً ـ , ونحوهم : أمثال هؤلاء , كلهم يُطلق عليهم اسم العرَّاف عند شيخ الإسلام ابن تيمية , فكلمة العرَّاف كلمة عامة , تشمل الجميع , وكلمة الجميع , وكلمة الكاهن كلمة أخصَّ منها , فهي تختصُّ بمعرفة الأمور المستقبلية , هذا المعنى الذي يريده المؤلف ـ رحمه الله

ـ أو الذي يريده شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ) قال : ونحوه ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق)) معرفة الأمور بهذه الطرق : معرفة الأمور الغيبية - يعني - بهذه الطرق : طرق الرمل , وطرق النظر في النجوم وما شابهه .. هذه خلاصة ما جاء في تعريفه (تعرف الكاهن والعراف) .. قال المصنف - رحمه الله تعالى - : وقال ابن عباس (هو الصحابي المعروف , ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم) - في قوم يكتبون ((أبا جاد)) وينظرون في النجوم - : ((ما أَرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق)) هذا موقوف على ابن عباس , وهو صحيح عنه , وهذه الفتوى لابن عباس رضي الله عنه .. يقول : في قوم يكتبون ((أبا جاد)) أبا جاد :

حروف الجمل , التي هي : أبجد , هوز , حَطِّي , كَلَمَن ... لكن هذا ترتيب , وذاك ترتيب آخر , هذا الترتيب : أ , ب , ت , ث : يسمونه ترتيب هجائي , أما ذاك الترتيب ؛ فيسمونه : ترتيب أبجدي (أبجد , هوز , حطي , كلمن .. إلى آخره) فأنت لما تفكفكها (أبجد , هوز ...) .. أ , ب, ج , د , ه , و , ز , إلى آخره , هذي نفس الحروف العربية , ولكن لها ترتيب آخر .. الترتيب الأبجدي ؛ هذه الحروف يرتبونها على ترتيب الجمل , يفرقون بها بين الجمل لتميز , ويتنبؤون بها - بعض الكهنة - يستعملون ذلك في الكهانة , وهذا المراد هنا " يكتبون أبا جاد " يكتبون بهذه الطريقة ليدعوا معرفة الأمور الغيبية بها .. " وينظرون في النجوم " ينظرون في النجوم ليس النظر الجائز (كي يستدلوا به على الطريق , ومعرفة القبلة , ومعرفة الاتجاهات هذا جائز) لكن هم ينظرون إلى النجوم للاستدلال بها على الحوادث الأرضية , ودعوى معرفتها بالنظر إلى النجوم , وأنها تؤثر فيما يقع على الأرض , هذا الذي يدعونه , وهو صنف من أنواع الكهنة (التكهن) قال : " ما أورى من فعل ذلك له عند الله من خلاق " يعني : ماله عند الله من نصيب , ليس له نصيب , يدعي معرفة الأمور الغيبية , هذا يؤكد ما ذكرناه في السابق : بأن الكاهن - حقيقة - خارج ملة الإسلام مكذب لكتاب الله , و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم , وكذلك من صدَّقه , فالراجح من كلام العلماء أن من صدَّق الكاهن كفر, مكذب بكتاب الله - سبحانه وتعالى - لما ذُكِر من الآيات السابقة , إن كان بعض العلماء قال : هو كفر دون كفر , لكن ليس صحيح , لأنه تكذيبٌ لكتاب الله - تبارك وتعالى - إذا كان معه قربة للجن أو الكاهن فهذا يكون - أيضا - كفر أخر , وهو شرك بالله - سبحانه وتعالى -إضافة إلى جعلِه , جعل الكاهن نداً لله -تبارك وتعالى - في معرفة الأمور الغيبية , أيضا يجعله نداً لله - تبارك وتعالى -في عبادته , نعم

قال المؤلف - رحمة الله -

باب ما جاء في النشرة

ذكر المؤلف في السابق : السحر , و الكهانة , و ما يتعلق بذلك من الأمور , وخصوصاً السحر , و هو أمر واقع , بينَّ المؤلف حكمه , وحكم من يفعله , لكن هناك أُناس لا يبالون , ومن الكفرة من يمارسه - أيضاً - , وخصوصاً اليهود , معروف عنهم هذا (يهود السّامرى) هؤلاء خصيصاً - يعني - معروف عنهم , معروف - أيضاً - , في بلاد المغرب العربي (خصيصاً المغرب) وغيرها ... وهو موجود في أي بلاد تذهب إليها موجود السحر بكثرة - للأسف - خصوصاً في زمننا هذا الذي نعيش فيه , فالناس يحتاجون إلى علاج لهذا الأمر , لذلك المؤلف ذكر النشرة , و النشرة هي : حل السحر عن المسحور , هذا معنى النشرة , حلُّ السحر عن المسحور , وسميت نُشرة : مأخوذة من النشر (و هو : التفريق) هذا الأصل اللغوي , فيفرق بين المريض و صاحبه , فلذلك سميت نُشرة ... قال المؤلف :" باب ما جاء في النشرة " (يعني : ما جاء من أدلة شرعية في حل السحر عن المسحور , وسُمّيت نُشرة : مأخوذة من النشرة (وهو : التفريق) هذا الأصل اللغوي , فيفرق بين المريض وصاحبه , فذلك سُمّيت نُشرة ... قال المؤلف :باب ما جاء في النُّشرة (يعني : ما جاء مِنْ أدلة شرعية في حل السحر عن الساحر , وخلاصة هذا الباب : أن النُّشرة تنقسم إلى قسمين : نُشرةٌ شركية كفرية ,ونُشرةٌ شرعية ... النشرة الشرعية : هي التي تكون بالرقية الشرعية (بالقرآن والسنة) النبي صلى الله عليه وسلم سُحِرَ , وفكَّ عنه السحر : الملائكة , بالمعوذات (هذه نُشرة شرعية) ... ونُشرة شركية : فك السحر بالسحر , حلُّ السحر , وهذا لا يفعله إلا الساحر , هو الذي يستطيع أن يفُكَ السحر بالسحر (فهذه نُشرة شركية كفرية) ... ننظر _الآن _ ماذا جاء من أدلة في هذا ؟ قال المؤلف _ رحمه الله تعالى _ : عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن النُشرة , فقال : ((هي من عمل الشيطان)) (يعني : النُشرة بالسحر)رواه أحمد بسند جيد وأبو داود ... وقال : ((سُئِلَ أحمد عنها , فقال : ((ابن مسعود يكره هذا كله)))) يعني : ابن مسعود يكره النُشرة التي هي من عمل الشيطان .. قال المصنِّف _ رحمه الله

تعالى ـ : وللبخاري عن قتادة (وهو : أحد أئمة التابعين , قتادة بن دِعامة) : قلت لابن المسيِّب (سعيد بن المسيِّب : تابعي جليل) : رجلٌ به طِبٌ (سحر يعني , كانوا يسمُّنوه : طِبّ , قال : طِبَّ الرجُل , إذا سُحِرَ ... هذي عادة العرب : يسمُّون بعض الأشياء بأسماء طيبة , ـ من باب التفاؤل ـ , كما يفعل إخواننا في المغرب العربي اليوم , ماذا يسمون النار ؟ العافية هذا من باب التفاؤل , يغضبون لمَّا تقول له : يعطيك العافية ... عندنا ؛ يعطيك العافية يعني : يعطيك الصَّحة يعطيك القوَّة , فيغضب لأن يعطيك العافية : يعطيك النار عندهم , فلمَّا تكلَّم مع أخ من المغرب انتبه للألفاظ هذي مثل ... هذي فقط استطراديَّة ـ يعني ـ ... قال : رجلٌ به طِبٌ (يعني سِحر) سُمِّيَّ طِباًّ للتفاؤل ... أو يُؤَخَّذُ عن امرته (يعني : يمتنع عنها , لا يستطيع أنْ زوجته ,لا يستطع أن يجامعها) هذا نوع من أنواع السِّحر , يُحبُس الرجل عن امراته , والحبسُ هذا يريدون منه التفريق (التفريق بين الرجل وامراته ((يفرِّقون به بين المرء وزوجه)) كيف ؟ إذا حبسوا الرجل عن امرته , ما استطاع أن يجامعها , يكون هذا من أسباب الفُرقة والنزاع والخصام بين الزوجين ... أيحلُّ عنه أو يُنشَّر ؟ (يعني : يجوز أن نفكّ عنه السحر هذا ؟ قال : ((لا بأس به (هذا سعيد بن المسيِّب) قتادة يسأله وسعيد يُجيب قال : ((لا بأس به , إنما يريدون به الإصلاح , فأما ما ينفعُ , فَلَم ينهَ عنه))مقصودهُ ـ هنا ـ : النُّشرة الشرعية , لا بأس به أن يكون بالنشرة الشرعية , لا النشرة المحرَّمة , لا يُفهمُ هذا عن سعيد بن المسيِّب ـ رحمه الله ـ يريدون به الإصلاح (يريدون به إزالة السحر) ... قال المصنِّف ـ رحمه الله ـ : ويُروى عن الحسن أنه قال : ((لايحلُّ السحر إلا ساحر)) (يعني : بالسحر) , لا يحلُّ السحر بالسحر إلا ساحر , أما بالرقية الشرعية فقد حلَّها الملائكة رضي الله عنهم .. قال المصنِّف ـ رحمه الله تعالى ـ : قال ابن القيم : ((النُّشرة : حَلُّ السحر عن المسحور , وهي نوعان : (يعطيك الخلاصة الآن) هؤلاء المحقِّقون : كابن القيِّم , وابن تيمية رحمه الله يعطونك خلاصة المسائل .

وهي نوعان : أحدهما : حَلُّ بِسِحرٍ مثله , (يعني : حلُّ السحر بسحر مثله) وهو الذي من عمل الشيطان (الآن جمع بين الأدلة المذكورة) الأدلة التي ذكرها المؤلف منها ما يحرَّم , ومنها ما يُجيز , وإن كانت من كلام النبي صلى الله عليه وسلم , أو من كلام السلف رضي الله عنهم ... الجمع بين الأمور , أعطاك الخلاصة من كلام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ ... قال : وهي نوعان : أحدهما : حُلُّ بسحرٍ مثله , وهو الذي من عمل الشيطان , وعليه يُحملُ قولُ الحسن , رأيت ؟ لمَّا قال الحسن : ((لا يحلُّ السحر إلا ساحر)) فيتقرب الناشِرُ والمنتشر إلى الشيطان (يتقرَّب الناشر , يعني : الساحر الذي يحلُّ السحر , المنتشر : المسحور .. إلى الشيطان بما يُحب (من أنواع القُرب ... وهذا كثير , يأتي إلى الساحر , ويقول له : عندي سحر , يقول : اذهب اذبح ديك , اذهب اذبح ماعز , اذهب اذبح دجاجة ... هكذا , نسمع هذا كثيراً يحصل , وهو قربةٌ للجن كي يفكُّ عنه السحر) فيبطلُ عمله عن المسحور . والثاني (النوع الثاني) : النَّشرةُ بالرقية , و التعوذات , والأدوية , والدعوات المباحة , فهذا جائز))
هذا خلاصة الموضوع , هذا خلاصة هذا البحث ... والله أعلم

قال المؤلف رحمه الله :" باب ما جاء في التطيّر " , ما جاء في التطيّر من أدلة شرعية تدلّ على النهي عنه والوعيد الشديد فيه وأنه من الشرك , والتطيّر مأخوذ من الطير , كانوا يطيّرون الطير فإذا طارت يميناً تفاءلوا بها خيراً وإذا طارت شمالاً تشاءموا بها شراً ثم توسّعوا في ذلك , فصاروا يتشاءمون من الأشخاص ويتشاءمون من الدُّور ويتشاءمون من الأماكن ويتشاءمون من الأيام , وهكذا , هذا أمرٌ كان موجوداً في الجاهليّة وعند المشركين في السابق كما سيأتي من كلام المؤلف رحمه الله ما يدل عليه , التطيّر مُنافٍ لكمال التوحيد الواجب , فهو مُخِلٌّ بالتوكل على الله سبحانه وتعالى وادّعاء المنفعة والمضرّة فيه , هو لا ينفع ولا يضر , واعتماد القلب يجب أن يكون على الله سبحانه وتعالى تامّاً , وهذا الأمر ينافي كمال التوحيد الواجب كما ذكرنا , فيجب أن يكون توكلك تامّاً على الله سبحانه وتعالى فلا يضرّك هذا الشيء ولا تنظر

إليه أبداً , لذلك ساق المؤلف التطير في هذا الموطن لأنه يخلّ بالتوحيد , وهذا منتشر اليوم بين الناس كثيراً , وهو التشاؤم نفسه , التطير هو التشاؤم , التشاؤم بأي شيء يدخل في ضمن هذه الأدلة التي سيذكرها المؤلف رحمه الله , فالتطيّر شرك كما قال صلى الله عليه وسلم وكما سيأتي من كلامه , قال المصنف رحمه الله تعالى " وقول الله تعالى: {أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} " وقال :" وقوله: {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ} " هذه الآيات في الأنبياء والرسل السابقين الذين أُرسلوا إلى أقوامهم , موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء والرسل , أُرسلوا إلى أقوامهم , فأقوامهم كانوا إذا نزلت بهم قحط , جدب , لم تأتِ الأمطار , لم تُخرج الأرض خيراتها , تشاءموا بأنبيائهم ورسلهم , قالوا : هذا منكم , ألا إنما , قالوا هذا منكم يعني , إنا تطيّرنا بكم وتشاءمنا بكم , أنتم شؤم , أتيتم لنا بالسوء , هذا ما يقوله لأنبيائهم ورسلهم , فردّ عليهم الأنبياء في الآية الأولى , قال : { أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ } , يعني بذلك أن ما قدّره الله لهم وما كتبه عليهم عنده تبارك وتعالى , { أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ } نصيبهم وقدرهم عند رب العالمين { وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ } والمراد من ذلك أن ما يصيبهم من مصائب فهو بأعمالهم , الله سبحانه وتعالى يقدّر عليهم ذلك ويبليهم بالمصائب من وراء أعمالهم { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } فحقيقةً هذه المصائب التي تنزل بكم بسبب معتقداتكم وشركيكم وبسبب أفعالكم الفاسدة , هذا معنى { ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون } , جُهّال لا يعلمون حقائق الأمور , ينسبون الشؤم إلى الأنبياء الذين جاؤوهم بالخير , جاؤوهم بالتوحيد , جاؤوهم بالصلاح , والتوحيد والخير , طاعة الله سبحانه وتعالى إذا انتشرت في الأرض انتشر الخير , وأنزل الله سبحانه وتعالى نعيمه وفضله على الناس { اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا , يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا , وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَارًا } فطاعة الله سبحانه وتعالى تجلب الخير لا تجلب الشر

, لكن هؤلاء القوم جهال لا يفهمون لا يعقلون , فمن أراد الخير وأراد الخصب في هذه الحياة وأراد النعيم يطيع الله سبحانه وتعالى , يوحد , انظروا إلى حال العرب قبل أن يأتيهم النبي صلى الله عليه وسلم وبعد أن أتاهم , رحم الله المغيرة بن شعبة عندما ذهب إلى كسرى يناقشه ويقيم عليه الحجّة , بدأ كسرى معه قال : ما منعني أن أقتلكم أنتم العرب إلا خشية نتن جيفكم , وكنتم قوم متفرّقين مشتتين جوعى فقراء حالتكم يُرثى لها , المغيرة ما أنكر هذا , كان رده عليه : نعم , لقد كنا كما ذكرت , لكن عندما جاءنا الله سبحانه وتعالى بهذا النبي أخرجَنا مما نحن فيه , أذكر بالمعنى اختصاراً , وذكر له الخير والنعيم الذي أصابهم بعد مجيء النبي صلى الله عليه وسلم , هكذا يكون الأمر , هكذا يكون الحال , فمن أراد النعيم وأراد الفلاح فليطع الله , فليوحد الله سبحانه وتعالى , حتى الفرد , لا ينظر إلى مجتمعه الفاسد , ينظر إلى نفسه , أصلح نفسك , استغفر الله سبحانه وتعالى , تب إليه , أصلح حالك , يرزقك الله سبحانه وتعالى وينصرك ويعزّك , في الآية الثانية { قالوا طائركم معكم } الأنبياء يردّون عليهم , { طائركم معكم } , أنتم كَذَبَة , شؤمكم الذي نزل عليكم بسببكم , بسبب أعمالكم , بسبب شركم , بسبب فسقكم وفجوركم , لذلك طائركم ملازمٌ لكم بأعمالكم وفجوركم واعتقاداتكم , يأتيكم شؤمكم , { أإن ذكرتم } أي : لأننا ذكرناكم بالله سبحانه وتعالى وبتوحيده ترموننا بهذا وتتشاءمون بنا , { بل أنتم قوم مسرفون } أنتم قوم تتجاوزون الحد في شرككم وفي كفركم وفي خروجكم عن طاعة ربكم تبارك وتعالى , الشاهد من الآيتين : أن التطيّر موجودٌ عند أهل الجاهلية وعند المشركين من قديم إلى يومنا هذا مازال موجوداً بين الناس , أذكر الكثير من عامة الناس إذا وقفت بومة على رأس البيت يطير وينزل خوفاً مما سيحدث من وقوف البومة على رأس البيت , هذا موجود بين عامة الناس , سبحان الله , تشاؤم , يتشاءم من البومة , وأشياء كثيرة يتشاءم الناس منها , ألفاظ الأطفال , أحياناً طفل يتكلم بكلمة , مسكين , طفل بريء ما يدري أيش يقول , يتكلم بكلمة تقوم الدنيا في البيت بين الناس , ليش ؟ يتشاءمون

من هذه الكلمة , الله المستعان , الطيرة شرك , هذا كله يدخل في هذا الباب الذي نحن فيه , الشاهد أن التطير من عمل أهل الجاهلية , من عمل المشركين , وقد ذمّهم الله تبارك وتعالى به ومقتهم عليه , ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطير كما سيأتي إن شاء الله .

قال المؤلف رحمه الله تعالى :" عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر" أخرجاه " يعني البخاري ومسلم , " زاد مسلمٌ :" ولا نوء ولا غول " " , هذا نفيٌ , نفى الله سبحانه وتعالى هذه الأشياء ," لا عدوى " جاء في حديثٍ صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [وفر من المجذوم كما تفر من الأسد] , وكذلك صح عنه أنه قال :[من سمع بالطاعون في أرضٍ فلا يَقدُم عليه] لأن الطاعون مرض مُعدي ينتقل بين الناس , فاختلف العلماء في طريقة الجمع بين هذه الأحاديث , وأصح ما قيل بأن قوله " لا عدوى " أي لا عدوى مؤثرة بنفسها , لا عدوى مؤثرة بنفسها , خلافاً لما كان يعتقده أهل الجاهلية , لكن العدوى هي في نفسها موجودة , الله سبحانه وتعالى هو الذي يقدّر أثرها , لكن هي في نفسها لا تؤثّر , لكن بتقدير الله سبحانه وتعالى , قال :" ولا طيرة " ولا طيرة , المقصود من ذلك : لا طيرة , أنها , النفي للتطير , فحقيقةً التطير لا ينفع ولا يضرّ ولا يدفع شيئاً , " ولا هامة ": الطيرة قد تقدّم شرحها , وهو الشاهد من سوق المؤلف للحديث هنا , نفي التطيّر , فلا يجوز فعله , " ولا صفَر " أيضاً كانوا يتشاءمون قديماً بشهر صفر , فنفى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم , فلا يجوز التشاؤم بشهر صفر , أو أي شهر أو أي يوم , " زاد مسلم :[ولا نوء] " النوء واحد من الأنواء , طلوع النجم وغروب آخَر , أحدهما يطلع في المشرق والآخر في المغرب وكانوا يعتقدون أنه لا بد عنده من مطر أو ريح ينسبونه إلى الطالع والغارب , فنفى النبي صلى الله عليه وسلم صحة ذلك ," ولا غول ": الغول الذي يعتقده الناس اليوم ما زال إلى اليوم , عندنا إذا أرادوا أن يخوفوا صغيراً يقول أجاك الغول وهذا الغول كانت العرب تزعم أن الغول

يكون في الصحاري تراه الناس هكذا بشيء ترى شيئاً كالظل مثلاً وتتلون بصور شتّى وتضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبي صلى الله عليه وسلم وأبطله , وأما حديث :[إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان] ضعيف لا يصح هذا الحديث , الشاهد قوله ولا طيرة فالطيرة محرمة لا تنفع ولا تضر ويجب التوكل على الله سبحانه وتعالى وقد أبدلنا الله سبحانه وتعالى خيراً منها , نستخير الله سبحانه وتعالى في الأمر , نستخير الله سبحانه وتعالى نصلي ركعتين من غير الفريضة ثم ندعو الله ونتوكل على الله , في الدعاء هذا نفي للحول والقوة والعلم وفيه توكل واعتماد على الله سبحانه وتعالى في دعاء الاستخارة بخلاف ما كانت تفعله أهل الجاهلية في التطير , , قال المصنف رحمه الله :" ولهما " أي للبخاري ومسلم , " عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة" " نفس المعنى :" لا عدوى ولا طيرة " نفس المعنى الذي تقدّم , قال :" ويعجبني الفأل " قالوا الفأل فيما يسرّ وفيما يسوء , وأما الطيرة فلا تكون إلا فيما يسوء , والفأل فيما يسوء منهيٌّ عنه أيضاً , لكن التفاؤل فيما يسرّ كالكلمة الطيّبة , هذا لا بأس به , قال بعض أهل العلم : الفرق بين التشاؤم والتفاؤل : أن التشاؤم سوء ظنّ بالله تعالى بغير سببٍ محقّق , والتفاؤل حسنُ ظنّ به , والمؤمن مأمورٌ بحسن الظن بالله على كل حال , فالتفاؤل جائز لا بأس به , كأن يكون الرجل مريضاً مثلاً فيسمع آخَر يقول : يا سالم , فيقع في ظنّه أنه يبرأ من مرضه فهذا لا بأس به , هذا من التفاؤل , لا بأس به , يعني التفاؤل بالخير لا بأس به , أما التشاؤم بالسوء فلا , ما يجوز , هذا الفرق بين الأمرين , قال المصنّف رحمه الله تعالى :" ولأبي داوود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذُكِرَت الطِّيَرَةُ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أحسنها الفأل " على المعنى المتقدم أن الفأل لا بأس به , " ولا ترد مسلماً " يعني المسلم لا يبالي بها, إن طارت إلى الشمال أو رأى شيئاً تشاءم به ما ترك طريقه الذي يسلكه من أجل هذا الأمر , لأنه يتوكل على الله سبحانه وتعالى حق توكله , فلا يترك طريقه ومسيره

إلى الخير من أجل أنه تشاءم بشيءٍ , " فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك" الحديث ضعيف , لا يصحّ , فهذا الدعاء لا يصحّ , قال المصنف :" وعن ابن مسعود مرفوعا: "الطيرة شرك، الطيرة شرك " الطيرة شركٌ , هذا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم , مرفوع , فهي شركٌ بالله تبارك وتعالى , تخلّ بتوكل العبد على ربه تبارك وتعالى , وهذا فيه تحريم الطيرة لأن فيها تعلق القلب على غير الله تبارك وتعالى , هذا فيه شرك , نوع شرك , " وما منا إلا ... " , هذا الكلام ليس للنبي صلى الله عليه وسلم , هذا الكلام لابن مسعود , يعني : ما منا إلا ويحصل في قلبه شيء من ذلك , " ولكن الله يذهبه بالتوكل" هكذا يكون المؤمن , أي إذا كان معتمداً على الله بحق ومحقّقاً للتوكّل , ما يقع في قلبه لا يبالي به , يطرده ," رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود " وهذا الصحيح , آخره من عند قوله :" وما منا إلا ... " إلى آخره , هذا من كلام ابن مسعود وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم , قال المؤلف رحمه الله تعالى : " ولأحمد من حديث ابن عمرو: "من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. " من ردّته الطيرة عن حاجته , كان يمضي في طريق فرأى شيئاً أو سمع شيئاً تشاءم به فرجع , هذا وقع في الشرك , وقع في الشرك , لأنه أخلَّ بالاعتماد على الله تبارك وتعالى وتعلَّقَ قلبه بغيره , " قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك" " , هذا كفارته , وهذا الحديث في إسناده ابن لهيعة , وابن لهيعة لا يُعتمَد عليه , قال المؤلف رحمه الله :" وله " أي لأحمد , " من حديث الفضل بن عباس: "إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك" " يعني ما كان له أثرٌ في قلبك واستقرّ ومضيت بناءاً عليه , إما مضيت في شأنك وإما رجعت عنه بسبب ما حصل في قلبك من التشاؤم , هذه حقيقة التشاؤم الضارّة التي لها مؤاخذة عند الله , وهي الشرك , أما إذا وقع في قلبك شيء وطردته واعتمدت على ربك فهذه لا تضرك , هذا المعنى المقصود من كلام الفضل بن

عباس , خلاصة الكلام أن الطيرة شرك يعني التشاؤم محرّم وهو من الشرك بالله تبارك وتعالى , أسأل الله أن يوفّقنا وإياكم لطاعته , والله أعلم .

في حديت مسلم تنبيه أخير في حديث مسلم قلنا لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر أظن أني ما شرحت الهامة الهامة , هي طائر من طيور الليل وهو البومة معروف عند كثير من الناس بالبومة وهذه كانوا يتشاءمون بها وما زالوا إلى اليوم يتشاءمون بها وهذا أيضاً قد نفاه النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز التشاؤم بها والأمر الأخير الذي أريد أن أنبه عليه أن التشاؤم هذا من الشرك وهو تارة يكون من الشرك الأكبر وتارة يكون من الشرك الأصغر فإذا كان الشخص اعتقد في الشيء الذي تشاءم به أنه هو ينفع ويضر فهذا شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام أما إذا اعتقد أنه سبب فقط للنفع أو للضر فمثل هذا يعتبر من الشرك الأصغر لا من الشرك الأكبر هذا تفصيل التطير وهل هو من الشرك الأكبر أم من الشرك الأصغر يعني إن اعتقده سبباً فهذا من الشرك الأصغر وإن اعتقد أنه هو يؤثر بنفسه فهذا يعتبر من الشرك الأكبر والله أعلم والحمد لله رب العالمين.

الدرس رقم 18

المجلس الثامن عشر من شرح كتاب التوحيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله, أمّا بعد:

فهذا المجلس الثامن عشر والباب الذي وصلنا إليه هو الباب الثامن والعشرين: "باب ما جاء في التنجيم".

أي: ما جاء من أدلة شرعية تدلّ على النهي عن التنجيم, والتنجيم: الاستدلال بالنجوم على الحوادث الأرضية, ودعوى أنّ حركة النجوم في السماء تدلّ على أشياء تقع في الأرض, أشياء غيبية, فالمُنجّم يدّعي معرفة أمور غيبية بالنظر في النجوم وحركة الأفلاك, هذا معنى التنجيم المراد هنا.

وعلم النجوم علمان:

- علم تأثير.
- وعلم تسيير.

الذي نتحدّث عنه -الذي حرّمه الشارع- هو علم التأثير الذي يدّعي أصحابُه أنّ النجوم تؤثّر بحركة الأشياء على الأرض, فيدّعون معرفة الأمور الغيبية بالنجوم, هذا الاعتقاد (اعتقاد أنّ النجوم لها تأثير على الأرض) اعتقاد كفري, وادّعاء معرفة الغيب أيضاً بالنجوم كذلك اعتقاد كفري وادّعاء كفري, قد تقدّم معنا موضوع الكهانة وادعاء معرفة الأمور الغيبية, كذلك يُقال ما قلناه سابقاً في هذا الباب, فعلم النجوم المنهي عنه ما يدّعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان, هكذا قال أهل العلم, كأوقات مثلاً هبوب الريح، وقت تغير الأسعار, كيف يتغير السعر من غلاء إلى رخص وما شابه من أشياء, يعني المنجّم يدّعي أنّه يعرف أموراً غيبية ستقع على الأرض من خلال النجوم, هذا العلم هو المنهي عنه, وهو شركي كفري.

أمّا العلم الآخر وهو علم التسيير: وهو الاستدلال بالنجوم على الطُّرُق, تعرف الشمال من الجنوب من الشرق من الغرب, وتسير في الأرض أو تكون في البحر فتعرف الطرقات من خلال النجوم, هذا لا بأس به ومن الجائز شرعاً كما سيأتي في الأدلة.
لكن خلاصة الموضوع هو ما ذكَرْنا, أنّ علم التنجيم -علم التأثير- هذا كفر بالله وكفرٌ مخرج من ملّة الإسلام, أمّا علم التسيير فهذا جائز.
قال المؤلف رحمه الله تعالى: "قال البخاري في صحيحه: قال قتادة" قتادة بن دِعامة أحد علماء التابعين رضي الله عنهم, والبخاري في صحيحه ذكره معلّقاً, قال: "خلق الله هذه النجوم لثلاث"إذاً النجوم ماذا نستفيد منها؟ نستفيد منها ثلاثة أمور, "زينةً للسماء" هذا الأمر الأول, زينةً للسماء, لقول الله تبارك وتعالى: "وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ" هذه الآية فيها أمران: الأول: زينة للسماء "وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ" هي مثل السُّرُج, مثل الأضواء التي في بيوتنا, لها نور, تتلألأ, سُرُج, فهي زينة لهذه السماء, تنظر إليها منظر جميل "وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ" هذا الأمر الأول, قال: "زينة للسماء ورجوماً للشياطين" تقدّم معنا أنّ الشياطين يحاولون استراق السمع فيرقى بعضهم على بعض إلى أن يصلوا إلى السماء فيحاولون سماع ما يدور بين الملائكة في السماء ويسترقون السمع, فيرسل الله سبحانه وتعالى عليهم هذه المصابيح, الرجوم, التي هي الشُّهُب, فتقضي عليهم على التفصيل الذي تقدّم معنا في الماضي, ودليله قول الله تبارك وتعالى: "وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ" يعني: يُرجَم بها الشياطين فيُضربون بها ويُحرَقون بها, هذا الأمر الثاني, الأمر الثالث: قال: "وعلامات يُهتدى بها", "وعلامات" كما قال الله سبحانه وتعالى: "وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ", علامات: دلالات على الجهات, يُهتدى بها: يعني يَهتدي بها الناس فيعرفون الطريق, يعرفون الشرق من الغرب من الشمال من الجنوب, من خلال هذه النجوم, فيهتدون إلى الطرق التي يريدونها, هذه الأمور الثلاثة هي التي نستفيدها من النجوم, وهي التي ذُكِرَت أدلّتها في الكتاب, قال قتادة: "فمن

تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ"، فمن تأوّل فيها: يعني من اعتقد فيها غير ذلك من هذه الأمور الثلاثة التي دلّ عليها كتاب الله تبارك وتعالى، "فقد أخطأ وأضاع نصيبه" مِن الدِّين ، وهذا يقتضي أنّه يكفُر، "وتكلَّفَ ما لا علم له به"، يعني: تكلّمَ في أشياء لا علم له بها، تكلّمَ عن جهلٍ، مجرّد ظنون لا أدلة عليها، هذا المعنى عندما يتكلم في النجوم بأكثر مما ذُكِر من الأشياء الثلاثة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: "وكَرِه قتادةُ تعلُّمَ منازلِ القمر"، منازل القمر: مَداراته التي يدور فيها حول الأرض، يدور كل ليلة في أحدها، وهي ثمانية وعشرون، لكلٍّ منها اسمٌ معيَّنٌ، ولكلّ فصلٍ من فصول السنة سبعة منازل، هذه المقصود بمنازل القمر، وقد كَرِهَ قتادة تعلّمَ ذلك، الظاهر كراهيته لذلك لأنّه وسيلة لأن يُعتقَد فيها ما لا يجوز، فكره ذلك سدّاً للذريعة، "ولم يرخّص ابن عُيَيْنَةَ فيه"، كذلك منعه، هذا مما كان السلف رضي الله عنهم يمنعونه سدّاً للذريعة لأنّه يوصل إلى المحذور، وربّما مَن تعلَّمَ منازل القمر أن يؤدي به الأمر إلى أن يعتقد أنّها تؤثّر في الكون، وهذا كفرٌ -نعوذ بالله-، "ذكره حربٌ عنهما" : أي نقله عنهما حربُ بنُ إسماعيل أبو محمد من أصحاب الإمام أحمد، "ورخّص في تعلُّمِ المنازل أحمد وإسحاق": أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه صاحبه، إمامان، رخّصوا في تعلّم المنازل إذا لم يؤدِّ بصاحبه إلى الاعتقاد الفاسد فلابأس بتعلُّمِه، فمَن عرف خطورة الاعتقاد هذا وأنّه محرّم واجتنبه فلا بأس أن يتعلّم المنازل وغيره لا، والأفضل سدّ الذريعة.

خلاصة البحث، خلاصة الموضوع: تعلُّمُ علم التسيير جائز وتعلم علم التأثير محرّم، فالمأذون في تعلمه علمُ التسيير والمحرّم علمُ التأثير، هذا خلاصة الموضوع، على ما تقدّمَ من التفصيل والتفريق بين العِلمين.

قال المصنّف رحمه الله تعالى: "وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر" رواه أحمد وابن حبان في صحيحه".

هذا الحديث ضعيفٌ لا يصحّ, محل الشاهد منه, المؤلف رحمه الله ذكره لقوله في آخره: "ومصدّقٌ بالسحر" والربط بين السحر والتنجيم أنّ التنجيم نوعٌ من السحر لأنّه جاء في الحديث: "من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد"، فالتنجيم نوعٌ من السحر بناءً على هذين الحديثين, والحديث هذا كما ذكرنا لا يصحّ , هذا ما يتعلق بمبحث التنجيم .

قال المؤلف رحمه الله: "باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء", ما جاء من أدلة شرعية في الكتاب والسنة تدلّ على تحريم ذلك وأنّه كفر, الاستسقاء: طلب السقيا, بالأنواء: يعني بالنجوم, كانوا في الجاهلية يعتقدون أنّ حركة القمر والنجوم لها تأثير في نزول المطر وفيما يحدث على هذا الكوكب, فالآن الباب الذي سبق في مسألة التنجيم عموماً, هذا خاصٌّ بمسألة الاستسقاء, طلب السقيا, طلب المطر من النجوم لأنّها هي التي تؤثّر فيما يزعمون, هذا هو الكفر لأنّه فيه ادّعاء خالق مع الله سبحانه وتعالى, رازق, مدبر مع الله سبحانه وتعالى, وهذا كفرٌ بالله تبارك وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله: "وقول الله تعالى: "وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ"".

الآية التي جاءت هذه الآية في سياقها قوله تعالى: "فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (80) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (81) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ", "أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ": يعني بهذا القرآن أنتم تكذّبون وتزعمون أنّه من قول محمد أو من قول فلان, "وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ", رزقكم: يعني المطر, تجعلون ما يرزقكم الله سبحانه وتعالى من المطر كذباً من عندكم بأنّ هذا المطر مُطرتموه بالأنواء, "بنوء كذا وكذا" فتنسبون المطر إلى الأنواء فلا تشكرون الله سبحانه وتعالى على نعمة المطر الذي هو أنعم عليكم بهذه النعمة ولكن تنسبون المطر إلى الأنواء, والأنواء جمع نوء, من: ناء ينوء إذا نهض, والنوء عبارة عن أحد منازل القمر الثمانية والعشرين, فكانت العرب في الجاهلية تزعم أنّ المطر إنّما ينزل

بسبب طلوع النجم, وبعضهم يقول: المطر يحصل بسبب غروب النجم الذي يغرب في الفجر, المهم أنّهم يضيفون نزول المطر إلى طلوع النجم أو غروبه ويظنون أنّ طلوع النجم أو غروبه هو الذي يسبب نزول المطر, "مطرنا بنوء كذا وكذا", وكذّبهم الله في ذلك بقوله: " وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ"، يعني المطر " أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ"، فتنسبونه إلى الطالع والغارب وهي من النجوم, نجمٌ طالع ونجمٌ غارب, فيكذبون على الله سبحانه وتعالى ويُنكرون نعمة الله ويجحدونها, والواجب إضافة النعمة لله تبارك وتعالى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: "وعن أبي مالك الأشعري أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة" وقال: "النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب" رواه مسلم".

هذه الأربع من أمور الجاهلية باقية في هذه الأمّة، وهي باقية إلى يومنا هذا ومع علمهم بتحريمها إلّا أنّها باقية فيهم, كانت موجودة في أهل الجاهلية وستبقى موجودة, وهي باقية حتى في يومنا هذا, وهذا من دلائل نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم, أخبرَ أنّها ستبقى وقد بقيَت, "الفخر بالأحساب" هذا الأمر الأول, يعني التعاظم على الناس بالآباء ومناقبهم ومآثرهم, وهذا جهلٌ من فاعله, لأنّ كرم الإنسان ومنزلته ومكانته ليست بآبائه ونسبه إنّما بتقواه "إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم"، فالافتخار بحق يكون بتقواك لله سبحانه وتعالى, "والطعن في الأنساب"، يعني الوقوع فيها بالعيب والتنقّص, تقول للشخص: نسبك وضيع, حقير, ونسبي رفيع, تطعن في نسبه, تقلل من شأنه, هذا معنى الطعن في أنساب الناس, أو الطعن في ثبوت نسب شخصٍ من غير بيّنة ولا دليل صحيح, "والاستسقاء بالنجوم" هذا الشاهد, المؤلف ساق الحديث لأجل هذا, الاستسقاء: يعني طلب السقيا بالنجوم, نسبة المطر إلى النوء, وهو سقوط النجم, وهذا محرّم, فمن اعتقد أنّه سبب فهذا شركٌ أصغر, ومن اعتقد أنّ له تأثيراً هو الذي ينزل المطر فهذا كفرٌ مخرج من ملّة الإسلام, "والنياحة"، النياحة: رفع الصوت بالندب على

الميّت, من باب الجزع والتسخّط, (ياويلاه على فلان, كان ناصري, كان يفعل وكان يفعل) كما تفعل كثير من الجاهلات من النساء, وفي النياحة تسخّطٌ على قضاء الله سبحانه وتعالى وقدره وذلك ينافي الصبر الواجب, وهذا من كبائر الذنوب, قال: "النائحة" التي تنوح على الميت, "إذا لم تتب قبل موتها" عقابها شديد, "تُقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قطِران ودرع من جرب", السربال: ثياب يلطّخن بالقطران، فكأن الواحدة قد لبسته لباساً, والقطران الذي هو النحاس المُذاب, "ودرعٌ من جرب", الدرع كالثوب أيضاً, والجرب مرض جلدي, فتصوّر أنت هذا الشكل, تصوّر شدة الألم, نحاس مذاب يغلي وجَرَب, نسأل الله أن يعافينا وإياكم, أنواع العذاب يوم القيامة شديدة, مَن تأمَّلَها لو اجتمع عليه عذاب الدنيا كلّه لهان أمام عذاب واحد من عذاب يوم القيامة, فعلاً كثيرٌ من الناس ما أعطَوا القيامة قدْرها ولا فهموا حقيقة ما سيحصل فيها ولا عرفوا جهنم معرفةً يقينيّة وإلّا لَما غرّتهم الدنيا على الصورة التي نراهم عليها اليوم, فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمنا جميعاً برحمته.

قال المصنف رحمه الله تعالى: "ولهما" يعني للبخاري ومسلم, "عن زيد بن خالد قال:" هو أحد الصحابة, "صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية" اسم مكان على حدود الحرم من جهة الغرب, "على إثر سماء كانت من الليل" يعني بعد نزول مطر كان قد نزل في الليل, إثر سماء يعني مطر, "فلمّا انصرف أقبل على الناس" لمّا انتهى من صلاته أدار وجهه إلى الناس, "فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر" لاحِظْ, قسّم العباد إلى قسمين: مؤمن به وكافر, مَن المؤمن؟ قال: "فأمّا من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب" أعاد الفضل لصاحبه, صاحب الفضل وهو الله سبحانه وتعالى, فنَسَبَ المطر لله سبحانه وتعالى وقال مُطِرنا بفضل الله ورحمته, "فذلك مؤمنٌ بي كافر بالكوكب" يجحد أن يكون الكوكب له أثرٌ في نزول المطر, يُكذّب بذلك، "وأمّا من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا"يعني مطرنا بنجم كذا وكذا،

"فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب"، من اعتقد أنّ الكوكب هو الذي يُمطِر فقد جعل خالقاً مع الله: كفر بذلك, ومن اعتقد أنّه سبب, قد جعل شيئاً سبباً نفاه ربنا تبارك وتعالى, وهذا إلى الشرك الأصغر, هذا هو تفصيل هذه المسألة وما يدلّ عليه الحديث.

قال المصنف رحمه الله: "ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه: قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا"، ألفاظ يعبّرون عنها, "لقد صدق نوء كذا وكذا" فصدّقوه, نسبوا نزول المطر إلى النوء فصدّقوه فيما نسبوه إليه، "فأنزل الله هذه الآيات: "فلا أقسم بمواقع النجوم"", قال أهل العلم: هذا قسم، والله يقسم بما يشاء من خلقه, "فلا أقسم بمواقع النجوم وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم", هذا القسم قسم عظيم, يقسم على ماذا؟ قال: "إنّه لقرآن كريم"على أنّ هذا القرآن قرآن كريم, فكأنّه يقول: ليس الأمر كما تزعمون أنّ القرآن هو سحر أو كهانة أو ما شابه بل هو قرآن كريم, "في كتاب مكنون" يعني: في كتاب محفوظ, وهو اللوح المحفوظ, "لا يمسّه إلّا المطهرون"، يعني الملائكة, هم الذين يمسّونه فقط, اللوح المحفوظ لا يمسّه إلّا الملائكة, "تنزيل من ربّ العالمين"،يعني نزل من عند الله تبارك وتعالى هذا القرآن، نزل به جبريل إلى نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم وبلّغه محمد صلى الله عليه وسلم لأمته , "أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذّبون"تقدّمَ شرحها.

الدرس رقم 19

المجلس التاسع عشر من شرح كتاب التوحيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أمّا بعد:

فقال المؤلف رحمه الله: "باب قول الله تعالى: "ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله"".

هذا الباب علاقته بالتوحيد أنّ المحبّة التعبّدية يجب أن تكون خالصة لله سبحانه وتعالى, وإذا صُرف شيءٌ منها لغيره يكون الصارف قد وقع في الشرك, أشرك مع الله غيره في أمرٍ هو من خصائص الله سبحانه وتعالى, المحبّة التعبدية, محبّة العبادة: وهي التي توجب التذليل والتعظيم, هذه محبّة العبادة: ما يوجب التذليل والتعظيم, يعني معها خضوع وتذلل بطاعة الأمر واجتناب النهي, بهذا تكون محبّةً تعبّدية، أي كما نُحبّ الله سبحانه وتعالى, نحبّ الله محبّةً معها كمال الخضوع والتذلّل له والتسليم والطاعة لأمره واجتناب نهيه, هذه محبّة تعبّدية, صرْفُها لغير الله شرك, وأنت تلاحظ في عُبّاد القبور عندهم هذه المحبّة, يُشركون في محبّة الله تبارك وتعالى ويحبّون أولياءهم إمّا مثل محبتهم لله أو أعظم, فتجده يخشع ويتذلّل عند صاحب القبر ويَذِلّ له وينذر له, يدعوه, يستغيث به, يسجد له, لماذا؟ لأنّه قد أحبّه محبّةً عظيمة معها كمال الخضوع والتذلّل, هذه هي محبّة العبادة, من المحبّة ما ليست عبادة, محبّة طبيعية جعلها الله سبحانه وتعالى في قلوب العباد كمحبّة الأب لابنه, محبّة الزوج لزوجته, وما شابه، هذه محبة طبيعية وليست تعبدية, المحبّة التي نتحدث عنها هي المحبّة التعبدية التي يكون معها كمال الخضوع والتذلّل, هي توجبه, توجب كمال الخضوع والتذلل للمحبوب, هذه المحبّة هي التي قال الله سبحانه وتعالى فيها: "ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً"، يعني من الناس من يتّخذ من غير الله أنداداً يعني: من يجعلونه نِدّاً لله, مثيلاً له, في ماذا؟ في المحبّة, ولذلك قال: "يحبونهم كحبّ الله", يحبونهم: يحبون الأنداد الذين

اتخذوهم مع الله وجعلوهم نداً لله, يحبونهم كما يحبون الله, يحبونهم كحبّ الله, وهذا الشرك, هذا معنى الشرك, أن تحبّ مخلوقاً مع الله تبارك وتعالى, أن تحب شيئاً مع الله تبارك وتعالى كحبّك لله أو أعظم حبّاً, هذا الشرك بالله تبارك وتعالى في محبّة الله تبارك وتعالى, "ومن الناس من يتخذ من دون الله" يعني من غير الله "أنداداً" يعني: أُناس أو مخلوقات يجعلونها نداً مماثلة ومشابهة لله في محبتهم لهم، فيحبونهم كحبّ الله أو أشدّ حبّاً, هذا معنى الآية, والباب معقود لهذا, أنّ هذه المحبّة التعبدية يجب أن تكون لله خالصة ولا يجوز صرفها لغير الله وصرفها لغير الله شركٌ, ما هو ضابطها؟ قلنا: المحبّة التي معها كمال الخضوع والتذلل, فأنت تطيع المحبوب وتجتنب ما نهى عنه من أجل خضوعك وتذللك له ومحبته وتعظيمه في قلبك, هذا معنى المحبّة التعبدية.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقوله: "قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ"".

"قل": يا محمد, "إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ"، يعني قبائلكم، "وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا"، يعني اكتسبتموها، "وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا"، أي: تخشون عدم نفادها، "وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ"، بحيث إنكم تقدّمون الاستمتاع بهذه الأشياء وتقدمون طاعة الوالدين وتقدمون طاعة القبيلة والعشيرة على أمر الله تبارك وتعالى, هذا يدلّ على أنّ محبتكم لهذه الأمور أعظم من محبتكم لله تبارك وتعالى حيث إنّكم قدمتم أوامر الوالدين وأوامر القبيلة وأطعتم الأزواج في معصية الله سبحانه وتعالى, هنا تكونون في هذه الحالة قد قدمتم هذه الأمور على أمر الله تبارك وتعالى، "وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ"، يعني إن كانت هذه الأمور أحبّ إليكم من الله "وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا"، يعني إذا كانت هذه الأشياء المذكورات هي أحبّ إليكم من الله ورسوله فلا تطيعون الله سبحانه وتعالى وتطيعون الوالدين أو تطيعون العشائر

أو الأزواج أو تركنون إلى الدنيا وتتركون أوامر الله سبحانه وتعالى وطاعته, قال: "فتربصوا" إذا كانت هذه الحال, يعني انتظروا عقاب الله سبحانه وتعالى "حتى يأتي الله بأمره" أي: بعقابه, قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "فدلّت الآية على أنّ محبّة هؤلاء، وإن كانت من غير محبّة العبادة .." هذه محبّة طبيعية تكون, محبّة الأب, محبة الابن, محبّة الزوجة, محبّة القبيلة , محبّات طبيعية, قال: "وإن كانت من غير محبة العبادة؛ إذا فضّلت على محبّة الله صارت سببا للعقوبة، ومن هنا نعرف أنّ الإنسان إذا كان يهمل أوامر الله لأوامر والده; فهو يحبّ أباه أكثر من ربّه, وما في القلوب وإن كان لا يعلمه إلّا الله، لكن له شاهد في الجوارح" اهـ، يعني إذا كان ما في القلب مخفي, نحن لا نراه, لكن ما تفعله بجوارحك يدلّ عليه لأنّ الظاهر والباطن متلازمان فما استقر في قلبك نتجت عنه أعمالك الظاهرة في الخارج سواء كان خيراً أو كان شرّاً, نعم, فهذا المقصود من الآية, قالوا: فلا بدّ من إيثار ما أحبّه الله من عبده وأراده على ما يحبّه العبد ويريده, فيحبّ ما يحبّه الله ويبغض ما يبغضه الله ويوالي فيه ويعادي فيه, هذا كلّه من لوازم محبّة الله تبارك وتعالى, ويتابع رسولَه صلى الله عليه وسلم كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ"، إن كنتم صادقين في محبتكم لله إذاً فاتبعوا أمر رسوله صلى الله عليه وسلم واتبعوا سنته، "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ"، والنتيجة: أنكم تصلون إلى أن يحبّكم الله تبارك وتعالى, إذاً من لوازم محبّتك لله أن تتّبع رسوله صلى الله عليه وسلم, وأن تقدّم أمره ونهيه على هواك, هذا المعنى الذي تدلّ عليه الآية.

ثم قال: "عن أنس أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين".

هنا قاعدة يجب أن تعرفها, وهي أنّه إذا جاءك في حديث قول: "لا يؤمن" أو في آية: "لا يؤمن" فاعلم أنّ المنفي إمّا واجبٌ أو شرطٌ أو ركنٌ في الإسلام, يعني لا يصحّ الإسلام إلّا به أو أنّه واجب لا يتم الإيمان تماماً واجباً تاماً إلّا به, لا يتم الإيمان

الواجب إلّا به كما في هذا الحديث, قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"، هنا الآن: إمّا أن يُقال: بأنّ تقديم محبّة الرسول صلى الله عليه وسلم على محبّة كلّ شيء, إمّا أن يُقال بأنّ الإيمان لا يصحّ إلّا بها: لأنّ هذا ما يقتضيه النفي: "لا يؤمن"، أو أن يُقال بأنّ نفي الإيمان المراد به نفي الإيمان الواجب, يعني أنّه إذا لم يفعله يكون آثماً لا يكون كافراً بخلاف نفي أصل الإيمان, إذا قلنا هنا بأنّ النفي نفي لأصل الإيمان يكون كافراً إذا لم يأت به, فهنا الآن: عدم تقديم محبّة النبي صلى الله عليه وسلم على كلّ شيء إمّا أن يكون كفراً أو أن يكون فِسقاً, إذا قلنا النفي هنا نفي لأصل الإيمان: "لا يؤمن أحدكم", نفي لأصل الإيمان, يكون من لم يأت به فهو كافر, أو أن نقول بأنّ نفي الإيمان هنا نفي للإيمان الواجب, تمام الإيمان الواجب, الإيمان الواجب عنده ناقص فيكون فاسقاً, هذا اللفظ: "لا يؤمن" لا يأتي إلّا لأحد هذين الأمرين: إمّا لنفي أصل الإيمان أو لنفي التمام الواجب للإيمان, هذا يجب أن يُفهَم جيّداً, هذه قاعدة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ولعلّها مذكورة عندكم في الشرح الذي شرحه الشارح في فتح المجيد, هنا في هذا الموطن المراد بالنفي نفي كمال الإيمان الواجب وليس نفياً لأصل الإيمان, نفي كمال الإيمان الواجب, يعني أنّ من لم يُقدّم محبّة الرسول صلى الله عليه وسلم على محبّة كلّ شيءٍ يكون فاسقاً لم يأتِ بما أوجب الله عليه, أو بكلّ ما أوجب الله عليه, لماذا قلنا هذا ولم نقل بأنّه نفيٌ لأصل الإيمان فيكون كافراً إذا لم يفعل ذلك؟ قلنا هذا لحديث عمر أنّه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "إنّك لأحبّ إليّ من كلّ شيء إلّا من نفسي" لاحظ هنا, قال عمر: "إلّا من نفسي"، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا، والذي نفسي بيده, حتى أكون أحبّ إليك من نفسك"، قال: "الآن والله لأنت أحبّ إليّ من نفسي"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الآن يا عمر"، أي: الآن حتى أتممت الواجب, لذلك قلنا بأنّ الإيمان المنفي هنا هو كمال الإيمان الواجب إلّا إذا خلا القلب من محبّة الرسول صلى الله عليه وسلم إطلاقاً فهنا يكون النفي لأصل الإيمان

وليست مسألة تقديم, ما خلا من محبّة النبي صلى الله عليه وسلم, فلا يحبّ النبي صلى الله عليه وسلم هذا لا يكون مؤمناً, "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" أخرجاه"، إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم في نفس المؤمن بهذه الدرجة سيقدّم اتّباعه على كلّ ما تهوى نفسه ولا بدّ, هذا من لوازمها, والمسألة تزيد وتنقص على حسب المحبّة, محبّة النبي صلى الله عليه وسلم في القلب يزيد وينقص الاتباع.

الشاهد من الحديث المتقدّم أنّه إذا كانت محبّة الرسول صلى الله عليه وسلم بها يتحقق كمال الإيمان فلا يتحقق كمال الإيمان إلّا بأن يكون الرسول أحبّ إلى الإنسان من نفسه ومن الناس جميعاً, فمحبّة الله أولى وأعظم.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: "ولهما عنه" للبخاري ومسلم, "عنه" يعني: عن أنس, "قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبّه إلّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النّار" وفي رواية: "لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى ......" إلى آخره".

ثلاث خصال, ثلاثٌ من كنّ فيه, ثلاث خصال إذا تحقّق وجودهن كاملات في نفسك وجدت حلاوة الإيمان, أي: وجدت لذّته, للإيمان لذة عظيمة مَن وجدها في قلبه عرفها, ولا يعرف تلك اللذة إلّا من وجدها, وهذه الخصال الثلاث إذا حققها العبد تحقيقاً تامّاً وجد هذه الحلاوة في قلبه ولا بدً, "أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما"، تُقدِّم محبّة الله على كلّ شيء, فلا يُشرِك في محبّة الله أحداً, حتى الرسول صلى الله عليه وسلم, لا تكون محبّته كمحبّة الله تبارك وتعالى, ولكننا نحبّه لأنّ الله تبارك وتعالى اصطفاه ولأنّ الله تبارك وتعالى يحبّه, فمحبّته من محبّة الله تبارك وتعالى, ولا نساوي محبّته بمحبّة أحدٍ إلّا أنّ محبّته تابعة لمحبّة الله تبارك وتعالى, "أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما" فهذا يشمل كلّ شيء, وهذه المحبّة لها لوازم, إذا

أحببت الله تبارك وتعالى محبّة حقيقية تامة وأحببت الرسول صلى الله عليه وسلم محبة حقيقية تامة, عندئذٍ يستلزم أن تحب طاعته تبارك وتعالى, وأن تحبّ طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم, وأن تحبّ التأسي به واتباعه, هذه لوازم المحبّة, محبّة ليست لها هذه اللوازم ليست محبّة حقيقية, أعد نظراً فيها, "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله"، إذا كانت محبّتك حقيقية تامة ستولّد هذا الأمر وهو طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله والتأسي بنبيّه صلى الله عليه وسلم, وعلى قدر المحبّة تكون هذه الطاعة, أمرٌ ملازم, هذه هي المحبّة الحقيقية التي تُوجد حلاوة الإيمان في القلب, "وأن يحبّ المرء لا يحبّه إلّا لله"، هذه أيضاً من لوازم محبّة الله, إذا أحببت الله سبحانه وتعالى أحببت أهل طاعته, أحببت أولياءه, أحببت الأنبياء والصالحين لأنّهم مطيعون لله تبارك وتعالى, محبوبون له, فأنت تحبّ من يحبّ حبيبك, فأنت تحبّه لله, وتحبّه مرضاة لله تبارك وتعالى, فأنت تتقرب إلى الله بحبّه, تحبّه لأنّ الله يحبّه, وتحبه قربةً لله تبارك وتعالى, "وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه" لأنّ الله لا يحبّ الكفر, هو لا يحبّه, فأنت لا تحبّ الكفر لأنّ الله لا يحبّه وتكره أن تعود فيه لأنّه لا يُرضي محبوبك, وفيه استنقاصٌ لِحقّه فلا ترضاه, "كما يكره أن يُقذَف في النار" كراهيته للكفر ككراهيته لعذاب جهنّم, من شدة محبّته لله فهو يحبّ ما يحبّ ويبغض ما يبغض, بهذا ينال العبد حلاوة الإيمان, في رواية: "لا يجد أحد حلاوة الإيمان .." يعني أنّ حلاوة الإيمان لا تتحقق إلّا بهذه الخصال الثلاث.

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وعن ابن عباس قال: "من أحبّ في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنّما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان- وإن كثرت صلاته وصومه- حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا" رواه ابن جرير".

هذا موقوف عن ابن عباس, قال: "من أحبّ في الله وأبغض في الله" الحبّ في الله والبغض في الله, أَحبّ أهل الإيمان, أهل الطاعة, من أجل الله سبحانه وتعالى,

وأَبغض أهل الكفر, أهل المعصية والشرك, أَبغضهم لله لأنّ الله يبغضهم, "لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ" فمن أَحبّ ربّه تبارك وتعالى أحبّ من يحبّ وأَبغض من يبغض, فأنت لا تحبّ أعداء الله لأنّ الله لا يحبّهم, فلا يمكن لعبدٍ أَحبّ الله سبحانه وتعالى وأَحبّ طاعته وأَحبّ توحيده أن يحبّ من يكفر بالله سبحانه وتعالى ومن يسب الله ومن يدّعي على الله ما لا يجوز في حقّه, لا يمكن أن يحصل هذا, محبّتك لله تبارك وتعالى تمنعك من هذا, أن تحبّ من يبغض الله تبارك وتعالى, "ووالى في الله" الولاء: المحبة والنصرة, يحبّ الشخص لأنّه قريب من الله, وينصره لذلك, فيقدم محبّة الله تبارك وتعالى والمحبّة فيه على كلّ شيء, فتصبح إرادتك تابعة لإرادة الله تبارك وتعالى فتريد ما يريده وتحبّ ما يحبه, هكذا تكون المحبّة الحقيقية لله تبارك وتعالى, "ووالى في الله" أحبّ ونصر في الله, فإذا كان العبد مطيعاً لله أحبه ونصره, إذا كان كافراً فاجراً ابتعد عنه, أبغضه, وعاداه, "ووالى في الله وعادى في الله، فإنّما تُنال وَلاية الله بذلك" يعني: تولّيه لعبده, كيف تريد من الله سبحانه وتعالى أن يتولّاك, أن يتكفّل بأمرك, أن يحفظك, أن ينصرك, أن يحبّك, كيف؟ بفعل هذا الأمر: أن تحبّ فيه وأن تبغض فيه وأن توالي فيه وأن تعادي فيه, "ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك" يعني يحبّ في الله ويبغض في الله ويوالي في الله ويعادي في الله, "وقد صارت عامّة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا" يذكر حال الناس في ذاك الزمن, فلو جاء ونظر في زمننا ماذا كان سيقول؟ "مؤاخاة الناس" محبتهم, نصرتهم للشخص, موالاتهم له على أمر الدنيا, إن وجدوا منه منفعة دنيوية والوه, وإن لم يجدوا منه منفعة دنيوية عادوه, قال: "وذلك لا يجدي على أهله شيئاً" لا ينفعهم عند الله تبارك وتعالى شيئاً هذا الأمر, "رواه ابن جرير" الطبري.

قال المصنف رحمه الله: "وقال ابن عباس في قوله تعالى: "وتقطّعت بهم الأسباب" قال: المودة".

المودة يعني المحبة والأُخُوّة التي تكون بينهم في الدنيا, خانتهم أحوج ما كانوا إليها وتبرّأَ بعضهم من بعض, "الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌ إلّا المتقين", "إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب"، هذا يكون في نهاية الأمر عند الله سبحانه وتعالى, فالذي ينفع هي صحبة الإيمان, أخوّة الدين, الولاء في الله والبراء فيه, والمحبّة والنصرة فيه, فقط, هذا هو الذي ينفع عند الله تبارك وتعالى, أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يوالي فيه ويعادي فيه, وفقنا الله وإياكم لطاعته, ونكتفي بهذا القدر.

الدرس رقم 20

الدرس العشرون من شرح كتاب التوحيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , أمّا بعد:

فقال المؤلف رحمه الله عند الباب الحادي والثلاثين: "باب قول الله تعالى: "إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ".

أهل السنة والجماعة يعبدون الله تبارك وتعالى ويتقربون إليه محبّةً له وخوفاً منه ورجاءً له, هذا منهجهم, المحبّة تقدم الحديث عنها, والخوف والرجاء: قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: "وادعوه خوفاً وطمعاً", وقال: "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا"، وقال: "إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا", هذه الأدلة تدلّ على أنّ العبد يجب أن يعبد الله محبةً له وخوفاً منه ورجاءً, يخافه, يخاف عذابه في الدنيا وفي الآخرة, ويرجوه, يرجو رحمته في الدنيا وفي الآخرة, يرجو رحمته في الدنيا بأن يُنعم عليه بأنواع النعم من صحة وعافيةٍ ومأكلٍ ومشرَبٍ وغير ذلك, ويرجو رحمته في الآخرة بأن يُنعم عليه بالجنّة وأن يعيذه من النّار, ويخافه, يخاف عذابه في الدنيا بأنواع البلايا, ويخاف عذابه في الآخرة, عذاب نار جهنم, ذكر المؤلف رحمه الله سابقاً المحبّة, ويذكر هنا الخوف, ويبيّن لنا بالآيات التي سيسوقها أنّ الخوف عبادة, وإذا كان الخوف عبادة وقربة لله تبارك وتعالى, فلا يجوز صرفه لغير الله, لكنّ العلماء يقسمون الخوف إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: خوف العبادة: وهو الذي يكون معه كمال الخضوع والتذلل, كالخوف الذي يحصل من الصوفية عند عبادتهم لأوليائهم, لأصحاب القبور, تجد الواحد منهم يخاف الولي كخوفه من الله تبارك وتعالى ويرجوه كما يرجو الله تبارك وتعالى ويحبّه كذلك, هذا الخوف هو خوف العبادة, معه كمال الخضوع والتذلل, ولذلك تجدهم يعبدون القبور ويتقرّبون إلى أصحابها لأنّهم قد خضعوا لهم وتذللوا وخافوهم وأحبوهم

ورجَوهم, هذا الخوف هو الذي كان يحصل من كفّار قريش لأصنامهم, وهو الذي يحصل من الموحّدين لربهم تبارك وتعالى, هذا هو خوف العبادة, تخاف الصنم كخوفك من الله, تخاف الولي كخوفك من الله, هذا خوف عبادة معه كمال الخضوع والتذلل, فأنت تخاف الله, تعبده, تخضع وتتذلل له لأنّك تخافه ولأنّك تحبّه ولأنّك ترجوه, هكذا يكون التوحيد, أن تصرف هذا الخوف لله تبارك وتعالى خاصة ولا تشرك معه فيه غيره, وقد ذكرناه وقلنا بأنّه الخوف الذي معه كمال الخضوع والتذلل, هذا يكون خوف عبادة.

ضابطه: أن يخاف مخلوقاً ليس معه سببٌ ظاهرٌ للخوف منه, فالولي في قبره: هل معه سبب ظاهر من الممكن أن يؤثّر في العبد؟ ليس معه شيء, ونحن جميعاً نعلم أنّه لا يقدر على أن ينفع نفسه أو أن يضرّها, فليس معه سببٌ ظاهر, لا معه سلاح يستطيع أن يضربك به, ولا معه خبز, ولا معه ماء حتى يطعمك, فليس معه سبب ظاهر, فلماذا تخافه؟ تخافه كخوفك من الله سبحانه وتعالى؟ لأنّك تعتقد أن بيده شيئاً من تصرف بالكون أو أن بيده ما ينفعك به كما ينفعك الله سبحانه وتعالى, فلذلك تخافه, أو يضرك به كما يصلك الضرر من الله سبحانه وتعالى, فأنت تخافه لذلك, هذا هو الضابط: أن يخاف مخلوقاً ليس معه سبب ظاهر للخوف منه, فإذا حصل منه ذلك فيكون قد حصل منه خوف العبادة.

وهذا القسم الأول يسميه العلماء بخوف السّر.

القسم الثاني من الخوف: الخوف الطبيعي: أن تخاف من عدوٍ, تخاف من سبع, تخاف من إنسان معه سلاح يريد أن يقتلك, هذا ما فيه بأس, هذا جائز, لأنّه أمر قد جعله الله سبحانه وتعالى في خلقه, وقد حصل من بعض أنبياء الله تبارك وتعالى, كما حصل لموسى عليه السلام وغيره.

القسم الثالث: خوفك من الناس الخوف الذي يدفعك إلى ترك واجب أو فعل محرّم, أن تخاف من الناس بحيث يدفعك هذا الخوف إلى ترك واجب أو فعل محرّم, لا

نتحدث عن الإكراه، الإكراه شيءٌ آخر, نحن نتحدث الآن عن الخوف, وهذا النوع من الخوف هو خوف شركي أيضاً, لكنّه من الشرك الأصغر كما نصّ العلماء على ذلك, فهو منافٍ لكمال التوحيد الواجب وليس منافياً لأصل التوحيد.

نرجع إلى الآيةِ التي ذكرها المؤلف: "إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"، يثبت المؤلف بهذه الآية أنّ الخوف عبادةٌ قد أمر الله تبارك وتعالى بها عباده أن يعبدوه بها, وذلك بقوله: "فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ", إذاً: هو أمرهم بالخوف منه, فالخوف منه عبادة وقربة, فصرفها لغير الله شرك, "إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ"، أي التخويف من المشركين حاصلٌ من الشيطان، "يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ"، أي يخوفكم من أوليائه, وأولياؤه هم أنصاره وأتباعه, يخوفكم منهم, قال: "فَلا تَخَافُوهُمْ"، فلا تخافوا أنصار الشيطان, لا تخافوا الكفرة, وجاهدوا في سبيل الله، "وَخَافُونِ"، خافوا الله سبحانه وتعالى فاعملوا بأمره الذي أمركم به واجتنبوا ما نهاكم عنه ولا تخافوا الناس، "إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"، حقاً, فمن حصل منه الخوف من الناس وترك واجباً أو فعل محرّماً هذا وقع في الشرك الأصغر, قدّمَ خوف الناس على خوفه من الله سبحانه وتعالى, نعم.

قال المؤلف رحمه الله: "وقوله: "إنّما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر وأقام الصلاة و أتى الزكاة ولم يخش إلّا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين".

الذين يعمرون مساجد الله هم أهل الإيمان، كيف يكون تعميرها؟ يكون تعميرها بالصلاة فيها والذكر والطاعة، "إنّما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر"أهل الإيمان يُصدّقون بالله تبارك وتعالى، بوجوده, يؤمنون بألوهيته، بربوبيته, بأسمائه وصفاته, ويؤمنون باليوم الأخر وأنّه حقّ وسيكون.

"وأقام الصلاة و أتى الزكاة ولم يخش إلّا الله" هذا الشاهد, المؤمن إيماناً تماماً هذا لا يخشى إلّا الله سبحانه وتعالى، لا يخشى البشر ولا يخشى أحداً من الخلق، خشيته تكون من الله فقط، و الخشية نوع من الخوف، لذلك ذكر المؤلف الآية هنا كي يبين

أنّ الخوف عبادة لا يجوز صرفه لغير الله, خوف الخضوع والتذلل, خوف الطاعة, هذا عبادة لله لا يجوز صرفه لغيره لذلك قال هنا: "ولم يخش إلّا الله"، "فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين" أي أنّ أولئك هم الذين يكونون من المهتدين، لأنّ (عسى) في القرآن واجبة - أي الأمر واقع ولا محالة-، عسى أن يكونوا من المهتدين، هداية توفيق, وهداية بيان, قد تبين لهم الحق ووفقهم الله سبحانه وتعالى إليه.

الشاهد قوله: "ولم يخش إلّا الله"، هذه خشية التعظيم، خشية العبادة، خشية الطاعة يجب أن تكون لله وحده وصرفها لغير الله شركٌ.

قال المؤلف رحمه الله: "وقوله: "ومن النَّاس من يقول آمنّا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة النَّاس كعذاب الله"".

الواحد منّا إذا آمن واستقام لا يريد أن يُؤذى، يريد أن يبقى في سلام وفي اطمئنان وفي أمن ويريد أن يكون بعيد عن الاختبار والامتحان والابتلاء وهذا مستحيل.

قد وعد الله تبارك وتعالى باختبار وابتلاء كلّ من أَمِنَ فقال: "ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون" الآية، و كذلك قال الله سبحانه وتعالى: "أحسب النَّاس أن يتكروا أن يقولوا آمنا و هم لا يفتنون"، هذا مستحيل لابدّ من الفتنة والاختبار، لابدّ من الامتحان، فإذا أصابتك أذية فاصبر، أنت مأمور بهذا, مأمور بالصبر على هذا الإيذاء الذي يقع عليك، خصوصاً الذي يقع عليك بسبب الدين, لابدّ منه ولابدّ لك من الصبر ولا تجعل فتنة الناس كعذاب الله, تخاف من الناس أن يؤذوك فتترك الاستقامة أو تترك الدين لأجل أن لا تُؤذى فتجعل فتنة الناس كعذاب الله، "ومن الناس من يقول آمنّا بالله فإذا أوذي في الله" اختُبر وامتُحن ونزل به البلاء، "جعل فتنة الناس كعذاب الله"، جعل أذيتهم له كعذاب الله فيفرّ من أذيتهم، هو محتاج لهذا الآن, يفرّ من أذيتهم بموافقة أهوائهم، فيترك أمر الله تبارك وتعالى أو يقع فيما نهى الله تبارك وتعالى عنه فيكون قد جعل خوفه من

الناس كخوفه من الله تبارك وتعالى وهذا المحذور الذي أراد المؤلف رحمه الله أن يشير إليه عند ذكره لهذه الآية, هذا غير جائز أن يخاف من الناس كخوفه من الله تبارك وتعالى أو أشد فيقع في الشرك.

قال المؤلف رحمه الله: "عن أبي سعيد مرفوعا" يعني يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: "إنّ من ضعف اليقين أن تُرضي النَّاس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إنّ رزق الله لا يـجرّه حرص حريص ولا يردّه كراهية كارهٍ".

هذا الحديث حديث ضعيف والشاهد منه قوله: "أن تُرضي النَّاس بسخط الله".

قال المؤلف رحمه الله: "وعن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من التمس رضى الله بسخط النَّاس رضي الله عنه و أرضى عنه الناس" الحديث".

والله هذا أمرٌ مُجرّب يا إخوة، هذا أمرٌ مُجرّب, في بداية الاستقامة تعرضنا لأنواع من الضغوطات, بسبب اللحية, وبسبب الثوب القصير وغير ذلك من أحكام شرع الله تبارك وتعالى خصوصاً أنّها كانت في فترةٍ ما زالت السنة فيها غير معروفة عند الناس, وكنا بين أمرين إمّا أن نطيعهم و أن نترك ما أمر الله تبارك وتعالى به أو أن نصبر على أذيتهم وعلى سخطهم وسينالنا من وراء ذلك ما سينالنا من الأذى, فصبرنا وطلبنا العلم, ووفقنا الله تبارك وتعالى إليه, وصار الناس الذين يحاربوننا بالأمس يرجعون اليوم إلينا في أمور دينهم, أنا أذكر لكم ذلك بارك الله فيكم كي تصبروا وتعلموا أن العاقبة خيرٌ لكم إذا صبرتم على أذيّة من حولكم خصوصاً الأهل و الأقارب، نحن نعيش في بيئة متشابهة, وما وقع لي وقع لزيد و وقع لعمر ويقع لكم أيضاً، فاصبروا بارك الله فيكم واثبتوا وتعلموا وستجدون إن شاء الله عاقبةً طيبة.

"من التمس رضى الله بسخط النَّاس" هذا هو الذي نتحدث عنه أن تثبت على ما أمرك الله به وما نهاك عنه ولا تبالي بعداء من يعاديك من أهلك أو أقربائك أو غيرهم,

وستنظر عواقب الأمور بعد ذلك، "من التمس رضى الله بسخط النَّاس رضي الله عنه و أرضى عنه الناس"، والله ستتفاجأ عندما ينقلب سخط الناس عليك إلى رضى إذا صبرت وثبت، "ومن التمس رضى النَّاس بسخط الله"وهذا قد رأيناه من بعض الإخوة هداهم الله وأصلح حالهم وردهم إلى دينه رداً جميلاً، كان الشاب يستقيم معنا فترةً فيتعرض لمضايقات من أهله و أقاربه فلا يصبر ويذهب معهم على ما يريدون, ولا والله ما يحصل على رضاهم, يبقون ساخطين عليه.

"ومن التمس رضى النَّاس بسخط الله سخط الله عليه و أسخط عليه النَّاس" رواه ابن حبان في صحيحه".

وهذا حقّ والله، ولعلّ الكثير منّا مرّ بهذا وما زال, والشاهد بارك الله فيكم من هذا أنّ العبد يجب أن يخاف الله سبحانه وتعالى و أن لا يخاف الخلق معه, وخوف العبادة يجب أن يكون خاصاً بالله تبارك وتعالى, ولا يخاف من الناس كخوفهم من الله تبارك وتعالى أو أشد خوفاً، ولا يقدم رضى الناس على رضى الله سبحانه وتعالى.

الشاهد من الباب: هو أنّ الخوف منه عبادة, وخوف العبادة هذا عمل قلبي يجب أن يكون خالصاً لله تبارك وتعالى و أن لا يُشرَك به مع الله تبارك وتعالى أحداً.

قال المؤلف رحمه الله: "باب قول الله تعالى: "وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين"".

التوكل: هو اعتماد القلب على الله تبارك وتعالى, ما معنى نتوكل على الله؟ يعني: تعتمد بقلبك على الله سبحانه وتعالى, يكون يقينك في قلبك في الداخل بأنّ الله تبارك وتعالى هو الذي سيقضي لك غرضك, فاعتمادك عليه لا على غيره, وغيره أسباب في قضاء الحوائج, "وعلى الله فتوكلوا" هنا في تقديم, ما قال: توكلوا على الله, قال: "وعلى الله فتوكلوا" وهذا يفيد الحصر, يعني: توكلوا على الله ولا توكّلوا على غيره, "إن كنتم مؤمنين" إن كنتم صادقين في إيمانكم، فاعتمادكم يجب أن يكون على الله تبارك وتعالى لا على غيره, هذا معنى هذه الآية: "وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين"، فالتوكل هو اعتماد القلب, اعتماد القلب يجب أن يكون على الله تبارك وتعالى لا على غيره, إذاً

التوكل من أعمال القلوب, وهو قربة لله تبارك وتعالى, يجب عليك أن تعتمد على الله لا أن تعتمد على غيره, وإذا صرفت هذا التوكل إلى غير الله تكون قد أشركت, يقول شارح كتاب التوحيد: "لكنّ التوكل على غير الله قسمان:
أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلاّ الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعة فهذا شرك أكبر"، الاعتماد على الأولياء أو على الإنس والجنّ فيما لا يقدر عليه إلّا الله هذا شركٌ أكبر.
"الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالى عليه"، وهذا واقع فيه كثير من الناس اليوم, خصوصاً في قضية الرزق, لو تركّزون على الناس وتعلّقهم بالأشخاص الذين يأخذون منهم رواتبهم ستجدون هذا النوع في قلوبهم, يعتمدون عليهم في رزقهم, "الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالى عليه من رزق، أو دفع أذى ونحو ذلك، فهو نوع شرك أصغر"، هو ما اعتمد عليه اعتماداً تامّاً ولا اعتقد أنّه هو الذي يرزقه لكن في قلبه تعلّقٌ بهذا الشخص الذي بيده رزقه, فيه نوع اعتماد, فهذا شركٌ أصغر.
قال: "والوكالة الجائزة هي توكيل الإنسانِ في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه"، أي: إنّه أفعال في الظاهر, أفعال في الجوارح, أمّا الاعتماد القلبي: يعتمد على الله, أمّا إعانة في جوارحه فهذه ما فيها بأس, تُوكِّل شخص أن يشتري لك غرضاً, أن يذبح لك شاةً مثلاً, أن يفعل لك أمراً, ما فيه بأس, هذه الوكالة وكالة جائزة, لأنّ اعتمادك القلبي على الله في قضائها لا على هذا الشخص, لكن هو سبب، فأنت تتخذه سبباً, هذه وكالة جائزة, قال: "والوكالة الجائزة هي توكيل الإنسانِ في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكّله عليّه"، الاعتماد القلبي يكون على الله وليس على الإنسان, هذا سبب, فقط يريد أن يأخذ بالأسباب, فهو عنده شغل, غير قادر, هذا الشخص يقدر, فارغ, يعطيه كي يفعل له هذا الشيء, كما وكّل النبي

صلى الله عليه وسلم أحد الصحابة أن يذهب ويشتري له شاة, قال: "بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه"، يعني يطلبه بنفسه أو يطلبه عن طريق نائبه هذا الذي وكّله، "وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها، ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبِّب"، الذي هو الله "الذي أوجد السبب والمسبَّب".

قال المصنف رحمه الله تعالى: "وقوله: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ"" يعني: خافت، "وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا" يركزون على الآيات التي تتلى عليهم, يفهمون معانيها فتزيدهم إيماناً وقربة لله سبحانه وتعالى، "وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" هذا الشاهد, المؤمن حقّاً هو الذي يعتمد على الله تبارك وتعالى لا يعتمد على غيره, وكيف يكون ذلك؟ إذا تأملتَ قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: "واعلم أنّ الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"، من آمن بهذا الحديث حقّ الإيمان كان اعتماده كلُّه على الله تبارك وتعالى لا على غيره, الشاهد من الآية قوله: "وعلى ربهم يتوكّلون"، يعني يعتمدون على ربّهم بقلوبهم ولا يعتمدون على غيره.

قال المؤلف: "وقوله: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"".

يعني: الله كافيك وكافي من اتّبعك من المؤمنين, فإذا كان الله هو الكافي, إذاً الاعتماد يكون على من؟ على الله سبحانه وتعالى, هذا الشاهد من الآية.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقوله: "ومن يتوكّل على الله فهو حسبه"".

من يتوكل على الله فهو كافيه, إذاً الاعتماد يكون على الله تبارك وتعالى لا على غيره, والشاهد هنا قوله "ومن يتوكّل على الله فهو حسبه"، والذي لا يعتمد على الله فلا يكفيه الله سبحانه وتعالى فيضل.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وعن ابن عباس قال: ""حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ""، حسبنا الله أي: الله كافينا, ونعم من نعتمد عليه في كفاية أمرنا كلّه, "قالها إبراهيم

-عليه السلام- حين أُلقي في النّار"، إبراهيم عليه السلام النبي قالها حين ألقي في النّار فكفاه الله سبحانه وتعالى وجعلها باردة عليه، "وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: "إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ""، أي: الله سبحانه وتعالى كافينا وهو نِعم من نتوكل عليه, قالها النبي صلى الله عليه وسلم بعد مُنصرَف قريش والأحزاب من أُحُد فكفاه الله سبحانه وتعالى شرّهم.
إذاً المقصود من هذا الباب هو اعتماد القلب على الله تبارك وتعالى في كلّ أمرك, وهذا أمر خاص بالله, لا يجوز صرف هذا الاعتماد على غيره, فهذه من أعمال القلوب: المحبّة والخوف والتوكّل, كلّها من أعمال القلوب, هي عبادات لكنّها من أعمال القلوب لا من أعمال الجوارح, مثلاً الصلاة, الصيام, الزكاة, هذه من أعمال الجوارح, هي عبادات, لكنّها من أعمال الجوارح, وهذه الأخرى: المحبّة والخوف والرجاء والتوكل والإنابة ..إلى آخره, هذه أيضاً عبادات ولكنّها من أعمال القلوب, وكلّها ثبتت بأنّها عبادات بالآيات التي ذكرها المؤلف, وصرْفها لغير الله شرك بالله تبارك وتعالى لأنّك تكون قد صَرفت عبادة من العبادات لغيره تبارك وتعالى, أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لطاعته ونكتفي بهذا القدر.

الدرس رقم 21

الدرس الحادي والعشرون من شرح كتاب التوحيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , أمّا بعد: فنحن الآن في الباب الثالث والثلاثين.

قال المؤلف رحمه الله: "باب قول الله تعالى: "أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ"".

هذا الباب معقود كي يبيّن المؤلف عِظَم هذا الذنب وهو الأمن من مكر الله, وهذا الأمن من مكر الله هو سببٌ لارتكاب المعاصي والذنوب والاستمرار عليها, فمعنى الأمن من مكر الله أن يعطيك الله سبحانه وتعالى من الخيرات وأن يُنعم عليك وأن يمنّ عليك بأنواع الفضل وأنت مستمر في معصيته ومستمر على الذنب ومستمر على الشرك ولا تبالي, وأنت قد أمنت من أن ينزل الله عليك عذاباً أو أن يقطع عنك النعمة التي أنعم بها عليك, هذا معنى الأمن من مكر الله, تبقى على الذنب ويعطيك الله وينعم عليك بأنواع النعم وأنت باقٍ على الذنب, مستمرٌّ عليه, آمنٌ من أن يعذّبك الله سبحانه وتعالى, هذا معنى الأمن من مكر الله, وهو سبب في ارتكاب الذنوب, سبب في الاستمرار عليها, سبب في الوقوع في الشرك, سبب في الاستمرار على ذلك, كلّ هذا لأنّك أمنت من مكر الله, فمتى أمنت من مكر الله وقعت في كلّ هذا, هذا معنى الأمن من مكر الله, وكما ذكرنا هو ذنب عظيم منافٍ لكمال التوحيد, التوحيد الواجب لا يتم إلّا بعدم الأمن من مكر الله, أمّا إذا أمن الشخص من مكر الله فهذا ما أتمّ التوحيد الواجب, فالأمن من مكر الله مخلٌّ بالتوحيد, لذلك المؤلف رحمه الله ذكره هنا, إذاً ينبغي على العبد أن يكون خائفاً من الله دائماً, إن أعطاك وأنعم عليك تبقى خائفاً من الله سبحانه وتعالى, حتى وإن لم يعطك ولم ينعم عليك في بعض الجوانب, نِعم الله دائماً موجودة على العباد, لكن في بعض الجوانب, أيضاً دائماً تبقى

في حال خوف من الله سبحانه وتعالى أن ينزل عليك العذاب أو أن يقطع عنك النعمة أو أن لا يوفقك للهداية, يبقى دائماً خوفك من الله موجود, فالمؤمن يجب أن يكون سائراً إلى الله تبارك وتعالى بالخوف والرجاء, فتخاف من الله ولا تأمن من مكره, وترجو خير ما عنده, وترجو نعمته, ولا تقنط من رحمة الله, فالأمن من مكر الله يخالف الخوف من الله, الخوف من الله واجب, والأمن من مكر الله محرم, وهما ضدّان, وكذلك القنوط من رحمة الله, هذا محرم كذلك, والواجب هو الرجاء: أن ترجو رحمة الله تبارك وتعالى كما سيأتي في الباب الذي بعده, وهذه الآية فيها أنّ الله تبارك وتعالى ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل ثم بيّن أنّ الذي حملهم على التكذيب وعلى الشرك هو الأمن من مكر الله وعدم الخوف منه, فقال: "أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ" يعني أمنوا من أن يُنزل الله تبارك وتعالى عليهم العذاب وهم نائمون في الليل, "أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ" يعني الهالكون, هذا معنى الآية, إذاً: الأمن من مكر الله ذنب عظيم يؤدي إلى الشرك, ويؤدي إلى أنواع المعاصي والذنوب, لذلك هو مخلّ بكمال التوحيد.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقوله: "قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ"".

هنا الآن القسم الثاني الذي يقابله, القسم الأول: الأمن من مكر الله, والذي يقابله: هو الناس الذين هم بالضّدّ, بالعكس, الذين يقنطون من رحمة الله, ييأسون من رحمة الله, خلاص يعتبر أنّ رحمة الله بعيدة عنه تماماً, لن تصل إليه, وهذا أيضاً يؤدي به إلى ماذا؟ إلى ترك العمل, ترك الطاعة, لأنّه خلاص يقنط من رحمة الله, يقول: رحمة الله لن تصلني على جميع الأحوال, فيدفعه ذلك إلى ماذا؟ إلى أيضاً المعاصي والذنوب والشرك, الاستمرار عليها, هذا القنوط من رحمة الله, هما ذنبان عظيمان, الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله, الأمن من مكر الله ينقض الخوف, يعني إذا لم تخف من الله تبارك وتعالى كنت من الذين يأمنون من مكر الله سبحانه وتعالى, وإذا قنطت

من رحمة الله كنت من الذين لا يرجون رحمة الله تبارك وتعالى, فالخوف والرجاء واجبان, ينقضهما: الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله, الواجب على العبد أن يعيش بينهما, بين الخوف والرجاء, ويقول أهل العلم: ينبغي أن يكونا من المرء بمنزلة جناحي طائر, أنظر كيف جناحي الطائر يكونان متساويين, كذلك الخوف والرجاء, لا يغلب هذا ولا يغلب هذا, حتى تبقى دائماً مع الله تبارك وتعالى, إذا رأيت نفسك في حالٍ من الخوف شديدة تكاد توصلك إلى القنوط من رحمة الله تبارك وتعالى عندئذٍ تغلّب جانب الرجاء وتستذكر آيات الرحمة وصفات الرحمة, وإذا رأيت من نفسكٍ أنّ جانب الرجاء قد علا وارتفع وغلب جانب الخوف حتى كدت أن تقع في الأمن من مكر الله عندئذٍ تغلّب جانب الخوف من الله تبارك وتعالى وتستحضر آيات العذاب وصفات القوة والشدة, عندئذ تصل إلى إحداث التوازن في نفسك بين الخوف والرجاء, حتى تسلَمَ من الأمن من مكر الله ومن القنوط من رحمة الله, هذا هو الواجب على العبد, والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله كلاهما ينافيان كمال التوحيد, وربما يؤديان إلى انتفاء أصل التوحيد, فالقنوط من رحمة الله هو استبعاد الفَرَجَ, اليأس من رحمة الله, تستبعد أن تصل إليك رحمة الله تبارك وتعالى, "ومن يقنط من رحمة ربّه" يعني: ييأس "إلّا الضالون" الضال فقط هو الذي يصل إلى هذه المرحلة, أمّا أهل طاعة الله تبارك وتعالى, فهؤلاء لا يصلون إلى هذه الدرجة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وعن ابن عباس: "أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الكبائر؟ فقال: الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله"".

اليأس من روح الله: يعني القنوط من رحمة الله تبارك وتعالى, والأمن من مكر الله, والشاهد فيه قوله: "اليأس من روح الله والأمن من مكر الله" , وهذا الحديث جمعَ بين الأمرين, لكنّه حديثٌ رجّح ابن كثير رحمه الله الوقف فيه, فقال: "في إسناده نظر والأشبه أن يكون موقوفاً".

قال المصنف رحمه الله: "وعن ابن مسعود قال: "أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن

من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله" رواه عبد الرزاق".
أي من كلام ابن مسعود موقوفاً عليه, الأمن من مكر الله عرفناه, والقنوط من رحمة الله أيضاً عرفناه, واليأس من روح الله بنفس معنى القنوط من رحمة الله إلّا أنّ الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فرّق بينهما بأنّ القنوط يستبعد حصول المطلوب في المستقبل, قال: واليأس يستبعد زوال المكروه، يعني شيء قد حصل ووقع يستبعد زواله, أمّا الأول يستبعد حصوله أي أنّه ما وقع بعد, أي نعم, هكذا فرّق بينهما الشيخ رحمه الله.
قال رحمه الله تعالى: "باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله".
الصبر في اللغة بمعنى : الحبس, والصبر في الشرع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:
· الصبر على طاعة الله: يعني حبس النفس على طاعة الله تبارك وتعالى, ترويضها على ذلك, ما يسميه البعض بالرياضة, أن تروّض نفسك على طاعة الله تبارك وتعالى وتصبر عليها.
· والصبر عن معصية الله: أي: حبس النفس عن معصية الله, يعني منع النفس من المعصية.
· والصبر على أقدار الله: وهذا الذي ذكره المؤلف.
الصبر على أقدار الله: يعني حبس النفس عن الجزع والتسخّط وحبس اللسان عن التشكّي وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوها, هذا ما ذكره ابن القيم رحمه الله, هذا معنى الصبر على أقدار الله, حبس النفس عن الجزع, لا يحصل في قلبك تسخط على ما حصل, تصبر, تحمد الله وتصبر, وتعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك وأنّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك, تعلم أنّ كلّ مصيبة تنزل عليك وتصبر عليها فلك بها أجر عند الله سبحانه وتعالى, حتى الشوكة يشاكها العبد المؤمن له بذلك أجر عند الله سبحانه وتعالى, فإذا علم ذلك واحتسب, يكون من الصابرين, ويعلم أنّ البلاء لا بدّ حاصل على كلّ مؤمن, "أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا

يُفْتَنُونَ"، "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" فهنا بارك الله فيكم إذا علم الشخص أنّه لا بدّ له من الابتلاء في هذه الدنيا، وأنّ المسألة ليست مسألة دعوى، تدعي أنّك من أهل الإيمان وأنّك من أهل الطاعة ومن أهل الاستقامة وتُتْرَك على ذلك، إذا علم أنّه لا بدّ مبتلى، فإذا أصابه بلاء صبر، عندئذ يكون من الصابرين على أقدار الله تبارك وتعالى، فالصبر على أقدار الله هو: الصبر: الحبس، حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكّي والتسخّط، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما من الأعمال المحرّمة التي تدلّ على التسخّط، هذا معنى الصبر على أقدار الله تبارك وتعالى، وهذا واجب، أمر الله تبارك وتعالى به كما سيأتي في الأدلة التي يذكرها لنا المؤلف رحمه الله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقول الله تعالى: "وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"، قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنّها من عند الله فيرضى ويسلم".

من أصابته مصيبة فعلم أنّها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب جازاه الله بهداية قلبه التي هي أصل كلّ سعادة وخير في الدنيا والآخرة، وقد يخلف الله عليه في الدنيا ما كان أخذه أو خيراً منه، هكذا قالوا في شرح هذه الآية، المعنى الذي يذكره علقمة: "هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنّها من عند الله فيرضى ويسلم" فيجازيه الله تبارك وتعالى بهداية قلبه.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: "وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت"".

هاتان الخصلتان من أعمال كفّار الجاهلية، "هما بهم كفر": يعني ليس كفراً مخرجاً من الملّة ولكنّها خصلة من خصال الكفار تكون فيهم، فهو كفرٌ أصغر، "الطعن في

النسب": يعني عيبه والغمز فيه والطعن, كأن يقال: فلان ليس ابن فلان أو ليس من العشيرة الفلانية, "والنياحة على الميت": وهذا الشاهد, النياحة على الميت وصفها بأنّها من الكفر, "اثنتان في الناس هما بهم كفر", النياحة على الميت: وهذا الذنب ذنب عظيم وهو ناتج عن ماذا؟ ناتج عن عدم الصبر على أقدار الله تبارك وتعالى, فهو تسخط عملي ناتج عن تسخط قلبي سابق له, النياحة على الميت: رفع الصوت بالندب (يا ويلاه على فلان, يا ويلتي مات فلان, يا ساند ظهري, يا فاعل يا فاعل ....) هكذا تكون النياحة, وتبدأ تعدّ فضائله وماذا كان يفعل وما المصائب التي جنتها من وراء موته, إلى آخره, وترفع صوتها بذلك النائحة, فهذا محرّم لأنّ فيه تسخطاً على أقدار الله وعدم الصبر, وهو الشاهد.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "ولهما" يعني للبخاري ومسلم "عن ابن مسعود مرفوعا: "ليس منّا من ضرب الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية".

هذه كلّها أعمال تدلّ على التسخّط على قضاء الله وقدره, أعمال جوارح, تسخط في الجوارح سبقه تسخط بالقلب, "ليس منا" نتركها كما هي أفضل ما قال أهل العلم لا تفسَّر, حتى تبقى هيبتها موجودة في النفوس, إذا فُسِّرَت ضعُفت هيبتها من النفوس, "من ضرب الخدود" حسرةً وندامةً على ما وقع, "وشق الجيوب": أي مزّق ثيابه, الجيب: الموضع الذي تُدخِل رأسك فيه من الثياب, هذا يسمى جيباً, وعند المصيبة أول ما يبدأ الشخص يمسك بهذا وينزعه, هذا الذي يحصل عند كثير من الناس, يمزّقه, ويحدث عند المصيبة, "ودعا بدعوى الجاهلية" دعا على نفسه دعاءً بالويل والثبور, (يا ويلاه, يا مصيبتاه, ..) مثل هذا الكلام, "ودعا بدعوى الجاهلية", هذه كلّها أعمال تسخّط بالجوارح تدلّ على تسخط القلب, وفي بعض البلاد في هذا الوقت, في بعض البلاد الإسلامية إذا حصلت مصيبة بدأ أهل البيت من النساء بالولولة ورفع الصوت بالبكاء ويأتين بشيء كالطاولة أو الطبل ويضربن عليه, ويكون لهن أظافر يمزّعن خدودهن, ويمزّقن ثيابهن, هذا حاصل, اليوم موجود, هذا كلّه من

هذا القبيل, وهو من الذنوب العظيمة, تسخّطٌ على أقدار الله تبارك وتعالى, مخلٌّ بكمال التوحيد, لذلك ذكره المؤلف رحمه الله في كتاب التوحيد.
قال المؤلف رحمه الله: "وعن أنس أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة"".
يعني من نعمة الله تبارك وتعالى أن يبتليك, وهذا يحفّزك على الصبر, يدفعك إلى الصبر على أقدار الله, بل ربما تفرح لو عَظُمَ إيمانك بالمصاب, لماذا؟ لأنّ الله ابتلاك كي يصفّيك من ذنوبك ويخلّصك منها, "إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا"، طبعاً من رحمة الله على العبد ذلك, ولو عفا الله سبحانه وتعالى عنه فلم يعاقبه لا في الدنيا ولا في الآخرة فهو الأفضل والذي نرجوه من الله تبارك وتعالى, لكن ربما يفعل ذلك وربما يعاقب بالذنب في الدنيا, وهذا أيضاً أفضل من الحالة الثالثة, "وإذا أراد بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة"، يأتي بذنبه يوم القيامة على ظهره ويُعذَّب به, نسأل الله العافية والسلامة, إذاً هذا يدفعك إلى الصبر على أقدار الله تبارك وتعالى وتحمد الله على أن اصطفاك بأنّ يعذّبك في الدنيا وألّا يأتيك بذنبك يوم القيامة فيحاسبك عليه ويعذبك عليه, فيدفعك ذلك إلى الصبر ويُثاب على ذلك العبد.
قال المؤلف رحمه الله: "وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنّ عظم الجزاء مع عظم البلاء"، كلّما عظم البلاء عظم الجزاء، "وإنّ الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم"، إذاً لا بدّ من الابتلاء, وعظم البلاء يكون على قدر الإيمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل"، الأمثل: الأقرب إلى الأنبياء, الصديقون مثلاً أعظم بلاءً من الصالحين الذين لم يصلوا إلى درجة الصديقين لأنّهم أعظم إيماناً وهكذا, "وإنّ الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرّضا"، الرضا هذه مرتبة هي أعظم من مرتبة الصبر وهي مستحبة, الصبر واجب على أقدار الله,

والرضا مستحب ولكن هنا الظاهر أنّه يريد من ذلك ألّا تتسخّط فتصبر, لأنّه قرنها بالتسخّط فقال: ""ومن سخط فله السخط" حسنه الترمذي", الشاهد: أنّ الصبر واجب على أقدار الله تبارك وتعالى, وإذا استحضر العبد أنّ البلاء نعمة عليه وفضل حَمِدَ الله وصبر على ذلك فكان له الرضا, وإذا تسخط واعترض على حكم الله فله السخط من الله تبارك وتعالى, نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الصبر والثبات إلى أن نلقاه, وفّقنا الله وإياكم لطاعته, ونكتفي بهذا القدر إن شاء الله.

الدرس رقم 22

الدرس الثاني والعشرون :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وصلنا عند الباب الخامس والثلاثين :

قال المؤلف رحمه الله " باب ما جاء في الرياء "

الرياء : مأخوذ من الرؤية , والمقصود به : أن تعمل العمل ليراك الناس , تعمل العمل الذي هو العبادة , قربة إلى الله سبحانه وتعالى , تعمله كي يراك الناس , هذا معنى الرياء , معنى الرياء أن تعمل العبادة كي يراك الناس , تصلي كي يراك الناس ويثنوا عليك ويمدحوك , تصوم كي يثنوا عليك بالصيام , عبادات , لا نتكلم عن الأمور الدنيوية , نتكلم عن العبادات , القُرَب التي تتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى , تفعلها لا لكي يرضى الله سبحانه وتعالى عنك فقط بل أيضاً كي يمدحوك الناس ويثنوا عليك , هذا معنى الرياء , هذا المقصود بالرياء.

الفرق بين الرياء والسمعة : أن الرياء من الرؤية , يصح إطلاقه على الأعمال التي تُرى , أما السمعة فيصح إطلاقه على الأعمال التي تُسمَع كقراءة القرآن مثلاً والذكر وما شابه.

الرياء والسمعة حكمهما واحد , إذا تحدثنا عن الرياء فالسمعة داخلة في ضمن الأمر .

" باب ما جاء في الرياء " : ما جاء من أدلة تدل على تحريمه , تدل على النهي عنه وعلى التحذير منه وعلى قدر خطره على عبادة العبد وعلى قربه من ربه تبارك وتعالى , مهمٌّ جداً هنا أن نستحضر الحديث الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : [قال الله سبحانه وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك , من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركتُه وشركَه] ، لا يقبل الله سبحانه وتعالى عملاً مشتركاً , فيه نية , فيه نية قربى لله سبحانه وتعالى وفيه نية أيضاً بأن تنال ثناء الناس ومدحهم , هذا من الرياء , فهنا الآن أنت جعلت الناس شركاء مع الله في عملك , هذا عملك مردود , لذلك - بارك

الله فيكم - الرياء خطير على العمل إذ إنه يبطله .
1. إذا بدأت عملك بالرياء فالعمل من أصله باطل ، إذا ذهبت تصلي ركعتين فقط بدايةً من أجل أن يراك الناس , هذه كانت نيّتك : تصلي ركعتين من أجل أن يراك الناس , هذا عملك من أصله باطل , طيب .
2. إذا بدأتَ ركعتين خالصاً لله سبحانه وتعالى ثم دخل عليك الرياء بعد ذلك : لكَ في هذه الحالة صورتان :
الأولى : أن تستمر مع هذا الرياء الذي دخل على قلبك , تستمر معه وتحسّن عملك من أجل أن يثني الناس عليك , يبطل عملك إذا كان العمل متّصلاً مع بعضه كركعتين مثلاً , صلاة ، أما إذا كان العمل منفصلاً كصوم اليوم الأول من رمضان وصوم اليوم الثاني من رمضان : فيبطل اليوم الذي دخل عليه الرياء ، أما اليوم الثاني كونه منفصلاً عن اليوم الأول فلا يبطل إذا لم يدخله رياء الآخر . إذاً العمل إذا كان متّصلاً بحيث إذا أبطلنا جزأه أبطلناه كله : هذا إذا دخل عليه الرياء واستمر معه يبطل ، العمل إذا كان منفصلاً يبطل الجزء الذي دخل عليه الرياء , ومثّلنا بالصلاة والصيام , طيب.
الثانية: إذا كان المرء دخل عليهالرياء لكنه لم يسترسل معه , قطعه , هذا يحصل مع الجميع , يدخل عليك الرياء من حيث تشعر أو لا تشعر , ثم تنتبه لنفسك , إذا جاهدت نفسك وانصرفت عنه وطردته : هنا عملك صحيح , لا يؤثر عليك , عملك صحيح ولا يؤثّر هذا الرياء الذي دخل عليك شيئاً لأنك لم تسترسل معه .
وهذا حكم العمل الذي يدخل عليه الرياء , المهم أن نعرف الآن أن الرياء محرّم , مفسد للعمل إذا استمر الإنسان معه أو إذا بدأ العمل أصلاً بالرياء , وهو نوعٌ من الشرك , وهو نوع من الشرك الأصغر , وهو الشرك الخفي كما ستأتي الأدلة , وتقدم معنا الكثير منها , وينبغي الحذر من الرياء , نعم .
قال المؤلف رحمه الله :" وقول الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ

إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} "
{ قل } : يا محمد لهؤلاء المشركين إنما أنا بشر , فليس بإله ولا ابن إله ولا شيئاً من هذا القبيل , { مثلكم } لا أختلف عنكم , ولست ملكاً ولا شيء من هذه الأمور , { إنما أنا بشر مثلكم } لا أختلف عنكم إلا بماذا ؟ قال : { يوحى إلي } إذاً يختلف عنا بماذا ؟ بالرسالة , لأن الله اصطفاه للنبوة , للرسالة , فأوحى إليه , بماذا ؟ قال :{ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ } هذه هي دعوة النبي صلى الله عليه وسلم , وبهذا أوحى الله له , معبودكم الذي يجب أن تعبدوه هو معبودٌ واحدٌ , فاعبدوه وحده ولا تعبدوا معه غيره , هذه هيدعوة الأنبياء , هذا الذي أريده منكم , أن تتركوا عبادة الأصنام , تتركوا عبادة الأشجار , الأحجار , الأوثان , وتتجهوا إلى عبادة واحدٍ وهو الله سبحانه وتعالى , { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ } من كان يخاف من ربه يوم لقائه ويراقبه على معاصيه ويرجو ثوابه على طاعته { فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً } أيش العمل الصالح ؟ أن يكون خالصاً لله تبارك وتعالى وأن يكون على سنة النبي صلى الله عليه وسلم , هذا العمل الخالص , دلت على ذلك الأدلة الشرعية , فليعمل عملاً خالصاً لله تبارك وتعالى , عملاً صالحاً : يعني خالصاً لله تبارك وتعال على هدي النبي صلى الله عليه وسلم , { فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً } العمل لا يكون صالحاً إذا كان فيه شرك , فإذا عملت عملاً رياءً وسمعة هذا يكون فيه شرك لا يكون عملاً صالحاً , لا يكون مقبولاً عند الله سبحانه وتعالى , { وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} إذاً الشرك محرّم سواءً كان شركاً صغيراً , شركاً كبيراً , كله محرّم , ممنوع , مفسدٌ للعمل , { وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} , إذاً أيّ أحدٍ يكون مقصوداً بهذا , فلا تشرك بعبادة ربك أحداً من الخلق , إنما العبادة تكون لله وحده , الشاهد من ذلك أن العمل كي يكون مقبولاً عند الله يجب أن يكون خالصاً لله , ليس فيه شيء من الرياء والسمعة , ويجب أن يكون لله وحده وليس فيه شيء من الشرك , والرياء شرك , ولا يكون العمل خالصاً إذا كان فيه رياء .

قال المصنف رحمه الله تعالى :" وعن أبي هريرة مرفوعا: قال الله تعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك " يعني أنا لا أقبل الشرك , أنا غنيّ عن الشرك , الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى أحد , وكل شيء ملكه , فغنيٌّ عن كل شيء , فهو غني عن الشرك , لا يريد منك عمل تشرك معه فيه غيره , " أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري " عمل عملاً يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى وتقرَّبَ به إلى غير الله تبارك وتعالى , هذا العمل يكون مردوداً عند الله , " من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه" فلا يقبله الله منك , تركك الله وترك شركك إذا عملت عملاً أردت به وجهه وأردت به غيره أيضاً , ومن ذلك الرياء , عندما تصلي لله وتصلي من أجل أن يراك الناس وأن يثنوا عليك ويمدحوك , عندئذٍ يكون عملك دخله الشرك , والله غنيٌّ عن عملك هذا , لا يريده .

قال المؤلف رحمه الله :" وعن أبي سعيد مرفوعا " عن أبي سعيد يعني أبي سعيد الخدري , مرفوعاً ": يعني مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم , يعني من قول النبي صلى الله عليه وسلم , "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ " يعني أخبركم بشيء أنا أخافه عليكم أكثر من خوفي من المسيح الدجال عليكم , انظروا خطورته إلى أين هذا !! , المسيح الدجال الذي فتنته عظيمة ومن عِظَمِها ما جاء نبي إلا وحذّر أمته منه , ومع ذلك هذه الفتنة أعظم من فتنة الدجال , " قالوا: بلى. قال: الشرك الخفي " الشرك الخفي : يخفى على الناس , يسري إلى القلب وأنت لا تشعر أحياناً , وصاحبه يُظهِر أن عمله لله , ويكون في قلبه شيءٌ آخر , فالشرك يكون خفيّاً , غير ظاهر ," يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل" عرفت أيش معنى الرياء ؟ هذا هو , هذا تفسيره , يقوم الرجل يصلي ثم يحسّن صلاته , يزيّنها , يحسّنها , يطيل ركوعها , يطيل سجودها , يطيل قيامها , يتخشّع فيها , يزيّنها , هذا معنى التزيين , " لما يرى من نظر الرجل " أي : لماذا زيّنها ؟ لأنه يرى أن رجلاً ينظر إليه , هذا معنى تزيينها , هذا معنى الرياء , عَمِل العمل ليراه الرجل ويثني عليه , أسأل الله

سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم الإخلاص وأن يجنبنا الرياء والسمعة وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه .

قال المؤلف - رحمه الله - : "باب من الشرك إرادة الأنسان بعمله الدنيا" : هو نوع من أنواع الشرك : أن تعمل العبادة لأجل الدنيا .. تريد نصيبا من الدنيا ، لا تفكر بالآخرة ولا بأجرها ، ولاهم لك في ذلك ، المهم عندك : الدنيا، أن تأخذ نصيبا منها ، هذا المقصود في هذا الباب ... تعمل عملا" أخرويا" ، تعبديا" ، تتقرب به إلى الله - تبارك وتعالى – لكنك لا تريد الأجر والمثوبة من الله- تبارك وتعالى- في الآخرة ، إنما تريد من ذلك الدنيا ... هذا المقصود من هذا الباب وهذا من الشرك أيضا ، وعدَه بعض العلماء من الشرك الأصغر ، فأنت حقيقة تعبد الله - سبحانه وتعالى- لكن الأجر الذي تنتظره هو الأجر من الدنيا ، من أمور الدنيا ... مثاله : شخص يستلم إمامة المسجد من أجل الراتب ، وأنا ضربت مثالا منتشرا بين الناس ،يوجد أئمة مساجد لولا المال ما وقفوا للإمامة ويوجد مؤذنون ، لولا المال ما أذنوا ، هذا هو الضابط : أن يعمل العمل ، إذا قطع عنه نصيبه من الدنيا تركه ، هذا يعمل لأجل الدنيا ... لكن لو وقف الأمام إماما وصلى بالناس ، ولم يعط راتبا مقابل هذا ، ولكن أعطي مالا مقابل تفرغه ، تشجيعا له ، ولا يبالي إن انقطع المال أو استمر ، فهو يؤدي عبادة وقربة لله – تبارك وتعالى – فلا بأس بذلك ، وكذلك في الأذان ، إذا أذن لله ، ويريد الأجر والمثوبة من الله ، ولا ينتظر أجرا من ذلك دنيويا، وجاءه أحدهم وأعطاه شيئا من المال ، كي يستعين به على قضاء حوائجه ،لا أُجرة على ذلك الأذان ، فلا بأس بذلك - أيضا"-... لكن، إذا صلى إماما، أو أذن مقابل أن يأخذ المال، وإذا انقطع المال انقطع عنه ، هذا هو الذي يعمل لأجل الدنيا ، وكذلك عدَ بعض العلماء من ذلك : أن يعمل العمل يريد بذلك أن يدفع الله عنه الأذى ،والأمراض ، والآفات ، ولاهم له بالآخرة ، إنما يريد ذلك .... مثل هذه الأشياء هي المقصودة هنا ...

وذكر المؤلف-رحمه الله - الآية، لكي يستدل على ما ذكر: قال الله -تبارك وتعالى -: (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) .... " من كان يريد الحياة الدنيا " : يعني : ثوابها ، " وزينتها " : من مال وبنين ، " نوف إليهم أعمالهم فيها " : يعني : نعطيهم ما أرادو من أموال وبنين وخيرات .... " وهم فيها لا يبخسون " يعني : لا ينقصون لكن قال أهل العلم هذه مخصوصة ، يعني ظاهر الآية أن الله - سبحانه وتعالى - يعطي أهل الدنيا ما يشاؤون ، نحن نرى أن من أهل الدنيا من الكفرة ، وغير ذلك ... من المتكالبين على الدنيا من لا يأخذ منها ما يأخذه بعض أهل الصلاح ، قالوا: هي مخصوصة بقول الله - تبارك وتعالى - : (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمنريد) فلا يعطيهم كل شيء ... على حسب حكمته - تبارك وتعالى - قال : (أولئك ليس لهم في الآخرة إلا النار) إذا : في الآخرة خسروا كل شيء ، لأنه ليست همهم ، (وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) أبطل الله - سبحانه وتعالى - أعمالهم ، الحبوط يعني : الزوال فزالت أعمالهم ، وبطلت ... ذهبت ... وجاء في الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " بشر أمتي بالسناء والرفعة والتمكين في البلاد ، مالم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فمن طلب الدنيا بعمل الآخرة لم يكن له في الآخرة من نصيب" أخرجه الحاكم وأحمد وهو مناسب جدا" لهذا الباب ...

قال المؤلف - رحمه الله - : وفي الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تعس عبد الدينار " الدينار ، والدرهم : أموال المسلمين في السابق .. الدينار : قطعة من الذهب ، والدرهم : قطعة من الفضة ... "تعس" : دعاء بالتعاسة ، يعني خابوهلك ، لماذا ؟ : لأنه تعلق به تعلق العبد بالرب ، فكان أكبر همه ، وقدمه على طاعة ربه ، وهذا يحصل من كثير من الناس اليوم - يكون همه المال أن يحصل عليه بأي طريقة ، حتى لو كانت فيها معصية لله ، حتى لو كان فيها شرك

بالله - تبارك وتعالى - وكفر به ... فيأتيه أناس كالرافضة يدفعون له مقابل أن يقول ، وأن يعتقد ما هم عليه ، فإذا أخذ المال قال واعتقد ... وهذا اليوم كثير ، من حب الدنيا تمكن قلبه ، وأشربه قلبه حتى صار هذا حاله ، عبد الدرهم والدينار ، عبد خاضع له يمشي خلفه أينما ذهب ، وأينما ساقه ينساق ، هذا حاله ، وهؤلاء كثر اليوم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن الفتن ستأتي في آخر الزمان حتى " يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا " هذا الخطير جدا على الناس ، وواقع فيه الكثير ... " تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم " ، (هو عبدالمال يعني) ، " تعس عبد الخميصة " الخميصة : هذي ثوب من صوف ..." تعس عبد الخميلة " أيضا نوع آخر من أنواع الثياب ... ثياب لها خمل ... وكلها هذي من أمور الدنيا : درهم ، دينار ، طعام ، ثياب شراب ... " تعس وانتكس " دعاء عليه بالخيبة ، والانتكاس : يعني : الرجوع ، ينقلب رأسا على عقب " وإذا شيك " : إذا أصابته شوكة ، " فلا انتقش" يعني : فلا يقدر على إخراجها بالمنقاش .

قالوا : أن من كانت هذه حاله ، فإنه يستحق أن يدعى عليه بما يسوؤه في العواقب ، ومن كانت هذه حاله فلابد أن يجد أثر هذه الدعوات بالخيبة ، والسوء ، ومن إذا أصابه شر ، لم يخرج منه ، ولم يفلح ... لكونه تعس وانتكس ... فلا نال المطلوب ، ولا خلص من المكروه ، فهذه خيبة من يلهث خلف الدنيا ...

" تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد " (قالوا : طوبى هي شجرة في الجنة) " طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله " يعني : آخذ بالحبل الذي يقود فرسه به ... انظر المقارنة - الآن بين الأول والثاني ، الأول مشغول بالدنيا ... الثاني - هذا - مشغول بطاعة ربه ، " طوبى لعبد " ، شجرة في الجنة ، " آخذ بعنان فرسه في سبيل الله " (أي : في جهاد المشركين) ، " أشعث رأسه " يعني : مش مشط بالمشط ، منفول، شعرة عن يمين ، والأخرى شمال ،وهكذا ... " مغبرة قدماه" يجري

على الحصان ، ويجري على قدميه ... يصول ويجول في المعارك " إن كان في الحراسة ، كان في الحراسة " يعني : إذا وضع في موضع كان أهلا لذاك الموضع ، الحراسة : أن يحرس الجيش " إن كان في الحراسة كان في الحراسة " ، فلا يقصر ولا يغفل ويقوم بواجبه ، " وإن كان في الساقة كان في الساقة " يعني : في مؤخر الجيش ، أينما وضعوه قام بواجبه الذي أسند إليه ، فيكون في مصلحة الجيش ، وفي الجهاد في سبيل الله ، " إن استأذن لم يؤذن له " لا يبالي الناس به ... انظر إلى منظره ، أشعث أغبر ما أحد يبالي به ... جندي من الجنود ، بخلاف إنسان يكون عليه هيئة الترف ، وهيئة المال ، والحسن وكذا ،... هذا ...الناس ينظرون إليه ويعطونه ما يريد ويلبون له رغباته ، بخلاف هذا " إن استأذن لم يؤذن له " يعني : إذا استأذن على الأمراء ... لأجل حاجة ما أحد ينظر إليه ، " وإن شفع ، لم يشفع " ، إذا توسط لعمل مصلحة أو لدفع مفسدة ما أحد ينظر أو يبالي بوساطته ... الشاهد : أنه رجل صالح قائم بطاعة الله - تبارك وتعالى - وشاغل نفسه بمرضاته ، بخلاف الأول ، عبد الدرهم والدينار ، انظر إلى المقارنة !!! وسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبدا للدرهم والدينار ... وهذا الشاهد من الحديث ... نكتفي بهذا القدر إن شاء الله ، وفقنا الله وإياكم لطاعته .

الدرس رقم 23
الدرس الثالث والعشرون من شرح كتاب التوحيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ....

وصلنا عند الباب السابع والثلاثين من أبواب كتاب التوحيد ...

قال المؤلف ـرحمه الله تعالى ـ : باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا" من دون الله .

هذا الباب معقود لبيان نوع من أنواع الشرك , لأن فيه صرفا لأمر خاص بالله ـ تبارك وتعالى ـ لغيره, وهو التشريع.

التشريع : التحليل والتحريم ، حق خالص لله ـ تبارك وتعالى ـ فلا يجوز لأحد أن يحرم أو أن يحلل ، فإذا جعلت شخصا" مخلوقا مشرعا مع الله يحلل ويحرم فقد اتخذت شريكا مع الله ـسبحانه وتعالى ـ في هذه الخاصية لله تبارك وتعالى , هذه خصوصية له ـتبارك وتعالى ـ ليست لأحد معه فإذا اتخذت غيره مشرعا معه فقد اتخذته شريكا وجعلته شريكا لله ـ سبحانه وتعالى ـفي حق خالص لله , هذا حق من حقوق الربوبية , هذا من ربوبية الله - سبحانه وتعالى ـ , فأنت إذا جعلت مشرعا مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ فقد اتخذت ربا مع الله ـ تبارك وتعالى ـلأن التشريع من أفعال الله ـتبارك وتعالى ـ الخاصة به , فأنت إذا اتخذت مشرعا مع الله , فقد اتخذت شريكا مع الله ـ تبارك وتعالى ـ

هذا ما يريد أن يذكره المؤلف في هذا الباب ...

"من أطاع العلماء والأمراء" الذين يأمرون الناس هم العلماء والأمراء ... ويجب على الناس أن يطيعوهم , ولكن في طاعة الله ـتبارك وتعالى ـ.

العالم : هو الذي يقول لهم : هذا حلال وهذا حرام ، بمعنى : أن هذا أحله الله , وهذا حرمه الله ـ تبارك وتعالى ـ

والأمير : هو الذي يأمر وينهى، يأمرك أن تفعل وينهاك عن أن تفعل.
هؤلاء إذا أحلوا لك ما حرم الله , أو حرموا عليك ما أحل الله , وأنت اعتقدت حل ذلك أو حرمته , مع معرفتك بتغييرهم لشريعة الله _ تبارك وتعالى _ فقد اتخذتهم أربابا مع الله _تبارك وتعالى _ مشرعين , كما حصل مع بني إسرائيل.
بنو إسرائيل كان علمائهم يحللون لهم ما حرم الله , ويحرمون عليهم أشياء أحلها الله _ سبحانه وتعالى _ لهم , والناس كانوا تبعا لهم ، يمضون على هذا مع علمهم أنهم يغيرون في شريعة الله _سبحانه وتعالى _ ولكن كانوا يمضون معهم , هذا التغيير هو الذي يعنيه ربنا _ تبارك وتعالى_ في كتابه الكريم في الآيات التي ستأتي إن شاء الله وسيأتي تفسيرها من حديث عدي بن حاتم ... فالمقصود من التحليل والتحريم هنا : اعتقاد الحل لما حرم الله واعتقاد التحريم لما أحل _ سبحانه وتعالى _ , وليس مجرد الفعل , انتبهوا !_ ويعني_ ركزوا على هذه المسألة خشية أن تقعوا فيما وقع فيه الخوارج الذين كفروا المسلمين بمجرد طاعة علمائهم وأمرائهم فيما أمروهم به (وإن لم يقولوا هذا من شرع الله _سبحانه وتعالى_ أو هو تغيير لشرع الله _ سبحانه وتعالى_ ولم يعلموا منهم ذلك) .
مجرد الفعل إذا أمرك الأمير وقال لك: اشرب الخمر , لم يقل لك : الخمر حلال , ولم يقل لك : الله _سبحانه وتعالى _ شرع حله , ولكن قال لك : اشرب الخمر, وأنت ذهبت وشربت , هذا ليس من الباب الذي نحن فيه , هذه معصية , وذنب، لكن إذا قال لك : الخمر حلال اشربه , قلت : نعم حلال وشربته، هنا تكون قد اتخذت هذا الأمير _ أو العالم _ ربا مع الله _ تبارك وتعالى _ هذا المقصود هنا.
ونقرأ لكم _ بارك الله فيكم _ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية _ رحمه الله _ ما يوضح لكم المراد من هذا الباب، قال رحمه الله _ في المجلد السابع صفحة سبعين من مجموع الفتاوى، قال: (وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا) الأحبار : هم العلماء , والرهبان : هم العباد ، قال: (وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم

أربابا حيث) كيف اتخذوهم أربابا ؟ قال: (حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله) ركز هنا (في تحليل ما حرم الله) فصاروا يطيعونهم في ذلك ويعتقدون أن هذا حلال , هذا معنى التحليل والتحريم :أن تعتقد أنه حلال وأن تعتقد أنه حرام (في تحليل ما حرم الله , وتحريم ما أحل الله) قال : (يكونون على وجهين :) ركز الآن هنا ، قال: (هؤلاء اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله , وتحريم ما أحل الله , يكونون على وجهين : أحدهما : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله) أنهم أيش ؟ (بدلوا دين الله) يعني : دين الله : تحريم الخمر ... هم أحلوه ... هكذا صار تبديلا لشريعة الله ـ تبارك وتعالى ـ , دين الله : تحريم الربا ... هم أحلوه , فيعتقد أنه حلال ويمضي معهم , خلفهم في هذا ... أي نعم ... دين الله : تحليل لحم الإبل ... هم يعتقدون حرمته ... دين الله : تحليل لبن الإبل ... هم يعتقدون حرمته ... هكذا يكون تبديل شرع الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال : (أحدهما : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله , فيتبعونهم على التبديل) شفت كيف ؟ هم علموا أنهم قد غيروا شريعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأحلوا ما حرم الله , وحرموا ما أحل الله , علموا ذلك منهم ... قال : (فيعتقدون تحليل ما حرم الله) يعتقدون أيش ؟ (تحليل ما حرم الله) لاحظ كيف ركز على مسألة الاعتقاد هنا ... قال: (فيعتقدون تحليل ما حرم الله , وتحريم ما أحل الله) يعتقدون ذلك (اتباعا لرؤسائهم) قال: (مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل , فهذا كفر) كفر واضح , بواح ...قال : (وقد جعله الله ورسوله شركا , وإن لم يكونوا يصلّون لهم , ويسجدون لهم) يعني : وإن كان ما في صلاة لهم ولا سجود لهم , لكن مجرد أنهم أحلوا لهم ما حرم الله واتبعوهم عليه ـ مع علمهم أنهم بدلوا شريعة الله ـ هؤلاء قد وقعوا في الشرك , قال : (فكان من اتبع غيره في خلاف الدين ـ مع علمه أنه خلاف الدين ـ واعتقد ما قاله ذلك ـ دون ما قاله الله ورسوله ـ) هو أيش فعل ؟ قال : (واعتقد ما قاله ذلك , دون ما قاله الله ورسوله ـ) قال : (مشركا مثل هؤلاء) فيعني هؤلاء

... هذا يكون مشركا (من كان هذا حاله) .
يعني خلاصة الموضوع : هنا المسألة ترجع إلى الاعتقاد , يعني : اعتقد تحريم ما أحل الله ,وتحليل ما حرم الله , اتباعا لرؤسائه ـ وهو يعلم أنهم قد بدلوا دين الله وشرعه ـ فهذا كافر كفرا مخرجا" من الملة .
ننظر إلى القسم الثاني الآن , قال : (والثاني : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا) لكن من حيث الاعتقاد ... شفت الآن هذا القسم الثاني ؟ (أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا) يعني : يعتقدون أن الذي أحله الله هو حلال , والذي حرمه رؤساؤهم هو حلال , لأن الله أحله ، ويعتقدون أن ما حرمه الله هو حرام , وما أحله رؤساؤهم هو حرام لأن سبحانه وتعالى حرمه .
قال : (لكنهم أطاعوهم في معصية الله ـ كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص ـ) يعني : يشرب الخمر وهو يعتقد أنه حرام وإن أمره الأمير يشرب الخمر, وأطاعه في ذلك , مع اعتقاده وباقي اعتقاده سليم , فهذا لا يشرك . قال : (فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب , كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إنما الطاعة في المعروف) وقال : (على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره ـ مالم يؤمر بمعصية ـ) وقال : (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) وقال : (من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه) إلى آخر ما تكلم شيخ الإسلام رحمه الله , وفي هذا المرجع كلام نفيس له رحمه الله ـ وأجزل له المثوبة ـ وبذلك يكون قد اتضح عندنا هذا الباب , وما المراد منه , ومتى يكون الشخص قد اتخذ العالم أو الأمير ربا مع الله ـ تبارك وتعالى ـ والله أعلم .. نعم ...
نكمل الآن إن شاء الله , قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : وقال ابن عباس : (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم , وتقولون : قال أبو بكر وعمر) ؟! هنا المؤلف ذكر هذا الأثر كي يبين لنا أن قول الله

وقول رسوله لا يقدم عليه قول أحد من البشر , أيا كان . بما أنها قد استبانت لك السنة , فلا يجوز لك أن تعدل عنها لقول أحد من البشر , خشية أن تقع فيما ذكر ها هنا في هذا الباب من تحليل ما حرم الله , أو تحريم ما أحل الله _ سبحانه وتعالى_ , لكن هذا متى يكون منك ؟ إذا علمت أن قول العالم مخالف للدليل وللشرع واتبعته عليه فيخشى عليك من ذلك , لذلك ذكر لنا المؤلف_ رحمه الله _ هذا الأثر في هذا الموطن , لكن لابد من تقييد ذلك بأمر سنذكره عند شرح الأثر .. ابن عباس رضي الله عنه كان يقول بمسألة فقهية , أنا لا أريد أن أتطرق إليها الآن لأن كثيرا منكم لا يعرفها , فلا أريد أن أدخله في متاهات ... كان يقول بمسألة فقهية وعارضه البعض بأن أبا بكر وعمر كانا يخالفانه , فقال لهم : (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء) عذاب , يعني يعذبكم الله _سبحانه وتعالى _ بها ، لماذا ؟ لأنكم تردون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم , لأنه كان يرى أن معه سنة النبي صلى الله عليه وسلم (أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر) الكلام الذي ذكره ابن عباس حق ، لكن الكثير من الناس يريدون به الباطل _ عندما يذكرون هذا الكلام _ , إما بقصد أو بغير قصد , كيف ذلك ؟

يأتي الشخص إلى نص في الكتاب , أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمه بناء على مراده أو على عقله هو , ثم يلزمك بفهمه ! ويقول لك : أقول لك قال الله , قال رسول الله , وتقول لي : قال فلان , وقال فلان ؟ ! أنا لا أقول لك : قال فلان وقال فلان من عندهم , أنا ألزمك بفهمهم (فهم السلف , فهم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما للنص) أنت عندك نص , نعم ... لكن كيف فهمه أبوبكر وعمر ؟ هذا مرادي فلا تلتبس عليكم الأمور ... هناك فرق بين أن تأتيني بنص صحيح من كتاب الله , أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم , وأعارضه لك بقول بشر (أيا كان) , وما بين أن أقول لك : فهم الصحابة على خلاف فهمك ... واضح ؟

مراد المؤلف _ هنا _حق وصحيح , وما أراد ابن عباس أن يوصله إلينا أيضا حق

وحق... وهو ألا يقدم قول بشر على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ... لكن لابد من الرجوع إلى فهم السلف ـ رضي الله عنهم ـ لكتاب الله ولسنة رسوله صلى الله عليه وسلم , ولا تكون الأمور فوضى (كل شخص يفهم على مراده) ... فهذا هو الباب العريض الذي يدخل منه المبتدعة , لذلك كان السلف - رضي الله عنهم ـ يقولون (بمعنى كلامهم) : أنها إذا جاءت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متعارضة يعني .. فانظروا ما كان يفعل أبو بكر وعمر ... هم المرجع في فهم كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ... أبو بكر , عمر , عثمان , علي , هم أولى بالصواب منا , لأمور فضلهم الله ـ تبارك وتعالى ـ بهم علينا .. خلاصة القول , والمراد من هذا الأثر أنك لا تقدم قول بشر على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ترجع في فهم الكتاب والسنة إلى فهم السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ هذا المراد ... وعلى ذلك تفهم أقوال العلماء جميعا , لأنهم هم هؤلاء الذين ذكروا أقوالا مشابهة لما قاله ابن عباس هم أنفسهم الذين يعلقوننا بفهم السلف , ويعلموننا ألا نتفرد بفهم من عندنا , لقول الشافعي ـ رحمه الله ـ : (أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له لأن يدعها لقول أحد) من استبانت له سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .. اتضحت , ولا تتضح إلا بعد أن يرجع إلى فهم السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ ... قال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ : وقال الأمام أحمد : (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان) سفيان ـهذا ـ هو الثوري , وكان فقيها , وله مذهب سائد في الكوفة ـ رحمه الله ـ , وأصحاب المذاهب المشهورة في ذلك الوقت : سفيان الثوري في الكوفة , والأوزاعي كان في بلاد الشام , والليث بن سعد كان في بلاد مصر , وعبد الله بن المبارك كان في خراسان , ومالك بن أنس كان في المدينة , وسفيان بن عيينة كان في مكة ... هؤلاء أصحاب مذاهب متبعة , كمذهب الشافعي وأحمد ومالك , قبل أن تعرف مذاهب مالك .... عفوا ... الشافعي وأحمد , كانت هذه المذاهب هي

المنتشرة ... سفيان الثوري كان له مذهب منتشر .. فيقول الإمام أحمد _هنا _ : (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته) يعني : استطاعوا أن يميزوا السنة الصحيحة من الضعيفة , وأن يعرفوا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم مما لم يثبت (يذهبون إلى رأي سفيان) يعني : ويتركون سنة النبي صلى الله عليه وسلم , إذا استبان لهم أن رأي سفيان مخالف للسنة ... يتعجب منهم الإمام أحمد ! كيف يكون هذا , وهذا حال كثير من الناس , عندما يكون مذهب أحد العلماء سائداً في البلاد , إذا خالفه أحد بالسنة تعجبوا , واستغربوا وقاموا عليه ... يعني ليس الأمر فقط أنهم يتركون السنة ويتبعون رأي فلان , بل ويقومون على من خالفهم أيضا ، هذا موجود في كل زمان (والله _تعالى _يقول_: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره)) عن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) قال الإمام أحمد: (أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك) يعني _نسأل الله العافية _ ربما يكون ذلك سبباً في ردته (لعله إذا رد بعض قوله) يعني إذا رد بعض قول النبي صلى الله عليه وسلم (أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك) يكون ذلك سببا في هلاكه ، أن ترد شيئا مما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أبو بكر الصديق _ رضي الله عنه _ : (إني أخشى إن تركت شيئا من أمره صلى الله عليه وسلم أن أزيغ) أو بهذا المعنى , وهو في صحيح البخاري .

الشاهد : أن تعظم أمر الله وأمر رسوله , وأن تقدم أمر الله وأمر رسوله على قول كل أحد , وأن لا تحلل ما حرم الله لقول رئيسك أو عالمك تعصبا له وتحذر من ذلك أشد الحذر ، فربما يكون سببا لهلاكك _ كما نحن نشاهد اليوم _ هذا الأمر سبب لهلاك كثير من الناس .. نعم .

قال المؤلف _ رحمه الله _ : (عن عدي بن حاتم : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهذه الآية : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) هذه الآية تدل

على أن النصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ... الأحبار قلنا هم : العلماء , والرهبان : هم العباد ... أربابا من دون الله كما سيأتي تفسيرها : كيف انهم اتخذوهم أربابا من دون الله ... وكذلك اتخذوا المسيح عيسى ابن مريم ربا , عليه الصلاة والسلام . قال : (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا) هم مأمورون بعبادة الله وحده , لا عبادة هذه الأرباب (لا إله إلا هو) أي : لا معبود بحق إلا هو (سبحانه عما يشركون) ينزه نفسه _ تبارك وتعالى _ عن شرك المشركين .. قال عدي بن حاتم : (فقلت : إنا لسنا نعبدهم) استغرب ! يعني العبادة : صلاة لهم ونذر لهم , تقرب إليهم بأنواع القرب ... هذا أمر معلوم لكن هذا لا يقع منا , قال : (إنا لسنا نعبدهم , قال : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه ,فقلت : بلى , قال : فتلك عبادتهم) إذا , هذا أيضا نوع من أنواع العبادة ... هذا نوع من أنواع العبادة , بذلك اتخذتموهم أربابا من دون الله _ تبارك وتعالى - , وهذا الحديث يفسر لنا الآية , ويفسر لنا المعنى المراد منها , كيف أنهم اتخذوهم أربابا من دون الله , أحلوا الحرام فأحلوه, وحرموا الحلال فحرموه, اعتقاد ذلك على التفصيل الذي مر معنا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يبينه ويوضحه بشكل جلي جدا , نعم ...

قال المؤلف _رحمه الله _ : باب قول الله تعالى : (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت)

هذا الباب معقود لبيان حكم التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ... في أي شيء , في أي مخاصمة , أي منازعة , في مسائل عقدية , مسائل فقهية , المخاصمة بين الناس في الأموال , في الأنفس , في الدماء .. في كل شيء ... التحاكم يجب أن يكون لكتاب الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم , ولا يجوز التحاكم للأعراف , ولا يجوز التحاكم للعادات والتقاليد , كما يفعل كثير من مشايخ القبائل _ مثلا_ وغيرهم .. هذا كله محرم غير جائز .. الواجب التحاكم إلى شرع الله _ سبحانه

وتعالى ـ فقط .. للأدلة التي سيذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ .

ومن تحاكم لغير شريعة الله ـ تبارك وتعالى ـ , فقد وقع في الكفر , وهل هو كفر أكبر أو كفر أصغر ؟

التفصيل فيه كالتفصيل في الحكم بغير ما أنزل الله ، وقد جاء في فتوى للجنة الدائمة , عندما سئلت : فما حكم من يتحاكم إلى القوانين الوضعية ـ وهو يعلم بطلانها فلا يحاربها ولا يعمل على إزالتها ـ؟

قالت : الواجب التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عند الاختلاف ... قال تعالى : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا") وقال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) قالوا : والتحاكم يكون إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن لم يتحاكم إليهما مستحلا التحاكم إلى غيرهما فهو كافر. وإن كان لم يستحل التحاكم إلى غيرهما، ولكنه يتحاكم إلى غيرهما من القوانين الوضعية فبدافع طمع في مال أو جاه أو منصب , فهو مرتكب معصية وفاسق فسقا دون فسق , ولا يخرج من دائرة الإيمان .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ : عبد العزيز ابن باز ـ رحمه الله ـ , والشيخ عبد الله الغديان عضو ... والشيخ عبد الله القعود عضو

فيبين لنا ذلك أن التحاكم إلى غير شريعة الله ـ سبحانه وتعالى فيه تفصيل , هل يكفر كفرا مخرجا من الملة أو أن يكون كفرا غير مخرج من الملة على التفصيل : إن استحل ذلك , ورآه جائزا إلى آخر التفصيل الذي ذكرناه في الحكم بغير ما أنزل الله. وما سنذكره في الحكم بغير ما أنزل الله ـ إن شاء الله ـ فهذا يكون كفرا مخرجا من ملة الإسلام , أما إذا فعل ذلك وهو يعلم أنه حرام , ولا يجوز , ولكن اتبع هواه في أمر ما , فهذا لا يكون مخرجا من ملة الإسلام، التحاكم إلى ذلك. اليوم عندنا محاكم

كثيرة تحكم بغير شريعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ يضطر الإنسان أن يلجأ إليها كي يأخذ حقه .. نقول لك: اعرف حقك من الناحية الشرعية أولا، سل العلماء (علماء الإسلام الموثوق بهم) الذين يفتون بكتاب الله وبسنة الرسول صلى الله عليه وسلم , فإذا بينوا لك حقا ما عند أحد ولم تستطع أن تأخذه إلا عن طريق المحكمة , نخذه عن طريق المحكمة. المحكمة ـهنا ـ تكون مجرد رجل شرطي يأتيك بحقك بالقوة فقط , فإذا أعطوك أكثر من حقك فلا تأخذ إلا حقك , لأن حقك هو الذي أعطاك إياه الشرع , بعد أن ترجع إلى العالم ويفتيك بأن حقك هو كذا وكذا فعندئذ لا يجوز لك أن تأخذ إلا ما قال لك هذا العالم الشرعي , و أنت تستعمل المحكمة كقوة فقط من أجل أن تأتيك بحقك فقط , وهذه الفتوى التي ذكرها الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ والتي ذكرها أيضا الشيخ ابن عثيمين ـ رحم الله الجميع ـ .

قال ـهنا ـ : (ألم تر إلى الذين يزعمون) يعني هذا أمر تعجبي يعني : انظر ! تعجب من هذا الشخص الذي هو يزعم ... يدعي بأنه مؤمن (يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) كيف تؤمن بما أنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم , وفيه شريعة كاملة وفيه إعطاء الناس حقوقهم ثم تذهب وتحاكم إلى غيره ؟

(وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) يعني : يدعي أنه آمن بكتاب الله وبسنة الرسول صلى الله عليه وسلم , وآمن بالشرائع التي قبل ذلك , ثم يتركها ويذهب يتحاكم إلى أيش ؟ إلى الطاغوت .

وكما ذكرنا : الطاغوت مأخوذ من الطغيان ، يعني : كل من حكم بغير شريعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأردت أن تذهب تتحاكم عنده , فهو طاغوت بشرط.

نعم فهو طاغوت هنا في مثل هذا الموطن فمن حكم بغير شريعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأردت أن تتحاكم إليه فهذا طاغوت فأنت تترك حكم كتاب الله , وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم , وتذهب إلى شخص كهذا , هذا يسمى طاغوتاً ، وهذا من الأمر الذي يتعجب منه , أن يزعم المرء أنه من أهل الإيمان أنه يؤمن بكتاب الله ويؤمن

بشرع الله ـ سبحانه وتعالى ـ ثم يتركه ويذهب يتحاكم إلى غيره ، وهذا يدل طبعاً، هذه الآية تدل على عظم هذا الذنب وكبره , وأن الإنسان المؤمن إيماناً حقيقياً , لا يقع هذا منه أبداً.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : وقوله :(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون)

من الإفساد في الأرض : التحاكم إلى غير شريعة الله ، عدم إقامة شرع الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الأرض , من الفساد في الأرض : الفسق والفجور فيها , هذا من الفساد في الأرض ,وهذا الذي يقصد في مثل هذا الأمر ... لا تعصوا الله ـ سبحانه و تعالى ـ في أرضه, فهذا من الفساد في الأرض

(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) يعني: أطيعوا الله ـسبحانه وتعالىـ , لا تعصوه , لا تشركوا به , لا تعملوا بالمعاصي والذنوب , لا تتحاكموا إلى غير شريعته .

(قالوا إنما نحن مصلحون) فيما يفعلونه من فساد وهم يزعمون أنهم مصلحون.

وهذه من أعظم المصائب : أن تظن نفسك أنك على خير , وأنت على ضلال ، نسأل الله العافية والسلامة , لذلك أكثروا من دعاء الله ـسبحانه وتعالىـ أن يوفقكم إلى الحق الذي يحبه و يرضاه ـتبارك وتعالىـ ...

قال المؤلف ـرحمه الله تعالىـ : وقوله : (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) نفس المعنى الذي تقدم .

(لا تفسدوا في الأرض) أي: بالتحاكم إلى غير شريعة الله ـسبحانه وتعالىـ , وبإقامة المعاصي والذنوب والشرك وغير ذلك .

قال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ : عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)

قال النووي : (حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح) الحديث ضعيف , لا يصح هذا (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) يعني : يكون

كل ما يحبه وما يريده هو تبع لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم , فيكون متبعاً لكتاب الله ولسنة الرسول صلى الله عليه وسلم , ومحكماً لكتاب الله ولسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يحكم غير شرع الله ـ تبارك وتعالى ـ والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) فالواجب علينا أن نحكم شرع الله , وأن نتحاكم إلى شرع الله ـ تبارك وتعالى ـ...

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : وقال الشعبي (الشعبي ـهذا ـ عامر الشعبي , أحد علماء التابعين , ومن المحدثين الكبار) : (كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة) كان بينهما منازعة: منافق , ويهودي.

المنافق: الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر , وهؤلاء كانوا من أهل المدينة لأن أهل المدينة ـيعني ـ عندما دخل الإسلام فيها أسلم أكثر أهلها وصار الكفار مستضعفين , فأرادوا أن يحموا أنفسهم فنافقوا ... أظهروا الإيمان , وهم في الحقيقة كفار , بينما المهاجرين لا تجد منهم منافقا , لأنهم ما كانوا مضطرين أن يخرجوا من مكة إلى المدينة ويزعموا الإسلام , ما فيهم أحد على هذه الصورة , لذلك ما تجد فيهم النفاق , تجد النفاق موجود في أهل المدينة الأصليين , الذين آمن منهم من آمن , وهم الأنصار , والذين لم يؤمنوا هم المنافقون , أظهروا الإيمان في الظاهر , لكن في باطن الأمور كانوا من المنافقين , ورأسهم عبدالله بن أبي بن سلول .

(كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة) : منازعة

(فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد ـ عرف أنه لا يأخذ الرشوة ـ) يعني : كان الظاهر أن الحق له , فعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يأخذ الرشوة , فيقضي له بالحق , (وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود) عرف أن اليهود يأخذون الرشوة وممكن أن يعطيهم ويقلبوا الحق له (ـ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ـ فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكمان إليه) يعني : لا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا إلى اليهود ...

أخذوا أمراً لا يوافق هذا ولا هذا , وهو الكاهن , وكانوا قديماً في الجاهلية يتحاكمون إلى الكهان ، وهذا المنافق يزعم أنه مؤمن في ظاهر الحال .
قال : لذلك نزلت، قال : (فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة) قبيلة من قبائل العرب (فيتحاكمان إليه , فنزلت :(ألم ترَ إلى الذين يزعمون ...) الآية التي ذكرها المؤلف . وهذا , وإن كان ضعيفاً ولكن المراد ما ذُكر .
(وقيل نزلت في رجلين اختصما , فقال أحدهما : نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم , وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف , ثم ترافعا إلى عمر بن الخطاب , فذكر له أحدهما القصة , فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم : أكذلك ؟ قال : نعم , فضربه بالسيف فقتله) وهذه _ أيضاً _ قصة ضعيفة ويستدل بها الخوارج على كفر كل من لم يقبل ، يرضى إلى شريعة الله _ سبحانه وتعالى _ مطلقاً من غير تفصيل ....وكما ذكرنا لكم هذه القصة لا تصح أصلاً وهذه حال أهل البدع , وأهل الضلال يتعلقون ولو بالمتشابهات أو بالأحاديث الضعيفة المهم عندهم ان يقيموا ما يريدون , وأن يقرروا عقائدهم الباطلة الفاسدة , والمسألة عند أهل السنة بحمد الله , على التفصيل الذي ذكرنا لكم , ولا فرق بين الحكم بغير ما أنزل الله , و التحاكم إلى غير شريعة الله _ تبارك وتعالى _ وكله محرم ، التحاكم إلى غير شريعة الله , والحكم بغير ما أنزل الله كله محرم , لكن ماحكم الفاعل ؟ هل يكفر كفراً مخرجاً من الملة ؟ أم يكفر كفراً غير مخرج عن الملة ؟ على التفصيل الذي سنذكره _ إن شاء الله _ في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله , والله أعلم , ونكتفي اليوم بهذا القدر .

الدرس رقم 24

الحمد لله , والصلاة والسلام على رسول الله , أما بعد :

نحن الآن في الباب التاسع والثلاثين، قال المؤلف_ رحمة الله_: "باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات":

أولا: نفرق بين الاسم والصفة،الآن عندما تسمي شخصا _ أو يسميه أهله_ كريم هذا اسم يدل على شخص مسمى بهذا الاسم , تسمي شخص آخر زيد, محمد, عمر ... إلخ هذا اسم يدل على ذات تسمى بهذا الاسم فقط. أخوك اسمه محمد يدل على أن لك أخا اسمه محمد فقط ، هذا هو الاسم: ما دل على مسمى.

أما الصفة فتدل على معنى، عندما تصف محمدا بالكرم فتقول: محمد كريم، هذا معنى موجود في محمد , هذا معنى الصفة , وهذا الفرق بين الاسم والصفة , البشر يسمون بالأسماء وربما تكون الأسماء تدل على صفات , لكن لا علاقة لصاحبها بالصفة التي تدل عليها , كأن تسمي شخصا كريم، بهذا الاسم , الآن هذا الاسم يدل على ذات تسمى بها هذا الاسم , لكن هل يلزم أن يكون هو كريم ؟

لأن هذا الاسم يتضمن معنى , لكن ربما المعنى _ هذا _ يكون متحققا في المسمى وربما لا يكون (في البشر)، فعندما نسميه نحن لا نلحظ هذا المعنى , نسمي فلان كريم ، خلاص انتهى الأمر , يطلع كريم , يطلع بخيل مش موضوعنا .

أما في حق الله_ تبارك وتعالى _ فكل اسم له سمى به نفسه في الكتاب أو في السنة , فهو متضمن للصفة , فيه صفة , فيه معنى موجود ومتحقق في الله _ تبارك وتعالى _ كاسمه الرحمن هو اسم سمى به نفسه "الرحمن على العرش استوى"، "بسم الله الرحمن الرحيم " ويدل أيضا على صفة , صفة الرحمة.

في حق الله : الاسم ثابت , والصفة التي تضمنها أيضا ثابتة له،فلا يوجد عنده اسم من

غير صفة : لا ، هذا في حق البشر ممكن يمشي , أما عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ فلا , لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ له الكمال , هذا معنى الاسم ومعنى الصفة.
كيف نثبت الأسماء والصفات ؟
بالأدلة الشرعية ، الأمور التي تتعلق بالله ـتبارك وتعالى ـ كلها أمور غيبية (من الأسماء والصفات) لا علم لنا بها , العقل يدرك بالجملة أن الله سبحانه وتعالى يستحق صفات الكمال , ولا يستحق صفات النقص , هكذا بهذه الطريقة يدرك العقل هذا الأمر , أما على وجه التفصيل فهناك صفات لا يدري العقل فيها أيصح أن يوصف الله بها أم لا ؟ يتوقف حائرا , فمرجعها إلى الشرع . مرجع الأسماء والصفات إلى الشرع , إلى قال الله , قال رسول الله ، ما الذي يسمي الله ـ سبحانه وتعالى ـ به نفسه ؟ وما الذي لا يسمي به نفسه ؟ هذا يرجع إليه , من أين نعرف ؟ بالوحي سمى نفسه كذا بالقرآن سميناه , سمى نفسه كذا بالسنة سميناه , لم يسم: لا نسم , لا نتجاوز ، عندنا حدود , كذلك الصفات وصف نفسه كذا بالقرآن وصفناه , وصف نفسه كذا بالسنة وصفناه , لم يصف سكتنا , مع اعتقادنا أنه يستحق كل كمال وأن كل نقص منفي عنه بس ، وينتهي الأمر , هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات , وهكذا نعتقد فيها , لا نحرف ولا نؤول ولا نلف وندور على شرع الله لا لا ولا نحكم عقولنا على الله تبارك وتعالى أبدا، الحاكم عندنا الكتاب والسنة بس .
الآن نرجع إلى ما بوب المؤلف ـرحمه اللهـ قال: باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات

التي ثبتت لله في الكتاب والسنة كاسم الرحمن , ثبت لله ـتبارك وتعالىـ في الكتاب والسنة .. الرحيم, العزيز, الغفور .. إلى آخره .. ثبتت في الكتاب والسنة ,انتهى الأمر ... نثبتها لله ـسبحانه وتعالىـ كأسماء , وكذلك الصفات .. كصفة الرحمة , صفة الغضب , صفة الحب , صفة اليدين , صفة العلو .. كلها ثبتت بالكتاب والسنة , نثبتها لله ـتبارك وتعالىـ ولا نعمل عقولنا الصغيرة القاصرة على الله ـ تبارك وتعالى

_ ونجعلها حاكما عليه ... أبدا

" من جحد شيئا " ، الجحود : هو الإنكار و التكذيب ، وهذا يكون على صورتين :

الصورة الأولى : أن يجحد ويكذب صراحة، نقول له : الله _ سبحانه وتعالى_ اسمه الرحمن , متصف بصفة الرحمة ، يقول لك : لا، لا اسمه الرحمن و لا يتصف بصفة الرحمة ، هذا كفر مخرج عن ملة الإسلام , لأنه مكذب بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

الصورة الثانية : لا يكذب به صراحة هكذا , لكن يلف ويدور , يحرف , كالذين يحرفون صفة الاستواء بالاستيلاء هؤلاء كذبوا بالصفة (صفة العلو) , حرفوا معناها , جحدوها حقيقة ، لكن باللف والدوران , عندهم شبهات قامت جعلتهم يحرفون , هذه الشبهات منعت من تكفيرهم , ولكنها لا تمنع من تبديعهم , لأنهم خالفوا أدلة واضحة وصريحة في دلالتها .. في ثبوتها قوية .. وفي دلالتها صريحة .. وفي إجماع السلف عليها حجة عليهم.. فهمنا ؟ أما من تأول بطريقة هي بعيدة جدا , ولا تقبل عند العرب أصلا_ كمن يتأول البقرة في سورة البقرة بعائشة_ , هذا التأويل لا يقبل منه ولا يكون مانعا من تكفيره , لأنه هو في الحقيقة لا يوجد شبهة حقيقية , ولا يوجد له مسوغ في اللغة يجعله يفسر هذا التفسير .. هذا لعب اسمه , وليس تأويلا , غير معتبر نهائيا عند العلماء .

هذه الأقسام الثلاثة احفظوها جيدا، مهمة .. لكي تفرق وتعرف متى يكفر الشخص ؟ ومتى يبدع بمثل هذه الأفعال ؟

قال : (باب من جحد شيئا_ أي شيء _ من الأسماء والصفات) أنكرها , كذب بها ..

ما حكمه ؟ قال : وقول الله تعالى : ((وهم يكفرون بالرحمن)) عندما أنكر المشركون اسم الله _سبحانه وتعالى _ الرحمن , أنكروه .. قالوا : وما الرحمن ؟ ما نعرف هذا الاسم لله _سبحانه وتعالى_ , أنكروا ذلك وكذبوا , فأنزل الله_ سبحانه وتعالى_ هذه

الآية : ((وهم يكفرون بالرحمن)) ، قال ـ تبارك وتعالى ـ : ((قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعو فله السماء الحسنى)) الرحمن اسم له وصفته الرحمة , وهذا من صفات كماله ـتبارك وتعالى ـ , فجحود الأسماء كفر . قال : " وهم يكفرون بالرحمن "لما جحدوا الاسم وأنكروه , وصفهم الله ـسبحانه وتعالى ـ بالكفر به , "وهم يكفرون بالرحمن" هذا حكم من جحد الاسم أو الصفة , على التفصيل الذي تقدم .

وموضوع الأسماء والصفات موضوع طويل , وقد أفرده العلماء بكتب خاصة لعظم الفتنة فيه وكثرة المخالفين , كثرة أهل البدع , وكثرة شبهاتهم ، أفرد العلماء هذا القسم بمصنفات , مؤلفات خاصة , تؤصل عقيدة أهل السنة والجماعة وتدحر شبهات أهل البدع , وكتأصيل لمن أراد أن يتقن هذا الباب أنصحه بـ (القواعد المثلى) لأحد أئمة هذا العصر بحق , وإن وصف بابن تيمية الصغير .. فحقه ذلك، حقيقة ، وهو الشيخ ابن عثيمين ـرحمه اللهـ , ففي كتبه تأصيل وتفصيل لعقيدة أهل السنة والجماعة , ورد على أهل البدع بأسلوب سهل وميسر لا تجده عند الكثيرين , وقراءة كتبه وإتقانها ييسر لك جدا فهم كتب ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وابن القيم رحمه الله وغفر له على ما قدم للإسلام والمسلمين حقيقة , وقد استفدنا منه فوائد جمة عظيمة , بل أقول بحق : هذا العلم (علم الأسماء والصفات) كان هذا الإمام له الفضل الأكبر من البشر عليَ في فهمه وإتقانه , فجزاه الله عنا خيرا ورحمه وغفر له , فأنصحكم بهذا الكتاب (القواعد المثلى) كتاب ماتع ، من أراد أن يتقن هذا الفن , وهذا الجانب من جوانب الاعتقاد , فليقرأ هذا الكتاب وليتقنه ...

قال المؤلفـ رحمه الله ـ : وفي صحيح البخاري قال علي :(حدثوا الناس بما يعرفون , أتريدون أن يكذب الله ورسوله) ؟ في صحيح البخاري قال علي ـ رضي الله عنهـ (علي بن أبي طالب) فقيه ,عالم , جليل , من أعظم مناقبه : قول النبي صلى الله عليه وسلم , أن الله ورسوله يحبونه (يحبه الله ورسوله) وهو أحد الخلفاء الأربعة , وإمامته معلومة مشهورة ... قال لنا قاعدة : (حدثوا الناس بما يعرفون) من أمور شرع الله ولا

يستنكرونه , بحيث يكون فتنة عليهم (أتريدون أن يكذب الله ورسوله) ؟ يعني : يكذبون الله ورسوله فيقعون في الفتنة بسبب حديثكم، تذكرون لهم أخبارا لا تبلغها عقولهم , فيؤدي ذلك إلى تكذيبهم بخبر الله أو خبر رسوله فيقعون في المحذور.العلم الذي يجب عليك أن توصله للناس يجب أن تكون عندك حكمة في إيصاله للناس , ولاتكن فتنة عليهم بأسلوبك وطريقتك المنفرة ، وقع من بعض الشباب في بعض المجالس مع العامة عند عقد القران ،العامة هنا _ عندنا اعتادوا على قراءة الفاتحة , يقوم بعض الشباب صارخا : قراءة الفاتحة بدعة, والناس تعلم أن البدعة مذمومة , فتأخذهم الحمية على كتاب الله , كيف يقول في الفاتحة التي هي من كتاب الله بدعة ؟ ويبدأ العراك .. ما السبب ؟ أن هذا الشخص أساء في طريقته إيصال المعلومة ففهموا عليه فهما خاطئا, وهم معذورون في فهمهم , هم لا يعلمون ماذا يعني بأن قراءة الفاتحة بدعة , وكيف تكون بدعة ؟ اشرح , فصل , فهم الناس ماهي البدعة , وكيف تكون العبادة بدعة ؟ وكيف تكون العبادة ممدوحة؟ وكيف تكون مذمومة؟ يحتاج إلى أن تفصل وتشرح وتمثل بأمثلة بعيدة عن مثل هذا المثال أولا, ثم بعد أن يستوعب الناس ويفهموا , لو قلت لهم قراءة الفاتحة عند عقد القرآن بدعة لقبلوا منك بكل أريحية , الناس ما عندهم عداءة مع كتاب الله وسنة رسول الله وشرع الله , دعنا من بعض مرضى القلوب , لكن نتحدث عن العامة بصفة عامة بشكل مجمل و ما عندهم عداء , أحسن إفهامهم وستجد من الكثير منهم قبولا لك ولكلامك , حدث الناس بما يعرفون (بما تدركه عقولهم) وإذا وجدت عندك معلومة من دين الله تحتاج _ولابد _ أن يفهموها , فأحسن الأسلوب في طريقة إيصالها وكن حكيما , كي لا توقع الناس في فتنة في دينهم , ربما رجع ذلك إلى تكذيبهم آيات في الكتاب أو في السنة بسبب أسلوبك فتكون فتنة عليهم .

لماذا ذكر المؤلف هذا ها هنا ؟ لأن بعض الصفات لا تحتملها أفهام الناس , ويفهمونها بشكل خاطئ , فعندئذ , قبل أن تسردها عليهم , وتذكرها لهم , لابد من

أسلوب صحيح حكيم في طريقة إيصال المعلومة , هذا مراده رحمه الله .
قال المصنف رحمه الله : وروى عبد الرزاق (الصنعاني) في مصنفه (له المصنف ,كتاب كبير في أحد عشر مجلد من غير الفهارس في طبعة المكتب الإسلامي ... كتاب نفيس , فيه آثار كثيرة عن السلف ـ رضي الله عنهم ـ من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين , يبين لك فقه السلف , الفقه القديم الذي لم يشب بالأفكار الدخيلة) قال : عن معمر (معمر بن راشد , كان محدثا فقيها ـ رحمه الله ـ) عن ابن طاووس (هو عبدالله بن طاووس) عن أبيه (طاووس من كيسان , تلميذ ابن عباس) عن ابن عباس (عبدالله بن عباس) أنه رأى رجلاانتفض لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الصفات ـ استنكارا لذلك ـ فقال : ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه .. انتهى . نعم ,
طيب , هذا الحديث الآن يذكر طاووس أن ابن عباس رأى رجلا انتفض (أي : اهتز)ـ استنكارا لما سمع ـ لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات , وهذا الذي تحدثنا عنه سابقا , تذكر بعض الصفات أمام العامة فلا تدركها عقولهم , يؤدي إلى هذا ، انتفض لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ استنكارا لذلك ـ فقال ابن عباس رضي الله عنه : ما فرق هؤلاء , يعني ما الذي يخوفهم هؤلاء؟ ما الذي يجعله ينتفض ـ مستنكرا"ـ ؟
يجدون رقة عند محكمه , ويهلكون عند متشابهه ... انتهى , عندما تمر بهم الآيات والأحاديث التي هي محكمة بمعنى واضحة الدلالة , واضحة المعنى , لا تعطي أكثر من معنى , معناها واضح , هذا معنى المحكم , عندما تمر بهم هذه الآيات وهذه الأحاديث المحكمة يجدون رقة , يجدون خشوعا , زيادة في إيمانهم، ويهلكون عند متشابهه , لكن إذا مرت عليهم الآيات و الأحاديث التي فيها متشابه يهلكون ... لماذا ؟
لأنهم لم يفعلوا كما فعل العلماء الراسخون في العلم ... العلماء الراسخون في العلم ماذا يفعلون ؟ إذا مرت بهم آيات أو أحاديث من المتشابه , ونعني بالمتشابه التي تعطيك

أكثر من معنى , ولا تكون واضحة الدلالة فماذا يفعلون ؟ يردون المتشابه إلى المحكم , عندئذ يتضح معنى المتشابه , ولا يكون فتنة عليهم , أما غيرهم ـمن كثير من العامة , وغيرهم من أهل البدع ـ فيقعون في الفتنة , فيهلكون عند المتشابه , يتخبطون في فهمه , ويتأرجحون ويضيعون , فإذا مر بك ما يخالف الأصول الصحيحة والأدلة المحكمة عندك , عندئذ مباشرة تؤمن به كما جاء وترد معناه إلى المحكم .

مثال ذلك : عندك أدلة محكمة في عيسى عليه السلام , قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)فعيسى عندك مخلوق من تراب خلقه اللهـ تبارك وتعالى ـ بعد أن لم يكن مخلوقا , وخلقه من تراب كما خلق آدم من تراب , وليس هو ابن الله ,ولا بعضا من الله ـتبارك وتعالى ـتعالى الله عما يقول الظالمون .... هذا دليل محكم واضح الدلالة لا خفاء فيه ولا اشتباه البتة ... جاءك دليل آخر , اشتبه عليك , تقرأ في القرآن فمررت بآية : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) كيف تفهم (وروح منه) ؟ هل هي بعض من الله وجزء منه ؟ ها ؟ ! هكذا يلبس النصارى على المسلمين بهذه الآية ... أم أنه روح منه أي مخلوق منه ؟ هو الذي خلقه وليس غيره , من خلقه وايجاده , كما تقول : هذا الدينار مني لك ... هل هو جزء وبعض منك ؟؟ لا .. لكنه كان منك عطاءا وإخراجا , فابتداء خروجه منك ... روح منه أي : من خلقه وايجاده ـ تبارك وتعالى ـ , انظر لماذا قلنا هذا ؟ لأننا رددنا هذه الآية إلى الآية المحكمة في هذا الموضوع ... هكذا ـ بارك الله فيكم ـ يتعامل العالم الراسخ مع الأدلة الشرعية , أما أهل البدع فيجعلون المتشابه هو أصل عندهم , ثم يأخذون في تحريف المحكم تحريفات سمجة ضعيفة ركيكة .. لأن المحكمات أصلا لا تحتمل تلك التفسيرات .

قال المصنف ـرحمه الله تعالى ـ : ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم

يذكر الرحمن أنكرو ذلك , فأنزل الله فيهم : (وهم يكفرون بالرحمن)
هذا نوع من أنواع بجحود الأسماء والصفات , وهو انكارها , وهذه سنة أهل الجاهلية وطريقتهم ... نعم

الدرس رقم 25

الدرس الخامس والعشرون من شرح كتاب التوحيد

الحمد لله , والصلاة والسلام على رسول الله , أما بعد : وصلنا إلى الباب الأربعين , باب قول الله ـ تعالى ـ : (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) يعرفون نعمة الله ... (نعمت الله) هذه مفرد مضاف , من قواعد الأصولية أن المفرد المضاف يعم , فهو لفظ عام .... عندما تقول : نعمة الله , يعني : نعم الله .. هذا نفس المعنى , هذه عامة تشمل كل نعمة , أنعم الله بها على عباده ... يعرفون نعمة الله ... الكفار كانوا يعرفون أن النعم التي بهم من الله , الرزق , الصحة , العافية , الدروع , الأسلحة ... كل شيء .. كل شيءٍ نعم من الله ـتبارك وتعالى ـ , كل شيءٍ ينتفع به , فيه مصلحة للعبد , فهو من نعم الله ـ تبارك وتعالى ـ , كل شيءٍ يسره الله لك فهو من نعمة الله عليك , فهم كانوا يعرفون هذا الكلام ثم ينكرون النعمة ... ينكرون النعمة , سيأتي من كلام مجاهد كيف أنهم كانوا ينكرون النعم ... (وأكثرهم الكافرون) أكثر هؤلاء القوم يكفرون بالله ـتبارك وتعالى ـ... قال مجاهد ـ ما معناه ـ: (هو قول الرجل : هذا مالي , ورثته عن آبائي) هكذا ينكرونها ... هكذا ينكرون النعمة .. يقول الرجل : هذا مالي ورثته عن آبائي ... هذا الكلام ربما يكون حقاً , وربما يكون المال قد ناله بالميراث , هذا صحيح ... فإذا أخبر مجرد خبر مع عدم تناسيه بأن الفضل من الله ـتبارك وتعالى ـ وهو الذي قدر أن ينتقل هذا المال إليه , وهو الذي شرع أن يرثه , عندئذٍ يكون الخبر صحيحاً ولا غبار عليه , وجائز .. لكن إذا قال هذه الكلمة وتناسى أن الفضل لله ـتبارك وتعالى ـ في حصوله على هذا المال , عندئذٍ يكون هذا الشرك شرك نعمة , كفر نعمة ... عندئذٍ يكون هذا كفر نعمة ... لكن إذا جعل ـ أو اعتقد ـ أن المنعم عليه غير الله ـ تبارك وتعالى ـ عندئذٍ يكون الكفر كفراً أكبر , مخرجاً من الملة , شرك بالله ـ تبارك

وتعالى ـ, إذاً , صار عندنا هذا اللفظ يعطى ثلاث أحكام ... هذا مالي ورثته عن آبائي ... إما أن يكون مباحاً : إذا اعتقد أن هذا المال من فضل الله ـ تبارك وتعالى ـ وحده , ولم يتناسى أن الله ـ تبارك وتعالى ـ قد من عليه بهذا المال بشرعه وقدره , عندئذٍ نقول : هذه الجملة جائزة ,ما فيها شيء , قال النبي صلى الله عليه وسلم ـيوم أن سئل :أتنزل في دارك غداً ؟ ـ قال : وهل ترك لنا عقيل من دارٍ أو رباع ؟ فيبين صلى الله عليه وسلم أن هذه الدور انتقلت إلى عقيلٍ بالإرث ... ما ترك لنا من رباع , ومن دور ... ما ورثوا شيء , ورثها عقيل لأن عقيل الذي كان على دين آبائه , فالجملة في أصلها مع الاعتقاد الصحيح , وعدم تناسي فضل الله ـتبارك وتعالى ـجائزة , لكن إذا قالها وتناسى فضل الله ـ تبارك وتعالى ـ فهذا يكون كفراً أصغر , هذا كفر النعمة ... وإذا قالها معتقداً أن غير الله هو الذي منَّ عليه بذلك ـ أو مع الله ـ فهذا شرك , وهو كفرٌ أكبر مخرج من ملة الإسلام وقال عون بن عبد الله (أحد أئمة السلف ـ رضي الله عنهم ـ) : (يقولون : لولا فلان لم يكن كذا) كذلك التفصيل يأتي هنا بما فصلنا في الجملة السابقة ... الخبر مع تذكر أن الله ـ تبارك وتعالى ـ هو المنعم , و المتفضل ومع اعتقاد أنه هو المنعم المتفضل ـ لا غيره ـ عندئذٍ تكون العبارة جائزة ... لولا فلانٌ لم يكن كذا ... لكن مع التناسي أو مع الاعتقاد الفاسد , فتكون شركاً ـ إما أصغر أو أكبر كما فصلنا فيما تقدم ـ ... وقال ابن قتيبة : (يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا) هؤلاء مشركون , يعبدون غير الله , ويعبدون هذه الآلهة , يعبدونها ... يتقربون إليها كي تشفع لهم عند الله ـتبارك وتعالى ـ , فإذا منَّ الله عليهم بأنواع النعم قالوا : هذه بشفاعة ألهتنا ... أعوذ بالله , وهكذا يكون الكفر بالله ـ تبارك وتعالى ـ , وبنعمه وفضله , إذاً خلاصة القول : أنك يجب أن تتذكر ـ دائماً ـ أن المنعم عليك هو الله ـ شرعاً وقدراً ـ , وأن تعتقد أن الله ـ تبارك وتعالى ـ هو المنعم لا غيره, فإذا استحضرت الأول واعتقدت الثاني , وقلت مثل هذه العبارات فلا بأس , لكن مع النسيان يكون كفراً أصغر , ومع

الاعتقاد الباطل يكون كفراً أكبر ... قال المصنف _ رحمه الله _ : وقال أبو العباس (هو ابن تيمية _رحمه الله _) بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : 0(أن الله _ تبارك وتعالى _ قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ...) الحديث , وقد تقدم (وتقدم , وتقدم شرحه أيضاً) : (وهذا كثير في الكتاب والسنة , يذم _سبحانه _من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به) قال بعض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة (انظر , على نفس التفصيل الذي تقدم , واصل العبارات هذه إذا كان معها اعتقاد صحيح , ولم يتناس المرء فضل الله فهي جائزة ... كانت الريح طيبة لذلك سلكت السفينة في البحر دون مشاكل ,لكن كله بفضل الله , من الذي جعل الريح طيبة ؟ هو الله _سبحانه وتعالى _ , إذا لم تتناس ذلك , فلابأس بهذه العبارات) والملاح حاذقاً (وكان القبطان الذي يقود السفينة متقناً لقيادته ,لذلك نجت السفينة ... ها .. هذا سبب ... فإذا اعتقدت أنه سبب , وأنه _تبارك وتعالى _ هو الذي تفضل وتكرم عليك , فلا بأس , لكن مقصودهم _ هنا _ بكفران النعم هو هذا : أن تذكر الأسباب , وتتناسى المسبب , تذكر الأسباب , وتعزو الفضل إليها , وتتناسى المسبب أو تعتقد أن غير الله هو الذي فعل ذلك , أو أنه فعله مع الله _ تبارك وتعالى _)ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير نعم , ... هذا المقصود من الباب , والله أعلم .

قال المؤلف _ رحمه الله _ : باب قول الله تعالى : (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) الند : هو المثيل والنظير والشبيه ... فلان يند لفلان : يعني مساوٍ له .. فالله _سبحانه وتعالى _ ليس له مساوٍ لا في أفعاله ولا في أسمائه وصفاته ولافي عبوديته , لا أحد يستحق العبادة معه _تبارك وتعالى _ لذلك قال : (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) أنه هو الذي يستحق أن يكون واحداً , وأن لا يعبد معه غيره , وأن لا يشرك معه غيره في شيءٍ يختص به _ تبارك وتعالى _ (فلا تجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون) فهذا نهي عن الشرك بجميع صوره ... قال المصنف _ رحمه الله تعالى _ :

وعن ابن عباس ـ في الآية ـ : (الأنداد : هو الشرك) تفسير بالمعنى , الأنداد : والشرك يعني : أن تجعل شريكاً مع الله ـتبارك وتعالى ـ تجعله نداً لله ـ تبارك وتعالى ـ هذا شرك , قال : (أخفى من دبيب النمل) الشرك منه ظاهر واضح , كأن تأتي بخروف وتتقرب به لصاحب قبر هذا شرك واضح لا إشكال فيه , تأتي لصاحب القبر وتدعوه وتستغيثه , ترجو منه الولد والمطر وغير ذلك ... فمثل هذا شرك واضح, ما يحتاج نقاش, لكن من الشرك ما هو خفي ... يقول ابن عباس: (أخفى من دبيب النمل) شوف دبيب النمل : مشي النمل, تدب, يعني تضع أقدامها على الصخرة (أخفى من دبيب النملة, على صفاة سوداء) يعني .. صخرة سوداء ... النملة أيش لونها؟ أسود .. تمشي على ماذا؟ على صخرة سوداء.. أصلاً النملة عندما تمشي على الصخرة يظهر صوت لوقع أقدامها؟ ما يظهر. (في ظلمة الليل) يعني لا تسمع لها صوتاً ولا ترى لها شكلاً من خفائها, عندما تمشي النملة على صخرة سوداء في ظلمة الليل, ما ترى شي ... والشرك خفي كهذه الصورة ... قال: وهو أن تقول: والله! وحياتك يا فلانة.. هنا شرك من وجهين: والله وحياتك يا فلانة, جمع ما بين الحلف بالله ـتبارك وتعالى ـ والحلف بغيره.. هذا شرك.. فيه إشراك مع الله ـتبارك وتعالى ـ... الأمر الثاني: أنه حلف بغير الله (وحياتك يا فلانة) حلف بغير الله ـتبارك وتعالى ـ وهذا شرك, لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف بغير الله فقد أشرك) لأنك عندما تحلف بشيء تحلف بمعظم في نفسك, شيء عظيم له مكانة في صدرك, لذلك تحلف به, وهذه العظمة هي لله تبارك وتعالى, وهذا التعظيم ينبغي أن يكون لله وحده ـتبارك وتعالى ـ, لكن الناس يعظمون أشياء كثيرة فيحلفون بها, عندنا ـهنا ـ منتشر كثير.. وعرضك وشرفك, لأنهم عظموا الشرف والعرض حتى صاروا يحلفون به, وحياة أبيك وحياة أمك ... هذا موجود كثير ... هذا كله من الشرك, لأنه عظّم هذا الشيء تعظيماً هو خاص بالله ـتبارك وتعالى ـ وإذا كان تعظيمه لهذا الشيء الذي حلف به كتعظيمه لله فالشرك أكبر, كفر أكبر مخرج من الملة, وإذا لم يكن

تعظيمه كذلك فيكون من الشرك الأصغر هذا التفصيل في الحلف بغير الله ـتبارك وتعالى ـ وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي (تحلف بحياتك, كذلك هذا من الشرك) الأول من الشرك من جهتين: من جهة الإشراك حلف بالله وبغيره, ومن جهة أنه حلف بغير الله ... هنا شرك واحد (هنا حلف بغير الله ـتبارك وتعالى ـ) وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص, هذا التفصيل فيه كالتفصيل في الباب الذي تقدم (لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص) ليش فصلنا؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) في عمه أبي طالب, وقد استعملها النبي صلى الله عليه وسلم, هذه العبارة... لكن عليه الصلاة والسلام يعرف أن الفضل لله ـتبارك وتعالى ـ وهو الذي منّ عليه بقبول شفاعته في أبي طالب, فالفضل من الله ـتبارك وتعالى ـ, والنبي صلى الله عليه وسلم يعتقد التوحيد, ويعلم أنه مجرد سبب ... فإذاً, تجوز هذه العبارة عندما تلحظ المسبب, وتستحضر أن المسبب هو الله ـتبارك وتعالى ـ, والفضل له أولاً وآخراً, وإنما هو سبب فقط, وأن تعتقد أن ـسبحانه وتعالى ـ هو الفاعل فقط ـلا غيره ـ ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص (نفس المعنى, الجملة السابقة), وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت ... يعني بمناسبة البط, هي طريقة سلفية قديمة (حماية المكان من اللصوص) اليوم نقرأ في خبر منذ فترة أن إحدى السجون في بلاد (أظنها في أمريكا الجنوبية, أو في أوربا... نسيت الآن) جعلت البط حول السجن كي تمنع أحداً من الفرار ... هذه نذكرها للطرفة , البط له صياح شديد , إذا شعر بالخطر ... يعني , يفزع الدنيا ـ زي ما يقولون عندنا ـ , هذه طريقة سلفية قديمة في استعمال هذا النوع ... قال : (ما شاء الله وشئت) هنا الشرك في استعمال حرف الواو الذي يقتضي التسوية (مساواة) (ما شاء الله وشئت) فجعل مشيئة الآخر كمشيئة الله ـسبحانه وتعالى ـوهذا باطل محرم لأن الواو لا تقتضي ترتيباً ,الواو لمطلق الجمع فإذا اعتقد أن مشيئة فلان كمشيئة الله في نفس المستوى , فهذا شرك أكبر , وإذا لم يعتقد ذلك ولكنه تلفظ به , فهذا شرك

أصغر شرك لفظي .. الصحيح أن يقول : ما شاء الله ثم شئت .. وقول الرجل : لولا الله وفلان , انظر , لاحظ الفرق بين العبارة الأولى (لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص) وهذه العبارة : (لولا الله وفلان) الأولى ليس فيها ذكر الله أصلاً ..ما قال : لولا الله وكليبة لا ,وفصلنا فيها التفصيل المتقدم أما هذه ففيها ذكر الله قال : لولا الله وفلان _الإشكال في حرف الواو _ لأنه لا يقتضي ترتيباً , إنما هو للمساواة ... فيصح أن تقول : لولا الله ثم فلان , إذا كان حقيقة فلان كان سبباً في الأمر , يصح أن تقول : لولا الله ثم فلان , لأن (ثم) هذه تفيد الترتيب مع التراخي .. الله أولاً , وبعد مدة يأتي ذكر فلان ... تمام ؟ قال :لا تجعل فيها فلان وهذا أحسن , قل : لولا الله لكذا أفضل , هذا كله به شرك يعني : يدخل فيه شيءُ من الشرك ربما يكون شركاً أصغر , ربما يكون شركاً أكبر , كما فصلنا فيما تقدم ... نعم قال المؤلف _ رحمه الله _ : باب قول الله تعالى : (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) الند : هو المثيل والنظير والشبيه ... فلان يند لفلان : يعني مساوٍ له .. فالله _سبحانه وتعالى _ ليس له مساوٍ لا في أفعاله ولا في أسمائه وصفاته ولافي عبوديته , لا أحد يستحق العبادة معه _تبارك وتعالى _ لذلك قال : (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) أنه هو الذي يستحق أن يكون واحداً , وأن لا يعبد معه غيره , وأن لا يشرك معه غيره في شيءٍ يختص به _ تبارك وتعالى _ (فلا تجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون) فهذا نهي عن الشرك بجميع صوره ... قال المصنف _ رحمه الله تعالى _ : وعن ابن عباس _ في الآية _ : (الأنداد : هو الشرك) تفسير بالمعنى , الأنداد : والشرك يعني : أن تجعل شريكاً مع الله _تبارك وتعالى _ تجعله نداً لله _ تبارك وتعالى _ هذا شرك , قال : (أخفى من دبيب النمل) الشرك منه ظاهر واضح , كأن تأتي بخروف وتتقرب به لصاحب قبر هذا شرك واضح لا إشكال فيه , تأتي لصاحب القبر وتدعوه وتستغيثه , ترجو منه الولد والمطر وغير ذلك ... فمثل هذا شرك واضح, ما يحتاج نقاش, لكن من الشرك ما هو خفي ... يقول ابن عباس: (أخفى من دبيب النمل)

شوف دبيب النمل : مشي النمل, تدب, يعني تضع أقدامها على الصخرة (أخفى من دبيب النملة, على صفاة سوداء) يعني .. صخرة سوداء ... النملة أيش لونها؟ أسود .. تمشي على ماذا؟ على صخرة سوداء.. أصلاً النملة عندما تمشي على الصخرة يظهر صوت لوقع أقدامها؟ ما يظهر. (في ظلمة الليل) يعني لا تسمع لها صوتاً ولا ترى لها شكلاً من خفائها, عندما تمشي النملة على صخرة سوداء في ظلمة الليل, ما ترى شي ... والشرك خفي كهذه الصورة ... قال: وهو أن تقول: والله! وحياتك يا فلانة.. هنا شرك من وجهين: والله وحياتك يا فلانة, جمع ما بين الحلف بالله -تبارك وتعالى- والحلف بغيره.. هذا شرك.. فيه إشراك مع الله -تبارك وتعالى-... الأمر الثاني: أنه حلف بغير الله (وحياتك يا فلانة) حلف بغير الله -تبارك وتعالى- وهذا شرك, لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف بغير الله فقد أشرك) لأنك عندما تحلف بشيء تحلف بمعظم في نفسك, شيء عظيم له مكانة في صدرك, لذلك تحلف به, وهذه العظمة هي لله تبارك وتعالى, وهذا التعظيم ينبغي أن يكون لله وحده -تبارك وتعالى-, لكن الناس يعظمون أشياء كثيرة فيحلفون بها, عندنا -هنا- منتشر كثير.. وعرضك وشرفك, لأنهم عظموا الشرف والعرض حتى صاروا يحلفون به, وحياة أبيك وحياة أمك ... هذا موجود كثير ... هذا كله من الشرك, لأنه عظّم هذا الشيء تعظيماً هو خاص بالله -تبارك وتعالى- وإذا كان تعظيمه لهذا الشيء الذي حلف به كتعظيمه لله فالشرك أكبر, كفر أكبر مخرج من الملة, وإذا لم يكن تعظيمه كذلك فيكون من الشرك الأصغر هذا التفصيل في الحلف بغير الله -تبارك وتعالى- وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي (تحلف بحياتك, كذلك هذا من الشرك) الأول من الشرك من جهتين: من جهة الإشراك حلف بالله وبغيره, ومن جهة أنه حلف بغير الله ... هنا شرك واحد (هنا حلف بغير الله -تبارك وتعالى-) وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص, هذا التفصيل فيه كالتفصيل في الباب الذي تقدم (لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص) ليش فصلنا؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: (لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) في عمه أبي طالب, وقد استعملها النبي صلى الله عليه وسلم, هذه العبارة... لكن عليه الصلاة والسلام يعرف أن الفضل لله -تبارك وتعالى- وهو الذي منّ عليه بقبول شفاعته في أبي طالب, فالفضل من الله -تبارك وتعالى-, والنبي صلى الله عليه وسلم يعتقد التوحيد, ويعلم أنه مجرد سبب ... فإذاً, تجوز هذه العبارة عندما تلحظ المسبب, وتستحضر أن المسبب هو الله -تبارك وتعالى-, والفضل له أولاً وآخراً, وإنما هو سبب فقط, وأن تعتقد أن -سبحانه وتعالى- هو الفاعل فقط -لا غيره- ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص (نفس المعنى, الجملة السابقة), وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت ... يعني بمناسبة البط, هي طريقة سلفية قديمة (حماية المكان من اللصوص) اليوم نقرأ في خبر منذ فترة أن إحدى السجون في بلاد (أظنها في أمريكا الجنوبية, أو في أوربا... نسيت الآن) جعلت البط حول السجن كي تمنع أحداً من الفرار ... هذه نذكرها للطرفة , البط له صياح شديد , إذا شعر بالخطر ... يعني , يفزع الدنيا - زي ما يقولون عندنا - , هذه طريقة سلفية قديمة في استعمال هذا النوع ... قال : (ما شاء الله وشئت) هنا الشرك في استعمال حرف الواو الذي يقتضي التسوية (مساواة) (ما شاء الله وشئت) فجعل مشيئة الآخر كمشيئة الله -سبحانه وتعالى -وهذا باطل محرم لأن الواو لا تقتضي ترتيباً ,الواو لمطلق الجمع فإذا اعتقد أن مشيئة فلان كمشيئة الله في نفس المستوى , فهذا شرك أكبر , وإذا لم يعتقد ذلك ولكنه تلفظ به , فهذا شرك أصغر شرك لفظي .. الصحيح أن يقول : ما شاء الله ثم شئت .. وقول الرجل : لولا الله وفلان , انظر , لاحظ الفرق بين العبارة الأولى (لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص) وهذه العبارة : (لولا الله وفلان) الأولى ليس فيها ذكر الله أصلاً ..ما قال : لولا الله وكليبة لا ,وفصلنا فيها التفصيل المتقدم أما هذه ففيها ذكر الله قال : لولا الله وفلان -الإشكال في حرف الواو - لأنه لا يقتضي ترتيباً , إنما هو للمساواة ... فيصح أن تقول : لولا الله ثم فلان , إذا كان حقيقة فلان كان سبباً في الأمر , يصح أن

تقول : لولا الله ثم فلان , لأن (ثم) هذه تفيد الترتيب مع التراخي .. الله أولاً , وبعد مدة يأتي ذكر فلان ... تمام ؟ قال :لا تجعل فيها فلان وهذا أحسن , قل : لولا الله لكذا أفضل , هذا كله به شرك ,يعني : يدخل فيه شيءٌ من الشرك ربما يكون شركاً أصغر , ربما يكون شركاً أكبر , كما فصلنا فيما تقدم ... نعم

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من حلف بغير الله فقد كفر, أو أشرك) رواه الترمذي و حسنه , و صححه الحاكم , عن (عمر بن الخطاب) صوابه : (عن عبد بن عمر بن الخطاب) الحديث عند الترمذي و الحاكم من رواية ابن عمر ... ليس من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ... قال : (من حلف بغير فقد كفر , أو أشرك ... إما هكذا أو هكذا ... و على ما مر التفصيل في الموضوع , و قد تحدثنا عن هذا , و الكفر إما أن يكون كفراً أكبر أو أصغر , و كذلك الشرك , إما أن يكون شركاً أصغر أو أكبر ... بناءً على ما يقع في قلب الحالف من التعظيم , فإذا عظم المخلوق كتعظيمه لله ¬ـتبارك وتعالى ـ فهو شرك أكبر , و كفر أكبر , و إذا لم يعظمه كتعظيمه لله , فهذا يبقى شركاً أصغر , أو كفراً أصغر ... نعم ... قال المصنف ـرحمه الله ـ : و قال ابن مسعود : (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أحلف بغيره صادقاً) لماذا ؟ لأن الحلف به كاذباً كبيرة من الكبائر , وهي يمين غموس , سماها النبي صلى الله عليه و سلم من الكبائر ... يمين غموس , و سميت غموس لأنها تغمس صاحبها في نار جهنم ... انظر إلى عظمها ! لكن مع ذلك تبقى معصية , و الشرك أعظم من ذلك ... لذلك قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أحلف بغيره صادقاً) لأن الحلف بغيره ـحتى ولو كنت صادقاًـ هو تعظيم لغير الله ـتبارك وتعالى ـ في موطن لا يجوز التعظيم فيه إلا لله ـتبارك وتعالى ـ ... هذا المعنى المراد , فهو شرك ـإما أصغر أو أكبرـ ... قال المصنف ـرحمه الله ـ : وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال : (لا تقولوا : ما شاء الله و شاء فلان ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان) رواه أبو داود بسند صحيح . و هو الذي ذكرناه سابقاً ... ما شاء الله و شاء فلان , هذا فيه تسوية لمشيئة فلان بمشيئة الله ـسبحانه و تعالىـ و هذا شرك , فإن اعتقد أن المشيئة مساوية لمشيئة الله فهذا شرك أكبر , و إن لم يعتقد ذلك فيبقى شركاً أصغراً (شركاً لفظياً) , ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان , لأن (ثم) هذه تفيد الترتيب مع التراخي , فتكون مشيئة الله عالية متقدمة , و مشيئة غيره تأتي بعد ذلك , فلا يوجد فيها مساواة ... قال المصنف ـرحمه الله تعالىـ : و عن إبراهيم النخعي (و هو من علماء التابعين .. ابراهيم بن يزيد النخعي , من علماء التابعين , تتلمذ على يدي تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنه و عنهم و عن إبراهيم ـأيضاًـ) : (أنه يكره أن يقول الرجل : أعوذ بالله و بك) لماذا ؟ لأن قوله : (و بك) هذا يقتضي المساواة , فالواو لا تفيد ترتيباً و لا تراخٍ (بنفس المعنى المتقدم) , و هنا ربما يكون هناك معنىً آخر ... إذا كان سبب الاستعاذة أمراً لا يقدر عليه إلا الله ـسبحانه و تعالىـ فهنا يكون شركاً أكبر .. لأننا نحن قدمنا أن الاستعاذة بغير الله شرك , إلا أن نستعيذ بحي قادر : فهنا نقول إذا كانت الاستعاذة من أمرٍ يقدر عليه الشخص , و هو حي , حاضر , قادر .. فهنا نقول .. لا يجوز أن تقول : أعوذ بالله و بك , و لكن قل : أعوذ بالله ثم بك ... لكن إذا كانت الاستعاذة في أمر خاص باللهـ تبارك وتعالى ـ لا يقدر عليه إلا هو , استعاذة بالله ـ تبارك وتعالى ـ تكون , لا بغيره ... هذا الواجب , وهنا لايصح أن تقول : أعوذ بالله ثم بك ... ولا, وبل تقول: أعوذ بالله وحده ... هذا هو التفصيل, قد جاء في الحديث.. أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من وجد ملجأً أو مَعاذاً فليعذ به) دل على أن الاستعاذة تكون جائزة بالتفصيل الذي قدمناه ... قال: ويجوز أن يقول بالله ثم بك يعني أعوذ بالله ثم بك في أمر يقدر عليه الشخص, وهو حاضر قادر.. قال: ويقول لولا الله ثم فلان, جعل معها الله ـسبحانه وتعالىـ هنا ذكر الله ـسبحانه وتعالىـ, فإذا ذكر الله, وأردت أن

تذكر غيره معه , فتذكرها بـ (ثم) لا بالواو, أو تقول لولا الله وتسكت ... لولا الله ثم فلان. ولا يقول لولا الله وفلان لأنها تقتضي المساواة ... نعم... هذا خلاصة هذا الباب والله أعلم

قال المؤلف رحمه الله: باب ما جاء في من لم يقنع بالحلف بالله: يعني: يحلف له بالله, ولم يقنع ولا يأخذ بذلك ما حكمه؟ قال: عن ابن عمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (لا تحلفوا بآبائكم, من حَلف بالله فليصدق, ومن حُلف له بالله فليرض, ومن لم يرضَ, فليس من الله) رواه ابن ماجه بسند حسن. من نظر إلى ظاهر الإسناد قال ما قال المؤلف (بسند حسن) صحيح ـلكن, من جمع طرق الحديث تبينت له علته (وهذه قاعدة معرفة علل الأحاديث: الباب إذا لم تجمع طرقه لا تعرف علته ـكما قال علي بن المديني ـ رحمه الله ـ إمام العلل في زمنه ـ) فأنت إذا جمعت طرق هذا الحديث تبين لك أمر وهو أن الحديث بلفظ (لا تحلفوا بآبائكم...) في الصحيحين وغيرهما رواه عن ابن عمر جمع, منهم نافع... ورواه عن نافع جمع لم يذكر أحد منهم الزيادة التي تأتي بعد ذلك ... كلهم ذكروا: (لا تحلفوا بآبائكم) لكن قول: (من حلف بالله فليصدق, ومن حلف له بالله فليرض, ومن لم يرض فليس من الله) هذه الزيادة لم يذكرها أحد ممن روى الحديث عن ابن عمر أو ممن روى الحديث عن نافع عن ابن عمر ... إلا محمد بن عجلان, ومحمد بن عجلان في حفظه شيء, فهذه الزيادة تكون زيادة شاذة (وإن كان محمد بن عجلان ـيعني ـ في أصله حسن الحديث), كما ذكرنا أنك إذا نظرت إلى ظاهر الإسناد تقول: هو حسن, لكن بعد جمع الطرق تظهر لك العلة, لماذا لم يذكرها بقية هؤلاء الرواة الجمع كثر, ما ذكرها إلا هذا الذي في حفظه شيء.. هذا أمر بين على أنها شاذة غير صحيحة, والله أعلم. وفقه المسألة لا يلزمك أن تصدق الكذوب الذي عرف بأنه يحلف بالله كذباً, لا يلزم أن تصدقه... إن كان الحالف موضع صدقاً يُصدّق, وإن لم يكن كذلك فلك أن ترفض يمينه.. لقول حُوَيِّص ومُحيِّص للنبي صلى الله عليه وسلم: كيف ترضى يا رسول الله بأيمان

يهود؟ فأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الكلام .. إذاً, هذا هو الفقه الصحيح والحديث _كما ذكرنا لكم

_ بهذه الزيادة شاذة ... وأنا أعطيكم قاعدة تسّهل عليكم: أن الحديث إذا انفرد به ابن ماجه عن الكتب الخمسة, فكن منه حذراً, وانتبه... راجع كلام العلماء فيه (علماء العلل) قبل أن تأخذ به مسلّماً فإن لم نقل بأن كل ما تفرد به ابن ماجه عن الكتب الخمسة ضعيف, فأكثره ضعيف, خصوصاً إذا كان الحديث في الصحيحين, فكن حذراً... والله أعلم.. و نكتفي اليوم بهذا القدر, وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى.

الدرس رقم 26

الدرس السادس والعشرون من شرح كتاب التوحيد

الحمد لله, والصلاة والسلام على رسول الله , وصلنا عند الباب الثالث والأربعين : قال المؤلف _رحمه الله _ : باب قول ما شاء الله وشئت : وقد قدمنا القول في هذا وأنه من الشرك بما فيه من التسوية بين مشيئة العبد ومشيئة الله , قد سوى بينهما بحرف الواو , حرف الواو_ هذا _ لا يفيد ترتيباً (يأتي واحد ثم بعده الآخر) لا .. يفيد التسوية فهنا يقال : مثل هذا اللفظ فيه شرك لأن جعلت مشيئة العبد مساوية لمشيئة الله , والصواب في ذلك : أن تقول : ما شاء الله ثم شئت , فإذا الشخص كان (الذي يقول : ما شاء الله وشئت) معتقداً أن مشيئة العبد مساوية لمشيئة الله , فهذا شرك أكبر, أما إذا لم يكن معتقداً لذلك وإنما هو تلفظ فقط , فهنا يكون من الشرك الأصغر , والصواب أن يقول _ كما جاء في الحديث _ : ما شاء الله ثم شئت , لأن (ثم) تختلف عن (الواو) مع أنها حرف عطف مثلها , إلا أنها تختلف عن الواو بأنها تفيد الترتيب مع التراخي ... عندما تقول : ما شاء الله ثم شئت , تأتي مشيئة الله في البداية ثم بعد ذلك تأتي مشيئة العبد , ويكون بينهما مسافة بعيدة (وهذا معنى التراخي) يكون بينهما ... كأن تقول : جاء محمد ثم عمرو , يفهم من ذلك أن محمد جاء اليوم _ مثلاً _ وعمر جاء بعد سنة , أو سنتين , لأنه فيه تراخ ... مسافة بعيدة , أي نعم , بخلاف لوقلت _ مثلاً _ : جاء محمد فعمرو ... (الفاء) _ هنا _ يوجد بينهما مسافة لكنها مسافة قريبة وليست بعيدة , بخلاف الواو ... لا يوجد مسافة أصلاً , هي لمجرد التسوية , لذلك كان هذا التلفظ من الشرك _ كما تقدم سابقاً _ ... قال المؤلف _ رحمه الله _ : عن قتيلة (قتيلة بنت أصيف الأنصارية , صحابية) , أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم , فقال : إنكم تشركون (كيف ذلك ؟) قال : تقولون : ما شاء الله وشئت , وتقولون : والكعبة (هناك تسوية بحرف الواو , وهنا

حلفٌ بحرف (الواو) , وحروف الحلف , حروف القسم : الباء , التاء , الواو ... هذا حرف القسم , والكعبة ... أي , مثل أن تقول : والله , والكعبة : حلف بالمخلوق , الكعبة مخلوقة ... أي نعم ... فهذا حلف بغير الله , وكما تقدم : الحلف بغير الله يعتبر شركاً , وتقدم التفصيل فيه) فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : (ورب الكعبة (إذاً , الحلف ـ هنا ـ صار بالله ـ تبارك وتعالى ـ لا بالكعبة) وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت) إذاً هذا هو اللفظ الصحيح , إذاً , الشرع جاء ـ أيضاً ـ بتصحيح الألفاظ كما جاء بتصحيح العقائد والأعمال , الشرع جاء بتصحيح الألفاظ والعقائد والأعمال , فلا يقولن أحد ـ عندما نقول له : هذا اللفظ خطأ ولا يجوز ـ يقول : والله النية كذا , وقصدي كذا ... ما ينفع , الآن القصد والنية شيء , وتصحيح اللفظ شيء آخر , ولابد لك ... عليك من تصحيح اللفظ أيضاً , لاحظ أنت أن اللفظ الخطأ أُعتبر شركاً أصغر مثل هذا اللفظ , وهو لفظي ... أي نعم .. لكن , لابد ـ إذاً ـ من تصحيح الألفاظ مع تصحيح العقائد وتصحيح الأعمال , لا تركز فقط على تصحيح العقائد والأعمال ,لابد ـ أيضاً ـ من تصحيح الألفاظ ... نعم . رواه النسائي وصححه . قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ وله أيضاً (له : يعني النسائي) وله أيضاً عن ابن عباس : أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت , قال : (أجعلتني لله نداً ؟!) شوف كيف ؟ جعلتني لله مثيلاً ونظيراً عندما جعل مشيئته مساوية لمشيئة الله ـتبارك وتعالى ـ جعله لله نداً ... قال : (بل ما شاء الله وحده وهذا أفضل (أن تقول ما شاء الله وتسكت) هذا أفضل ... لكن أيضاً يجوز أن تقول : ما شاء الله ثم شئت ـ كما جاء في الحديث الذي سبق ـ إذا كان الأمر بالفعل يحتاج إلى مشيئة العبد , أو إن لمشيئة العبد تعلق ... قال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ : ولابن ماجه عن الطفيل ـ أخي عائشة لأمها ـ قال : رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود , قلت إنكم لأنتم القوم , لولا أنكم تقولون : عزير ابن الله ! قالوا : وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء

محمد ! ثم مررت بنفر من النصارى فقلت إنكم لأنتم القوم , لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله ! قالوا : وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ,فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته , فقال: هل أخبرت بها أحداً ؟ ! قلت : نعم , قال : فحمد الله وأثنى عليه , ثم قال : (أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا , أخبر بها من أخبر منكم , وإنكم قلتم كلمة: كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها , فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد , ولكن قولوا : ما شاء الله وحده) هذا الحديث يرويه الطفيل , (هو الطفيل بن عبد الله بن سخبرة , أخو عائشة لأمها) صحابي ... قال : (رأيت) أي في المنام (رؤيا) كأني أتيت على نفر من اليهود , جماعة من اليهود (قلت إنكم لأنتم القوم) يعني بذلك لأنتم القوم الجيدين (لولا أنكم تقولون : عزير ابن الله) يعني هذا الذي أفسدكم (إنكم تجعلون عزيراً ابن الله) قالوا : (وأنتم) (الآن النفر اليهودي يقولون للمسلمين) : وأنتم لأنتم القوم (أيضاً الجيدين الممدوحين) لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد , هنا موضع الشرك , ثم مررت بنفر من النصارى (جماعة من النصارى) وهذا كله في الرؤيا... , فقلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : المسيح ابن مريم ... (ابن الله) عفواً , لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله , وهذا شرك أكبر , وذاك أيضاً شرك أكبر (عزير ابن الله) هذي مصيبة اليهود ومصيبة النصارى , قالوا : وأنتم , لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد , فلما أصبحت , استيقظ من نومه , وأخبر بعض الناس , قال : أخبرت من أخبرت , من المسلمين , ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم , فأخبرته فقال : هل أخبرت بها أحداً ؟ من المسلمين ؟ قلت : نعم , قال : فحمد الله وأثنى عليه , ثم قال : هكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يبدأ خطبه بحمد الله والثناء عليه , ثم يقول : , أما بعد , وهذه كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر في الكلام , الخطب كان يبدأ بها بحمد الله والثناء عليه , وهذا تجدونه كثيراً في خطب النبي صلى الله عليه وسلم ... أما رسائله فكان يبدأها بالبسملة ...

هكذا تجدون فعله صلى الله عليه وسلم واضح ... قال :, أما بعد , فإن طفيل رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم , وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد , ولكن قولوا : ما شاء الله وحده , إذاً, الشاهد هنا : أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قول : ما شاء الله وشاء محمد , وأنها من الشرك , وأنه حثهم أن يقولوا ما شاء الله وحده : نعم .

قال المؤلف ـرحمه اللهـ : باب من سب الدهر فقد آذى الله , الدهر : هو الزمن , كان المشركون في السابق , إذا نزلت بهم حادثة أو مصيبة يقولون : يا خيبة الدهر , فيسبون الزمن : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر ... أي لا تسبوا فاعل النوازل , وما نزل بكم من مصائب , فإنكم إذا سببتم فاعلها , وقع السب على الله ـتعالىـ , لأنه هو الفاعل حقيقة , هو الذي أنزل عليكم المصيبة , فإذا سببتم الدهر , فأنتم حقيقة قد سببتم الله , لأن الله هو الفاعل , فلذلك نهاهم عن سب الدهر ... قال المؤلف ـرحمه الله ـ : وقول الله ـ تعالى ـ : (وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) هذا كلام الكفار , فيها نسبة الحوادث إلى الدهر , فالنوازل والمصائب , والموت ... إلخ , ينسبونه إلى الدهر , فإذا نسبوا هذه الأفعال إلى الدهر , فسوف يسبون الدهر إذا نزلت بهم (وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) إذاً : ما الذي يهلكهم ؟ .....هو الدهر, تقلب الزمان هو الذي يهلكهم , لذلك يسبون ... الدهر , عند نزول المصيبة بهم , والحقيقة أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الفاعل ... المسبة حقيقة ترجع إلى الله , لذلك نهى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عن سب الدهر , وهذا يقع في أهلينا اليوم , موجود هذا كقول كثير من الناس : يلعن اليوم الي شفتك فيه ! هذا من هذا , هذا سب للدهر , للزمن , وهذا محرم لا يجوز , لأن ـ حقيقةً ـ الذي قدر رؤيتك لهذا الشخص الذي تسب اليوم لأجله هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ وليس (اليوم) الزمن , الحقيقة : المسبة ترجع إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ قال : وفي الصحيح عن أبي

هريرة , عن النبي صلى الله عليه وسلم , قال : (قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم) هذه أذية لله ـ سبحانه وتعالى ـ نعوذ بالله , المؤمن لا يقع منه هذا , ما ينبغي أن يقع منه هذا (يؤذيني ابن آدم , يسب الدهر وأنا الدهر) هو يسب الدهر لأن الدهر ـ في اعتقاده ـ هو الذي أثر عليه في المصيبة , (وأنا الدهر) حقيقة : أنا الذي قد قدرت ما حصل له (أقلب الليل والنهار) فسر معنى (أنا الدهر) أيش معنى أن الله هو الدهر ؟ يعني أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذي يتصرف في الأمور , ويقلب الليل والنهار ... أذاً : الزمن هو بيده , وهو الذي يفعل ما يشاء وكل خلقٍ موجود فهو من خلقه ... إذاً : فهو الفاعل حقيقةً , فعندما تسب الدهر , حقيقة السب ترجع عليه , لذلك تؤذي الله ـ سبحانه وتعالى ـ (وفي رواية : لا تسبوا الدهر , فإن الله هو الدهر) يعني : الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذي يقلب الزمان , يقلب الليل والنهار , ويحدث الحوادث , وينزل النوازل ... هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ , فلا تسبوا الدهر ... هذا المقصود ... والمقصود من هذا أن نمتنع عن سب الدهر تعظيماً لله ـ سبحانه وتعالى ـ ولعدم أذيته ـ تبارك وتعالى ـ ... نعم .

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : باب التسمي بقاضي القضاة ونحوها : يعني ماحكم ذلك ؟

قال : في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن أخنع اسم عند الله : رجل تسمى ملك الأملاك , لا مالك إلا الله) قال سفيان : مثل شاهان شاه : يعني بالفارسية ... ملك الأملاك : هذا الاسم خاص بالله ـسبحانه وتعالى ـ فلا يصح أن يسمى به إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ فمن تسمى بهذا الاسم فقد جعل نفسه شريكاً مع الله ـ تبارك وتعالى ـ فهذا يعتبر كفراً بالله ... وهو مناقض للتوحيد (شاهان شاه) قال سفيان : مثله , لأنه عبارة عن ترجمة , لكن هل مثله قاضي القضاة ؟ الآن , ملك الأملاك هذا خاص بالله ـ سبحانه وتعالى ـ , قاضي القضاة , أيضاً هكذا على الإطلاق هو خاص بالله ـسبحانه وتعالى ـفهو الذي يحكم على القضاة ويقضي بينهم ـ سبحانه وتعالى ـ , لكن إذا خصص وقيل ـمثلاُ ـ قاضي قضاة

البلد الفلاني ... هنا صار في تخصيص (قاضي قضاة الأردن , قاضي قضاة مصر) هنا يقول بعض أهل العلم بجواز هذا , منهم الشيخ ابن عثيمين _ رحمه الله _ قال في كلامه : قاضي القضاة بهذا المعنى الشامل العام لا يصلح إلا لله _ عز وجل _ فمن تسمى بذلك فقد جعل نفسه شريكاً لله _ عز وجل _ فيما لا يستحقه إلا الله _عز وجل _ وهو القاضي فوق كل قاض , وإليه يرجع الحكم كله , وإن قيد بزمان أو مكان فهذا جائز . هذا كلام الشيخ ابن عثيمين _ رحمه الله _ , (فإن قيد بزمان أو مكان فهذا جائز) كأن يقال : قاضي قضاة سنة كذا أو يوم كذا , أو قاضي قضاة الأردن , أو قاضي قضاة مصر .. هكذا .. هذا معنى ما ذكر الشيخ , أيش قال الشيخ : وإن قيد بزمان أو مكان فهذا جائز لكن الأفضل ألا يفعل , لأنه قد يؤدي إلى الإعجاب بالنفس والغرور حتى لا يقبل الحق إذا خالف قوله , وإنما جاز هذا لأن قضاء الله لا يتقيد (يعني : لا يقال _ هنا _ بأنه شريك مع الله) الله _ سبحانه وتعالى _ قضاؤه لا يتقيد فيقال : قاضي القضاة مطلقاً _ بخلاف ما قيد _ فلا يكون فيه مشاركة لله _ عز وجل _ وذلك مثل : قاضي قضاة العراق , أو قاضي قضاة الشام , أو قاضي قضاة عصره ... إلى آخر ما قاله _ رحمه الله_ , هذا هو التفصيل في هذه المسألة , هذا بالنسبة لقاضي القضاة , أما ملك الأملاك لا ... لا يصح , لأنه لا يصح تقييده هنا ... أي نعم ... قال المصنف _ رحمه الله _ وفي رواية : (أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبه) قوله : (أخنع) يعني : أوضع , لما قال : (إن أخنع اسم عند الله) يعني : أوضع اسم عند الله وأحطه ... (وأغيظ رجل على الله) يعني : أبغضه على الله يوم القيامة و أخبثه (رجل تسمى : ملك الأملاك) ... نعم .

قال المؤلف _ رحمه الله _ : باب احترام أسماء الله _تعالى _ وتغيير الاسم لأجل ذلك : باب احترام أسماء الله _تعالى _ : يعني : تعظيم .. يعني : هذا الباب معقود لتعظيم أسماء الله تبارك وتعالى وتقديرها , وتغيير الاسم لأجل ذلك : أي لاحترام

الاسم ... قال المؤلف _ رحمه الله _ : عن أبي شريح أنه كان يكنى أبى الحكم , فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله هو الحكم , وإليه الحكم , فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني , فحكمت بينهم , فرضي كلا الفريقين . فقال : (ما أحسن هذا ! فمالك من الولد) ؟ قلت : شريح , ومسلم , وعبدالله . قال : (فمن أكبرهم) ؟ قلت شريح . فقال : (فأنت أبو شريح)) رواه أبو داود وغيره . أبو شريح الخزاعي , اسمه : خويلد بن عمر , صحابي أسلم يوم الفتح ... أنه كان يكنى في قومه وبينهم _ أبا الحكم , لأنه كان يحكم بينهم , هنا يوجد اعتبار لمعنى الكنية , لاحظ.. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله هو الحكم وإليه الحكم .. ثم غير له كنيته , فغير كنيته كي يغير الاسم الذي هو من أسماء الله , وسماه باسم ابنه الأكبر , وفيه سنية التسمي ... التكني بالابن الأكبر ... قال ابن القيم _ رحمه الله _ : والمقصود : أنه لا يجوز لأحد (أعطيكم خلاصة هذا الباب) ... والمقصود : أنه لا يجوز لأحد أن يتسمى بأسماء الله المختصة به , إذاً من أسماء الله ما هو مختص به , ومنها ما ليس مختصاً به ... قال : لا يجوز لأحد أن يتسمى بأسماء الله المختصة به , وأما الأسماء التي تطلق عليه وعلى غيره , كالسميع والبصير والرؤوف والرحيم ... فيجوز أن يخبر بمعانيها عن المخلوق , ولا يجوز أن يتسمى بها على الإطلاق , بحيث يطلق عليه كما يطلق على الرب _تبارك وتعالى _ ذكر ذلك في (تحفة المودود) صفحة : مئة وواحد وسبعين , وقال الشيخ ابن عثيمين _ رحمه الله _ : باب احترام أسماء الله : أي : وجوب احترام أسماء الله , لأن احترامها احترامٌ لله _ عز وجل _ ومن تعظيم الله _ عز وجل _ , فلا يسمى أحد باسم مختص بالله , وأسماء الله تنقسم إلى قسمين : الأول : ما لا يصح إلا لله , فهذا لا يسمى به غيره , وإن سمي وجب تغييره , مثل : الله , الرحمن , رب العالمين .. وما أشبه ذلك .. الثاني : ما يصح أن يوصف به غير الله , مثل : الرحيم , السميع , البصير , فإن لوحظت الصفة , منع من التسمي به , وإن لم تلاحظ الصفة , جاز التسمي به على أنه علم محض , أيش معنى هذا الكلام ؟

يعني : إذا سميت شخصاً بالعزيز , ولم تعتبر معنى العزة , جاز .. , لكن إذا اعتبرت المعنى , فلا يجوز .. انظر هنا في حديث أبي شريح , كان يكنى أبا الحكم .. لماذا ؟ لأنه كان يحكم بين قومه فمعنى الاسم كان معتبراً عندهم , فلوحظ المعنى ـ هاهنا ـ فيه , فلذلك نقول هنا : لا يجوز ... مع أن الاسم ممكن أن تخبر عن الشخص بأنه حكم , فهو يمارس هذا العمل ويحكم بين الناس , فتقول : فلان حكم , لكن أن تلاحظ هذا المعنى , وتعتبره , عندئذٍ يقال : لا يجوز , هذا كلام الشيخ ابن عثيمين , وهو موافق لكلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ تماماً .. وهذا خلاصة هذا الباب , خلاصة الأمر : أن تعلم أن من الأسماء ماهي خاصة بالله , لا يجوز تسمية أي أحد بها , ومنها ما ليس خاصاً بالله , فيجوز أن تسمي بها , لكن دون ملاحظة المعنى هذا خلاصة الموضوع .. نعم

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : باب من هزل بشيءٍ فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول : الهزل : السخرية , مزح , لعب .. هذا الفعل هو الهزل بما ذكر فيه اسم الله ـ سبحانه وتعالى ـ , أو بما ذكر فيه الله , أو بالقرآن , أو بالرسول صلى الله عليه وسلم ,استخفاف هذا , هذا استخفاف بالقرآن , واستخفاف بالرسول صلى الله عليه وسلم , واستخفاف بالله , واستخفاف بشرعه ... لذلك هو كفر , هذا يعتبر كفراً , فالهزل ضد الجد (مزاح , لعب , سخرية) هذا يقع من إنسان ليس في قلبه تعظيم لله ولرسوله ولشرعه ... قال المصنف ـ رحمه الله ـ : وقول الله ـتعالى ـ : (ولئن سألتهم ليقولون إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون) هذه الآية هي الدليل على ذلك , يذكر المؤلف لنا سبب نزول هذه الآية .. قال : عن ابن عمر ومحمد بن كعب , وزيد بن أسلم , ابن عمر معروف , ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم من التابعين , وقتادة كذلك ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ أنه قال : رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا (القراء عندهم : كانوا العلماء) هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً , شوف كيف ؟ أرغب بطوناً يعني : شرهين للأكل (شغل أكل زي ما نسمع من

بعض الناس اليوم يتحدث عن المشايخ مستهزأً وساخراً بهم , يقول : والله المشايخ شغل أكل بس ! نفس الكلمة لاحظ) ولا أكذب ألسناً (وصفهم بالكذب أيضاً) ولا أجبن عند اللقاء (يعني : في الحروب والمعارك جبناء) هؤلاء من : النبي صلى الله عليه وسلم وصفوة الصحابة , يتحدث عنهم , يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء (العلماء) فقال له عوف بن مالك : كذبت ولكنك منافق , لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم , فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره , فوجد القرآن قد سبقه , نزلت فيه الآيات قبل أن يصل عوف إلى النبي صلى الله عليه وسلم , فجاء ذّلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته (يعني : النبي صلى الله عليه وسلم ركب الناقة وتجهز للمسير) فقال : يا رسول الله ! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب (يعني كنا نتحدث , ونتسلى , حديث الركب يقطعون فيه الطريق , و نتسلى ونمزح) نقطع به عناء الطريق . قال ابن عمر : كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الحجارة تنكب رجليه (متعلق بحبل الناقة , وقدماه تتخبط بالحجارة في الأسفل وهو يترجى) وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب , فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا فقد كفرتم بعد إيمانكم , ما يلتفت إليه , وما يزيده عليه , تاب الله ـسبحانه وتعالى ـ على بعض , والبعض لم يقبل منهم توبتهم لعلمه بنفاقهم ـ تبارك وتعالى ـ المهم , الشاهد هنا : أن الاستهزاء بالله أو برسوله أو بشريعته أو بشعائر الإسلام , هذا كفر مخرج من ملة الإسلام ... وهذه الآية دليل واضح على أنه ليس كل من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله صار عنده درعاً واقياً لا يمكن أن يكفر به أبداً ... لا غير صحيح هذا الكلام , لا إله إلا الله محمد رسول الله لها شروط ولها نواقض يجب أن تحافظ على شروطها , وأن تحرص على البعد عن نواقضها , ومن نواقضها : الاستهزاء بالله أو برسوله أو بالقرآن أو بشريعة الله ـ تبارك وتعالى ـ اللحية ـ هذه ـ من علم أنها سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسخر منها

فقد كفر ... هكذا الأمر يكون , أي نعم .. فالأمر جد خطير , ولا يمكن للعبد أن يكون مسلماً قد وقر الإيمان في قلبه واستقر أن يصدر منه مثل هذا الأمر ,الاستهزاء بالله أو برسوله أو بالقرآن أو بشريعة الله ـ تبارك وتعالى ـ , فينبغي الحذر , فهذا من الأمور التي تخل بتوحيد العبد ... نسأل الله أن يحفظنا وإياكم , وأن يبارك لنا في أوقاتنا , وأن ينفعنا بما علمنا ... ونكتفي بهذا القدر ...

الدرس رقم 27

الدرس السابع والعشرون من شرح كتاب التوحيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , أما بعد : وصلنا عند الباب الثامن والأربعين , قال المؤلف_ رحمه الله _: باب قول الله تعالى :(ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي) مناسبة الباب هذا لكتب التوحيد أن اضافة الإنسان النعمة إلى عمله وكسبه فيه نوع من الاشراك بالربوبية فالذي ينعم علينا هو الله _ سبحانه وتعالى _ , فينبغي عليك أن ترد النعمة إلى من أنعم بها عليك , وهو الله _سبحانه وتعالى _ هذا أول شكر النعمة : أن تعترف بفضل الله _ سبحانه وتعالى _ وبأنه هو المتفضل عليك بها , أن تعترف بأن هذه النعمة من الله , هذي أول مقامات الشكر , ثم بعد ذلك أن تعمل فيها بطاعة الله _ تبارك وتعالى _ , فإذا أنعم الله _تبارك وتعالى _عليك بنعمة المال , نعمة الرزق .. تعترف بأن هذا من الله _سبحانه وتعالى _ , وليس لك فيه شيء , وإنما هو محض تفضل من الله _ تبارك وتعالى _ عليك , ثم بعد ذلك تعمل في هذا المال بطاعة الله , تنفق منه على نفسك ما يقويك على طاعة الله _ تبارك وتعالى _ , وما يعينك على ذلك , وتنفق منه في سبيل الله ... تطعم الفقراء والمساكين , تعطي ذوي القربى (تصل الرحم به) , تنفق في سبيل الله , تعطي للمجاهدين , تعطي لطلبة العلم وطلبة العلم _أيضاً _ من المجاهدين في سبيل الله , نعم ... تنفق في سبيل الله في أنواع النفقات , نفقات الخير .. المهم أن تعترف بفضل الله _ سبحانه وتعالى _ وأن تعمل فيه بطاعة الله _ تبارك وتعالى _ , كذلك صحتك (جسدك) هذه نعمة من الله _ سبحانه وتعالى _ أن يعطيك الصحة , (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ) فإذا أنعم الله عليك بهذه النعمة , فاستغلها في طاعة الله ... اعترف أولاً بأنها من الله _ تبارك وتعالى _ , ولو شاء الله _ سبحانه وتعالى _ لم يعطك هذه النعمة من أصلها , كما

تشاهد حولك من أناس مصابين بفقدها , أو أنه يعطيك إياها ثم ينزعها عنك ويحرمك منها , فأنت تعترف بفضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليك , وبنعمه ... وأنه منه تبارك وتعالى محض تفضل وتكرم عليك بذلك ثم بعد ذلك تستعمل صحتك ـ هذه ـ في طاعة الله ـ تبارك وتعالى ـ , فتصوم وتصلي وتعمل أنواع الطاعات ...أي نعم .. وتساعد ـ أيضاًـ تصل رحمك بصحتك هذه , فإذا احتاج أحد من رحمك عملاً معين ـ وأنت قادر عليه ـ فتعينه في هذا العمل .. وهكذا .. نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يوفقنا و إياكم لذلك ... هذه من الأمور المهمة ـ بارك الله فيكم ـ , من الأمور المهمة ... والتي ـ يعني ـ جاءت فيها أدلة كثيرة من الكتاب والسنة , تحث على الاعتراف بنعم الله ـ تبارك وتعالى ـ , وعلى شكر هذه النعم ,(اعملوا آل داود شكراً) والشكر لا يكون بمجرد اللسان , نعم , اللسان مطلوب .. والاعتراف بالقلب ـ أيضاً ـ مطلوب لأن النعمة من الله ـسبحانه وتعالى ـ , لكن أيضاً الشكر لابد أن يكون بالجوارح , (اعملوا آل داود شكراً) , وكان عليه الصلاة والسلام يقوم الليل حتى تتفطر قدماه , فيقال له في ذلك , فيقول : أفلا أكون عبداً شكوراً... فهكذا هو شكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ , فلا بد عليكم ـبارك الله فيكم ـ من الاعتراف بنعم الله ـ تبارك وتعالى ـ علينا , لفضله ... لأنه ـتبارك وتعالى ـ أراد أن يتفضل علينا بذلك , وإلا نحن لا نستحق هذا , ونحن ليس منا عمل في ذلك , وإنما هو تفضل من الله ـ تبارك وتعالى ـ ... فمناسبة الباب .. أن اضافة الإنسان النعمة إلى عمله وكسبه فيه نوع من الاشراك بالربوبية , لأن هذه النعمة من اللهـ سبحانه وتعالى ـ خالصةً , فينبغي أن تردها إلى الله ـتبارك وتعالى ـ بالاعتراف بذلك , وإذا أضافها إلى الله , لكنه زعم أنه مستحق لذلك , هذا نوع آخر .. يقول لك : نعم , النعمة من الله ... أعرف , لكنني أنا أستحق ذلك , لذلك أنعم الله بها علي , لا أبداً , ليس لهذا ... بل لأن الله ـ تبارك وتعالى ـ أراد أن يتفضل عليك بهذه النعمة فقط... لست لأنك أهل لها ,أي نعم ... وإذا أضافها إلى الله لكنه زعم

أنه مستحق لها ,أنما أعطاه الله ليس محض تفضل .. ولكن لأنه أهل لذلك ... هذا ففيه نوع تعالي وترفع في جانب العبودية والخضوع والتذلل الذي ينبغي أن يكون عليه _بارك الله فيكم _ هذه مناسبة الكتاب لكتاب ... مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ... نرجع إلى الآيات الآن , يقول المؤلف _ رحمه الله _ : باب قول الله تبارك وتعالى : (ولئن أذقناه) (يعني : الإنسان ... ولئن أذقنا الإنسان ... يعني : أنزلنا رحمة منا على الإنسان) (ولئن أذقناه رحمة منا) هذه الرحمة ربما تكون غنى , يتفضل الله عليك بأنواع الرزق بعد فقر , تكون فقيراً مسكيناً ثم يفتح الله عليك ويرزقك , أو تكون محروماً من الأولاد ,فيرزقك الله أولاداً , أو تكون محروماً من الصحة , أصابك مرض و داء , فيرزقك الله سبحانه وتعالى الصحة ... (ولئن أذقناه) (يعني : الإنسان) (رحمة منا) (تفضلاً من الله _ تبارك وتعالى _ بأنواع النعم) (من بعد ضراء مسته) يعني : بعد ما نزلت به مصيبة , مصيبة الفقر_ مثلاً _ فأغناه الله رحمة منه , أو مصيبة المرض فأصحه الله _تبارك وتعالى _ وشفاه , فأنزل عليه رحمة منه _ أي نعم مثل هذا , قال : (من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي) شف أيش فعل ؟ بعد أن من الله _تبارك وتعالى _ عليه برحمة منه , بنعمة وفضل منه , تفضلاً منه _ تبارك وتعالى _ , قال (هذا لي) يعني : كفر بنعمة الله _تبارك وتعالى _ , إعجاباً ... و أعجب بنفسه , فقال : (هذا لي) (هذا ما أستحقه) , أي نعم .. (وما أظن الساعة قائمة) أنظر البلوى والمصيبة الأكبر من هذا , هذا موجود في اليوم , بين الناس , ينعم الله _سبحانه وتعالى _ عليه بالنعم, يقول : أنا أستحق هذه النعمة لذلك أنعم الله بها علي ... ها ... خلاص , بعدما ينغمس في الدنيا ينسى الآخرة (ما أظن الساعة قائمة) ما أظن أني سأبعث , أنا أشك في هذه المسألة ... موضوع البعث ... ولئن حصل , إن قدر الله _ سبحانه وتعالى _ وحصل ,كان فعلاً في بعث (ولئن رجعت إلى ربي) يعني : إن قدر الله وحصل هذا الشيء ووجد (أني رجعت إلى الله وصار في بعث) (إن لي عنده

للحسنى) يعني : وإن حصل .. أنا أشك في موضوع البعث , لكن إن حصل ووجد فيكون لي عند الله ـسبحانه وتعالى ـ فضل أكثر من الفضل الذي آتاني في الدنيا , سأحصل على الجنة وعلى نعيمها ... هذا لو حصل , وكان في بعث ,هذا تقدير كلامه ... ماذا قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ في إنسان كهذا ؟ قال: (لننبئن الذين كفروا بما عملوا) يعني : سيخبرهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأعمالهم وأقوالهم وعقائدهم هذه يوم القيامة بعد أن يبعثوا , أي أنهم سيبعثون لا شك في ذلك , وسيخبرهم الله ـسبحانه وتعالى ـ بما قالوا وبما اعتقدوا وبما عملوا .. (بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) يعني : سينالون بسبب هذا عذاباً غليظاً شديداً من الله ـ تبارك وتعالى ـ لأنهم كفروا وجحدوا بعد أن أنعم الله ـ تبارك وتعالى ـ عليهم بأنواع النعم .. قال المصنف رحمه الله تعالى : قال مجاهد : (هذا بعملي) يعني : هذا لي , هذا بعملي .. أنكر أن يكون الله ـسبحانه وتعالى ـ قد تفضل عليه بفضله ومنه وكرمه لا ... يقول لك هذا بعملي , أنا بجدي واجتهادي حصلت على ذلك , فأنكر نعمة الله ـ تبارك وتعالى ـ عليه كما سيأتي في الذين يُمتحنون , في قصة الأبرص والأقرع والأعمى ... قال : (هذا بعملي وأنا محقوق به) يعني : أنا صاحب حق , يعني : لأني صاحب حق وأستحق هذا الفضل جاءني هذا ... جاءتني هذه النعمة ... وقال ابن عباس (يريد من عندي) يعني : من عندي ليس من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ , هذا الفضل الذي جاءني , والرزق والرحمة التي جاءتني ... وقوله : (قال إنما أوتيته على علم عندي) . قال قتادة : (على علم مني بوجوه المكاسب) يعني : بشطارتي ـ زي ما يقال اليوم ـ يعني : من وين أوتُيت بهذا الرزق وهذا الفضل ؟ بشطارتي , يعني ليس بفضل الله ـسبحانه وتعالى ـ . وقال آخرون : (على علم من الله أني له أهل) هذا قول ثانٍ .. هم أصناف : بعضهم يعترف أن النعمة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ , لكن يقول لك أيش ؟ أنا أهل لها وأستحقها لذلك أوتُيتها ليس فضلاً خالصاً من الله ـ تبارك وتعالى ـ , أما الأول , فيقول لك : لا , هاي بشطارتي أصلاً , ما هو من عند الله ـ سبحانه

وتعالى ـ . وهذا معنى قول مجاهد : (أوتيته على شرف) يعني : لأني صاحب شرف وعز ومكانة ... يعني ـ أعطاني الله هذا ... هذه الرحمة ... كلها من بجحد نعمة الله ـ تبارك وتعالى ـ وتفضله على عبده ... نعم

قال المصنف ـرحمه الله تعالى ـ : وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (هذه قصة سيذكرها لنا النبي صلى الله عليه وسلم , وفيها عظة وعبرة لنا , حصلت في بني إسرائيل) قال : (إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع ,وأعمى) (أما الأبرص : برص , مرض يصيب الجلد يغير لونه , وأقرع : لا شعر في رأسه ... معروف , والأعمى معروف , ثلاثة رجال , كل واحد قد أصابه الله ـ سبحانه وتعالى ـ بمصيبة) , (فأراد الله أن يبتليهم) شوف البلاء , شوف أيش سمى الآن ؟ قال : أراد الله أن يبتليهم , ركز على هذا , الابتلاء ـهنا ـ المقصود به الاختبار , طيب مش بهم أمراض (هم مبتلون) ؟ والنعمة ـأيضاًـ تكون بلاءً , اختباراً ... يختبرك الله ـسبحانه وتعالى ـ بالنعمة التي يؤتيك , فتكون حذراً , أراد الله أن يختبر هؤلاء الثلاثة , يختبر أيمانهم , فهم يظهرون الإيمان , ولكن من سنة الله ـ تبارك وتعالى أنه ما يترك الإنسان أن يدعي مجرد دعوة أنه مؤمن , لابد من الامتحان , ثم بعد ذلك إما أن ينجح , أو أن يرسب (أن يفشل) هذه سنة الله في خلقه (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) لابد من الفتنة , لابد من الاختبار (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) إذاً , في عندنا اختبارات ... اختبارات بمصائب وبلايا , وفي عندنا اختبارات ـ أيضاً ـ بنعم وفضل من الله ـ تبارك وتعالى ـ يكون الاختبار هكذا , ويكون هكذا ربما الإنسان ينجح في اختبار في البدء ولا ينجح في اختبار في النعمة والتفضل من الله ـ سبحانه وتعالى ـ , هؤلاء بهم بلاء هم صابرون مؤمنون , لكن جاءهم الاختبار في ماذا ؟ في النعمة ... فقال : (أراد الله أن يبتليهم) أراد أن يختبرهم , (فبعث إليهم ملكاً) (ملك من الملائكة , جاءهم على

صورة رجل) (فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك ؟) شوف كيف ؟ أحب ما تتمنى أنت , يريد أن ينعم عليه نعمة عظيمة (قال : لون حسنٌ , وجلد حسنٌ , ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به) يعني : يريد أن يمن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليه وأن يشفيه من البرص (قال : فمسحه فذهب عنه قذره) مسح عليه ذهب كل شيء , ما بقى شيء , برء (فأعطي لوناً حسناً , وجلداً حسناً) (ذهب عنه البرص) (قال : أي المال أحب إليك ؟) شوف , يريد أن يبتليه ويختبره بأنواع النعم , أنعم عليه بأن شفاه من بلاءه وبرصه , ثم أنعم عليه بأن أعطاه أحب المال إليه (قال : أي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل أو البقر ـ شك اسحق ـ) يعني : ما يدري اسحق أيش قال ؟ قال الإبل أو البقر ... المهم (فأعطي ناقة عشراء) معانته أنه قال : الإبل , فأعطي ناقة عشراء , يعني : حامل (فقال : بارك الله لك فيها) دعا له بالبركة (قال : فأتى الأقرع) هذا الثاني (فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال: شعر حسن , ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به , فمسحه , فذهب عنه) نفس الشيء ,برء من داء القرع الذي كان به (وأعطي شعراً حسناً, قال: أي المال أحب إليك ؟ قال : البقر أو الإبل) شك من الراوي (فأعطي بقرة حاملاً) يعني : كان اختياره البقر ,(فأعطي بقرة حاملاً, فقال : بارك الله لك فيها) بقرة حامل ودعا له بالبركة (فأتى الأعمى) هذا الثالث (فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله علي بصري , فأبصر به الناس , فمسحه , فرد الله إليه بصره , قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الغنم , فأعطي شاةً والداً, فأنتج هذان وولد هذا) كلهم أعطاهم , كل واحد يعني أنثى حامل , ثم بعد ذلك دعا لهم بالبركة , فصار عندهم قطيع كامل من الإبل والبقر والغنم , فمن الله عليهم بفضله (فكان لهذا وادٍ من الإبل , ولهذا وادٍ من البقر , ولهذا واد من الغنم) فأنعم الله عليهم نعمتين عظيمتين , على كل واحد , شفاه من بلاءه , وأعطاه من أحسن المال الذي يحب ... لكن , ننظر بعد ذلك , هل نجحوا في الاختبار أم لا ؟ (قال : ثم ...) (بعد ذلك) (ثم

إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته) (أتاه كرجل به داء البرص , وفقير.. ومحتاج) (فقال : رجل مسكين وابن سبيل , قد انقطعت بي الحبال في سفري هذا , فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك) (لا أستطيع أن أصل إلى بلدي التي أريد إلا أن تعطيني أنت من بعض المال الذي يعينني على الوصول .. فما لي إلا الله أولاً ثم أنت) (أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن , والجلد الحسن , والمال : بعيراً أتبلغ به في سفري ؟) لاحظ هنا في سؤاله ذكره بالحال الذي كان عليه ... فقال : (أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن , والجلد الحسن) يعني هذه النعم من الله ـتبارك وتعالىـ و أنت لم تكن عندك هذه النعمة , تفضل الله بها عليك , فتذكر نعمة الله واعترف بها واشكرها بالصدقة وأعطني مما أعطاك الله , هذه كلها إشارة في هذا السؤال ... فقال : بس أعطني بعير واحد من هذا الوادي كله , بعير واحد بس أوصل به إلى أهلي . (فقال : الحقوق كثيرة) كلمة تسمعها من الأغنياء كثيراً (الحقوق كثيرة) , عندما يأتي أهل الخير يطلبون من الأغنياء من أجل أن يشفعوا عند الفقراء .. ماذا يقولون لهم ؟ أو يأتي الفقير .. يقول : والله المصاريف كثيرة .. المال قليل والمصاريف كثيرة , هذا هو (الحقوق كثيرة) , فقال له : كأني أعرفك !) قال : الحقوق كثيرة , يعني : ما أريد أ، أعطيك , حل عني ... فأيش قال له ؟ قال له : كأني أعرفك , يريد الآن يذكره صراحة (ألم تكن أبرص يقذرك الناس , فقيراً فأعطاك الله المال ؟ !) أنت ما كنت على هذا الحال , يذكره بالماضي الذي كان .. وهو نفسه هو الملك الذي جاءه في الأول , يعرفه . (فقال) شوف الآن , وهذا الشاهد , أيش قال الآن ؟ (قال : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر) يعني ليس هو من نعمة الله , بل هو من عندي (قال : إن كنت) الآن الملك يقول) (قال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت) يعني أنا ما مريت بمرحلة الفقر الي أنت تتكلم عنها , أنا هذا المال وارثه كابر عن كابر ! وهو من عندي ! فجحد نعمة الله ـ تبارك وتعالى ـ , أيش قال له الآن ؟ قال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى

ماكنت ... فهذا أيش ؟ فشل في الاختبار , رسب , فدعا عليه الملك أن يذهب عنه الفضل الذي أتاه الله ـ تبارك وتعالى ـ , أنظر .. عدم شكر النعمة والاعتراف بها لله ـتعالى ـ سبباً في إزالتها منك , وهذا عاجل العقاب , عداك عن العقاب الذي سيكون في الآخرة إذا لأم يتب العبد . (قال :وأتى الأقرع في صورته وهيئته , فقال له مثل ما قال لهذا) (نفس ما حصل مع الأبرص حصل مع الأقرع) (ورد عليه مثل مارد عليه هذا , فقال له : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت , قال : وأتى الأعمى) (الآن الثالث) (في صورته وهيئته , فقال : رجل مسكين) (يعني : أنا) (رجل مسكين , وابن سبيل) يعني : فقير محتاج , ومسافر , ليس .. لا يعرفني أحد حتى يعينني , وليس عندي ما يكفيني لوصولي إلى أهلي , (فقد انقطعت بي الحبال في سفري) (خلاص , ما عندي شيء يوصلني إلى أهلي) (فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك) يعني : أنت الذي تستطيع أن تساعدني بعد الله ـسبحانه وتعالى ـ , فساعدني ... قال : (أسألك بالذي رد عليك بصرك : شاة أتبلغ بها في سفري) يعني : أطلب منك إنما شاة واحدة بس أصل بها إلى أهلي (فقال : قد كنت أعمى) شوف الآن رده كيف ؟ شوف هذا الذي ينجح في اختباره .. انظر أيش رد ؟ اعترف بفضل الله أولاً .. قال : (قد كنت أعمى فرد الله علي بصري) لا إله إلا الله , شوف الاعتراف بالفضل لله ـسبحانه وتعالى ـ ما أعظمه ,أن تعترف بنعمة الله عليك , والله هذه نعمة من الله وحدها , تحتاج إلى شكر لله أن وفقك إلى هذا ... قال : (قد كنت أعمى فرد الله علي بصري , فخذ ما شئت) انظر الآن شكر النعمة , يشكر النعمة ويتصدق لوجه الله سبحانه وتعالى (فخذ ما شئت , ودع ما شئت) خيره , مش شاة واحدة , خذ ما تريد , واترك مالا تريد (فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله) يعني : لا أنازعك في شيء أخذته لوجه الله تبارك وتعالى , فقال الملك : (أمسك مالك) (خل مالك عندك , إنما هو اختبار) (فإنما ابتليتم) (إنما اختبرتم , وامتحنتم) (فقد رضي الله عنك , وسخط

على صاحبيك) أخرجاه . إذاً أيش , أيش الشاهد ؟ أصل شكر الله أن تعترف بنعمته وفضله , ثم تعمل فيها بطاعته ـ تبارك وتعالى ـ , فنسأل الله أن يوفقنا وإياكم لذلك .

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : باب قول الله ـ تعالى ـ (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) هذا الباب معقود لبيان أن تعبيد الأسماء لغير الله شرك , يعني أن تسمي ابنك مثلاً : عبد حسين أو عبد علي ... مثل هذا شرك بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وينافي كمال التوحيد : يعني لا يخرج من الملة , لكن ينافي كمال التوحيد , هذا إذ لم يكن معه اعتقاد , إن المقصود مجرد التسمية , أما إن كان المقصود تعبيد التأله لغير الله فإنه شرك أكبر , ينافي التوحيد , قلت هو عبد الحسين أو عبد حسين , أو عبد علي ... وأردت بذلك الخضوع والتذلل لعلي بمعنى العبودية , فهذا شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ,أما إن كان مجرد تسمية فقط ولا تعتقد هذه العبودية , فهذا يعتبر من الشرك المنافي لكمال التوحيد , يعني غير مخرج من الملة ... هذه مناسبة هذا الباب , ولذلك ذكره المؤلف .. الآن ذكر هذه الآية : (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) تناسب الباب في أحد التفسيرين المذكورين لهذه الآية , أحد التفسيرين أن هذه الآية نزلت في آدم وحواء , وبناءً على هذا التفسير يصح إيرادها في هذا الموطن , أول الآية : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ...) الآن على التفسير الذي أراد المؤلف سنمضي , هناك قول آخر أن المراد ليس آدم وحواء إنما المراد أبنائهم وذريتهم , نحن الآن سنفسر بناءً على أنهم آدم وحواء على ما أراد المؤلف الآن , هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها , النفس الواحدة : أدم (وجعل منها زوجها) حواء , (فلما تغشاها) يعني : جامعها , لما جامع آدم حواء (حملت) يعني : علقت رحمها بالنطفة ,(حملاً خفيفاً) بداية الحمل تكون خفيفة , أولاً يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة , ما يؤثر على المرأة ويكون خفيفاً (فمرت به) يعني كانت تتحرك , تذهب , وتأتي , وتعمل , وتمشي , ,تقوم , وتقعد ... أمر خفيف عليها ,(فلما أثقلت) في

وقت ....في طور نفخ الروح (دعوا الله ربهما) يعني دعا آدم وحواء ربنا _ تبارك وتعالى _ , ماذا كان دعاءهما ؟ (لئن آتيتنا صالحاً) يعني لو أنك رزقتنا ولداً صالحاً سليماً من العيوب , صالحاً في جسده , سليماً من العيوب ,(لنكونن من الشاكرين) لنشكرك على ما تفضلت به علينا , هذا واجب على كل مسلم , إذا ربنا سبحانه وتعالى أنعم عليه بنعمة أن يشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة ... طيب , لكن ؟ ماذا حصل ؟ قال : (فلما آتاهما صالحاً) استجاب الله سبحانه وتعالى لدعائهما وآتاهما ولداً سوياً صالحاً ليس به عيب , (جعلا له شركاء فيما آتاهما) قال بعض أهل التفسير : ذلك حصل منهما بسبب أن حواء كان لا يعيش لها ولد , فجاءها إبليس فقال لها : سميه عبد الحارث , كي يعيش ... فسمته عبد الحارث , فعاش ... فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره ... جعلا له شركاء في طاعة ,أطاعا إبليس : فقال أهل العلم : آدم وحواء , لا يقع منهما الشرك ولكن هذا الشرك المقصود به شرك الطاعة , فأطاعا إبليس , وكان الواجب عليهما أن يطيعا ربهما تبارك وتعالى , فأطاعا إبليس في ماذا ؟ في أن سميا الولد عبد الحارث , فعبّداه لغير الله _تبارك وتعالى _ وهذا شرك في التسمية , وهو الشاهد الذي أراده المؤلف ... بعض العلماء قال : هذا التفسير غير صحيح , ولا يصح فيه شيء , والآثار الواردة فيه ضعيفة .. قالوا : والصحيح ما ذهب إليه الحسن البصري أنه ليس المراد في هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريتهما , قال : الله _ سبحانه وتعالى _ في آخر الآية قال : (فتعالى الله عما يشركون) جمع .. فقالوا : ذكر أولاً آدم وحواء كالتوطئة لما بعدها من الآباء والأمهات , قال : وكان شرك أولئك الآباء و الأمهات عندما يرزقهم الله _سبحانه وتعالى _ الأولاد الصالحين يربونهم على اليهودية وعلى النصرانية وعلى المجوسية وما شابه , المهم... المراد الآن عند من كلام المؤلف أن يبين لنا أن التعبيد لغير الله في الأسماء شرك ... هذا أمر مجمع عليه ... قال المصنف _رحمه الله _ : قال ابن حزم : (اتفقوا على تحريم كل اسمٍ معبدٍ لغير الله : كعبد

عمرو , وعبد الكعبة , وما أشبه ذلك) كما ذكرنا : كعبد الحسين , وعبد علي , وعبد النبي , وعبد الرسول , هذه الأسماء تكثر عند المصريين (عبد النبي) تكثر عند الرافضة (عبد الحسين , وعبد علي) وهذا كله محرم , إنما الذي حصل فيه خلاف , قال : (حاشا عبد المطلب) يعني : ما عدا اسم عبد المطلب هو الذي حصل في خلاف ولم يتفقوا على تحريمه, والصحيح : التحريم مطلقاً , الذين يقولون بالجواز , يقولون : النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أنا ابن عبد المطلب) لكن هذا الاسم ـ حقيقة ـ النبي صلى الله عليه وسلم ذكره على سبيل الإخبار بالاسم , إخبار باسم قد اشتهر وعرف بين الناس , فسمى هذا الاسم , وذكر أنه ابن الشخص المسمى بهذا الاسم , فهو صلى الله عليه وسلم لم ينشىء هذا الاسم , ولا كان موجوداً في أحدٍ من أهل زمنه وأبطله ... أو أقره , عفواً ... يعني : لم يكن موجوداً في أحد من أهل زمنه وأقره , حتى يقال : والله بجوازه ... لا , إنما أخبر عن اسم مسمى به أحد أجداده , فلا يدل هذا على الجواز وقد حقق هذه المسألة (مسألة التسمية) ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه النافع (تحفة المودود في أحكام المولود) صفحة 156 , خلاصة الأمر : أنه لا يجوز التعبيد في الأسماء لغير الله ـ تبارك وتعالى ـ وهذا بالاتفاق , حصل خلاف في اسم عبد المطلب , والصحيح : التحريم ـ أيضاً ـ لأنه فيه تعبيد لغير الله ـ سبحانه وتعالى ـ , قال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ : وعن ابن عباس ـ في الآية ـ قال : (لما تغشاها آدم حملت , فأتاهما إبليس , فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة , لتطيعنني أو لأجعلن له قرنيي آيل) (هذا نوع من أنواع الغزال , له قرون متشعبة) (فيخرج من بطنك فيشقه , ولأفعلن ولأفعلن ـ يخوفهما ـ , فسمياه : عبد الحارث , فأبيا أن يطيعاه , فخرج ميتاً , ثم حملت , فأتاهما , فقال مثل قوله , فأبيا أن يطيعاه , فخرج ميتاً , ثم حملت , فأتاهما , فذكر لهما , فأدركهما حب الولد , فسمياه : عبد الحارث , فذلك قوله : (جعلا له شركاء فيما أتاهما) رواه ابن أبي حاتم . عن ابن عباس , والإسناد إليه ضعيف لا يصح , فلا

يعتمد عليها ... قال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ :وله بسند صحيح (يعني : لابن أبي حاتم) عن قتادة (قتادة بن دعامة , أحد التابعين) قال : (شركاء في طاعته) (يعني : أشركا في طاعته) (ولم يكن في عبادته) الشرك كان في الطاعة وليس في العبادة , لم يعبداه , ولم يعبدا غيره مع الله ـسبحانه وتعالى ـ وإنما أطاعاه فيما ذكر لهما فقط . وله بسند صحيح عن مجاهد ـ في قوله ـ : (لئن أتيتنا صالحاً) قال : (أشفقا ألا يكون إنساناً) . وذكر معناه عن الحسن , وسعيد , وغيرهما . وقد ذكرنا الخلاف في هذا الأمر ... نعم .

الدرس رقم 28
الثامن والعشرون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , وقفنا عند الباب الخمسين من أبواب كتاب التوحيد :

قال المؤلف رحمه الله :باب قول الله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه) عقد المؤلف ـرحمه الله ـ هذا الباب لبيان وجوب اثبات أسماء الله ـ تبارك وتعالى ـ له , وعدم جواز الالحاد فيها .. (ولله الأسماء الحسنى) المقصود بالحسنى : البالغة في الحسن غايته , فهي أكمل ما يكون في الحسن , ففيها أحسن المعاني , وفيها أشرفها , فلا نقص فيها بوجه من الوجوه ,(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) هذا أمر من الله ـ تبارك وتعالى ـ بدعائه بأسمائه الحسنى (التي تثبت له في كتاب الله أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) تقدم معنى ذكر الأسماء والصفات , والتفصيل في ذلك كله سبق , وكما ذكرنا : هذا الباب معقود لإثبات أسماء الله ـ تبارك وتعالى ـ له , التي أثبتها لنفسه في كتابه , أو أثبتها له نبيه صلى الله عليه وسلم , وعدم جواز إنكارها (إما إنكاراً صريحاً , كأن تقول : هذا ... الرحمن , ليس اسماً لله ـ تبارك وتعالى ـ, كما كان يقوله الكفار , هذا إنكار صريح وجحود لها , أو أن تنكر الاسم بأن تحرفه ـ كما يفعل أهل الباطل من الجهمية وأشباههم ـ) , (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه) الذين يلحدون : يميلون في أسمائه عن الحق , إما بإنكارها مطلقاً أو بتحريفها كما سبق , فلا يثبتون الاسم لله ـسبحانه وتعالى ـ إما صراحة أو تحريفاً , فهؤلاء من الذين حذر منهم ربنا ـ تبارك وتعالى ـ وأمر بتركهم , وأمر بإثبات الأسماء له , وعدم جواز الالحاد فيها .. قال المصنف ـ رحمه الله ـ : ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس : (يلحدون في أسمائه) : (يشركون) , وعنه : (سمو اللات من الإله) يعني : أخذوا , اشتقوا من

أسماء الله ـ تبارك وتعالى ـ أسماءً لآلهتهم , انظر كيف هذه الآلهة جعلوها شركاء مع الله ـسبحانه وتعالى ـ , وأخذوا من أسماء الله لها ـ أيضاً ـ , وهذا نوع ـ أيضاً ـ من أنواع الإلحاد فيها , أن تأخذ اسماً لله ـ سبحانه وتعالى ـ أو تشتق من اسم الله ـسبحانه وتعالى ـ اسماً لمن تعبده مع الله , وتشرك به غيره ... (والعزى : من العزيز) وعن الأعمش : (يدخلون فيها ما ليس منها) يعني : يدّعون بأن لله أسماءً ليست هي لله ـ تبارك وتعالى ـ , وقد تقدم القول في أسماء الله وصفاته , وما الواجب في ذلك فيما سبق من الأبواب , قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : باب: لا يقال : السلام على الله : قال ـرحمه الله ـ : في الصحيح عن ابن مسعود ـرضي الله عنه ـ قال: كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: (السلام على الله من عباده , السلام على فلان). فقال النبي صلى الله عليه و سلم:(لا تقولوا : السلام على الله , فإن الله هو السلام) , و جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقول ـبعد الصلاة ـ: (أستغفر الله , أستغفر الله... اللهم أنت السلام , ومنك السلام , تباركت يا ذا الجلال ولإكرام) و معنى أن الله هو السلام: هو السالم من العيوب ,السالم من كل نقص ـتبارك و تعالى ـ, ومن كل تمثيل , فهو الموصوف بكل كمال, المنزه عند كل عيب ونقص .. هذا معنى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو السلام , والسلامة من النقائص والعيوب يكون منه ـ أيضاً ـ , ف (اللهم أنت السلام) : أنت السالم من كل نقص ومن كل عيب , (ومنك السلام) : ومنك يأتي ... أو تأتي السلامة من النقائص والعيوب , فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يوصف بالكمال , وأسماؤه وصفاته كلها كمال فلا يجوز نسبة العيب أو النقص في حقه أبداً , فلذلك يقال : الله هو السلام , قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : باب قول : (اللهم اغفر لي إن شئت) : وهذا اللفظ لا يجوز لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عنه , لماذا نهى عنه ؟ لأنك كأنك أنت ـ يعني ـ في سؤالك لله تمريض , يعني كأنك تقول لله ـ سبحانه وتعالى ـ : أنا لست بحاجتك ! إن شئت أن تغفر لي , اغفر لي .. إن شئت ألا تغفر ,

فلا تغفر , هذا باطل , لا يجوز مثل هذا الأسلوب في طلب المغفرة لله ـ تبارك وتعالى ـ , وقد جاء في الحديث : بأن الله لا مكره له , أنت لا تكره الله ـ سبحانه وتعالى ـعلى شيء حتى تقول : والله أنا أخيرك , إن شئت أن تغفر , وإن شئت ألا تغفر , لا , لا يجوز مثل هذا , إنما تعزم في المسألة , وتقول : اللهم اغفر لي , فأنا بحاجة إلى مغفرتك , وإن لم تغفر لي هلكت ... هكذا ينبغي أن تكون ... اللهم أنت لا مكره لك , وأنت تفعل ما تشاء فاغفر لي , هكذا ينبغي أن يكون المعنى المستقر في نفسك , عندما تسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ المغفرة , قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : في الصحيح عن أبي هريرة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت , اللهم ارحمني إن شئت , ليعزم المسألة) يعني : يكون جازماً عازماً , بأنه ما يكون متردداً ... والله حصل أو ما حصل ما في مشكلة , لا ... (فإن الله لا مكره له) لا أحد يكره الله ـ سبحانه وتعالى ـ على شيء , حتى يقال : والله إن خيرتك ... لا , ينبغي مثل هذا , ولمسلم : (وليعظم الرغبة) شوف كيف ؟ يجعل رغبته في مغفرة الله عظيمة , وفي نفسه , وهو يريد من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يغفر له بالإلحاح و بالإصرار , لعلمه أنه إذا لم يغفر الله ـ سبحانه وتعالى ـ سيهلك , وإن الرحمة بيد الله ـ تبارك وتعالى ـ , (فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه) ما في شيء عظيم على الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعطيك إياه , كل شيءٍ سهل (كن , فيكون) الأمر سهل على الله ـ سبحانه وتعالى ـ , قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : باب لا يقول عبدي وأمتي : العبد : المملوك (ملك اليمين) , لا يقول لعبده الذي هو ملك يمينه : عبدي , والأَمَة : التي هي العبدة , نقول لها عبدة , لكن هذا في اللغة غلط , فيقال لها : أَمَة . هل يجوز أن تقول لمملوكك : عبدي ؟ ولمملوكتك أمتي ؟ هنا الباب هذا مقعود لذلك , قال المؤلف ـرحمه الله ـ : وفي الصحيح عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (لا يقولن أحدكم : أطعم ربك , وضئ ربك ,وليقول : سيدي ومولاي) هذا في لغة العرب : ربك , يعني سيدك ,

لكن احتراماً لله تبارك و تعالى تأدباً معه , لا تقل هذه اللفظة , فهذا نهي عنها للتأدب مع الله ـسبحانه وتعالىـ , فلا تقل : أطعم ربك , وضئ ربك , ولكن قل : سيدي ومولاي.. (ولا يقل أحدكم : عبدي و أمتي , وليقل :فتاي و فتاتي , وغلامي) قال أهل العلم : هذا النهي جاء تحقيقاً للتوحيد , وسداً لذرائع الشرك , لما فيها من التشريك في اللفظ , لأنه تعالى هو الرب , هو رب العباد جميعهم , فإذا أطلق على غيره شاركه في هذا الاسم , في مجرد المشاركة في الاسم فقط , فينهى عنه لذلك , إن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله ـتعالى وتعالى ـ, يعني : وإن كان ما أراد هو التشريك , لكن هذا اللفظ بما أنه فيه تشريك , فيُنهى عنه لهذا الاعتبار , قال أهل العلم وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله ـ تعالى ـ , وإنما المعنى أن هذا مالك له , فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار , فالنهي عنه حسماً لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق , وتحقيقاً للتوحيد وبعداً عن الشرك حتى في اللفظ ... هذا ما ذكروه في هذا الباب ...

قال المؤلف ـرحمه الله ـ : باب لا يرد من سأل بالله : (من سأل بالله) يعني من قال لك : أسألك بالله أن تعطيني كذا , هذا سؤالٌ بالله , (لا يرد) تعظيماً لله ـتبارك وتعالى ـ لأنه سأل بعظيم , فتعظيماً لله ـ تبارك وتعالى ـ تجيبه , لكن هذا مقيد (كما سيأتي من كلام الشيخ ابن عثيمين ـرحمه الله ـ) , قال المصنف ـ رحمه الله ـ : عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من استعاذ بالله فأعيذوه) أي : من قال : أعوذ بالله منك ـ مثلاً ـ فأعذه (كما حصل مع النبي صلى الله عليه وسلم مع إحدى النساء اللاتي تزوجهن , قالت ـ عندما أراد أن يدخل بها ـقالت : أعوذ بالله منك , فقال : لقد عذتي بعظيم , الحقي بأهلك) أعاذها , لأنها عاذت بعظيم , فتعظيماً لله ـ سبحانه وتعالى ـ , (ومن سأل بالله فأعطوه) ـأيضاًـ تعظيماً لله ـ تبارك وتعالى ـ لأنه سأل بالله وهذا موضع الشاهد من الحديث , يقول الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ : (ولا يخل السائل من أحد أمرين : الأول أن

يسأل سؤالاً مجرداً (كأن يقول ـمثلاًـ : يا فلان : أعطني كذا , أي ليس فيه سؤال بالله ـ سبحانه وتعالى ـ , هو قال : يا فلان أعطني سؤال فقط , ليس فيه ذكر الله ـ تبارك وتعالى ـ قال : فإن كان بما أباحه الشارع له , فإنك تعطيه , كالفقير يسأل شيئاً من الزكاة , والثاني : أن يسأل بالله ,قال : فهذا تجيبه , وإن لم يكن مستحقاً , لأنه سأل بعظيم , فإجابته من تعظيم هذا العظيم , لكن , لو سأل إثماً , أو كان في إجابته ضررٌ على المسؤول فإنه لا يجاب) إذاً , يقيد بهذا , دفعاً للضرر عن الشخص , أو أن يكون في إجابته إثم لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ من تعظيمه : أن تطيعه فيما أمر وأن تجتنب ما نهى عنه . قال : (ومن دعاكم فأجيبوه) الظاهر في الدعوة ـ هنا ـ أنها الدعوة إلى الطعام (من دعاكم إلى طعامٍ فأجيبوه) كما جاء في أحاديث أخرى كثيرة تدل على ذلك , بشرط ألا يكون في هذه الدعوة منكر , وبإمكانك إذا كان عندك ظرف أن تستأذنه وأن تعتذر لمن دعاك . (ومن صنع إليكم معروفاً فكافؤه) من أحسن إليك رد إليه الإحسان إن استطعت بما فيه منفعة له . (فإن لم تجدوا ما تكافؤه فادعوا له) ادعو له , ولو أن تقول له : جزاك الله خيراً , ففي هذا ثناء عظيم وفيه ـ يعني ـ شكر عظيم له , لأنك دعوت له بدعوة عظيمة . (حتى تروا أنكم قد كافئتموه) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح . وهو صحيح ثابت والشاهد منه : قوله : (ومن سأل بالله فأعطوه) هذا من تعظيم الله ـ سبحانه وتعالى ـ لذلك ذكره المؤلف في باب التوحيد . قال : باب : لا يُسئل بوجه الله إلا الجنة : وهذا ـأيضاًـ من تعظيم , لكن : هذا الباب لا يصح فيه شيء , قال المؤلف عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يسئل بوجه الله إلا الجنة) وهو ضعيف , في سنده سليمان بن قرم , سيء الحفظ , ولا يصح في هذا الباب حديث . قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : باب ما جاء في الـ (لو) : يعني : في كلمة (لو) , هل يجوز قولها أم لا ؟ فيها تفصيل : بأنه قد جاء فيها نهي , وجاء فيها ـ أيضاًـ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم استعملها , فكيف نجمع بين هذه الأحاديث ؟ (باب ما جاء في

الـ(لو) , المؤلف ذكر هذا الباب ـ هنا ـ في كتاب التوحيد , لأن من الاستعمالات (لو) الاعتراض على القدر , ومن اعتراض على القدر فإنه لم يرض بالله رباً , فإنه لم يحقق توحيد الربوبية , هذا المعنى الذي ذكره المؤلف هذا الباب لأجله في كتاب التوحيد , (لو) هذه لها عدة استعمالات , من استعمالاتها الاعتراض على القدر , والقدر ـ هذا ـ من أفعال الله ـ تبارك وتعالى ـ , فهو من توحيد الربوبية ... قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : وقول الله تعالى : (يقولون هل لنا من الأمر من شيء) (يعني : المنافقين) (قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا) أيش قالوا ؟ (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا) هذا الشاهد , وهذا من قول المنافقين (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا) وسيأتي الشاهد من هذا الكلام , قال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ : وقوله : (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا) الشاهد : قولهم : (لو أطاعونا ما قتلوا) يعني : إنهم لو قعدوا عن القتال لما حصل القتل فيهم . قال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ : في الصحيح عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (احرص على ما ينفعك) احرص على ما ينفعك في الدنيا والآخرة ولا تضيع جهدك ووقتك في شيء لا ينفع , هذا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم (واستعن بالله) اجعل استعانتك , طلب العون من الله ـ تبارك وتعالى ـ لذلك نحن دائماً نقول (إياك نعبد وإياك نستعين) وأنت دائماً تطلب المعونة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ , فلو أن الله خذلك , لضعت , نسأل الله العافية والسلامة . (واستعن بالله , ولا تعجزن) (يعني : لا تفعل فعل العاجز الكسول) (وإن أصابك شيءٌ فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا) هذا يحصل من الناس كثيراً , إذا أصابه شيء , مباشرة يعترض , ويقول : لو فعلت كذا لكان كذا . (ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ـ أو : قدر الله وما شاء فعل ـ , فإن لو تفتح عمل الشيطان) . كلمة (لو) تفتح عليك وساوس الشياطين ... الشاهد من كل هذا , يذكره لنا

الشيخ ابن عثيمين رحمه الله , أو التفصيل في هذا الباب , والجمع بين الأحاديث وخاصة أنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لو استقبلت من أمري ما استدبرت , ما سقت الهدي) فاستعمل النبي صلى الله عليه وسلم كلمة (لو) هذه , لذلك فصل لنا الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ تفصيلاً ماتعاً جيداً , نحفظه جيداً كي نتقن هذا الباب , قال ـرحمه الله ـ , قال : (والمؤلفـ رحمه الله ـ جعل الترجمة مفتوحة , ولم يجزم بشيء) يعني : المؤلف قال : (باب ما جاء في الـ (لو)) ما قال : (باب تحريم (لو)) أو(باب إباحة (لو)) , لا ... إنما جعلها هكذا مفتوحة قال : (باب ما جاء في الـ(لو) , ما جاء من أدلة في الـ(لو) , تفصل لنا القول فيها , قال :(ولم يجزم بشيء لأن (لو) تستعمل على عدة أوجه (ركز هنا) الوجه الأول : أن تستعمل في الاعتراض على الشرع , وهذا محرم , قال الله تعالى : (ما ماتوا وما قتلوا) في غزوة أحد , حين تخلف في الطريق عبد الله بن أبي في نحو ثلث الجيش , فلما استشهد من المسلمين سبعون رجلاً , اعترض المنافقون على تشريع الرسول صلى الله عليه وسلم , وقالوا : لو أطاعونا , ورجعوا كما رجعنا ما قتلوا فرأينا أخيراً من شرع محمد , وهذا محرم وقد يصل إلى الكفر , فهذا فيه الاعتراض على الشرع , على شرع اللهـ سبحانه وتعالى ـ . الثاني : أن تستعمل في الاعتراض على القدر , وهذا محرم ـأيضاً ـ , قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) هؤلاء اعترضوا على قدر الله ـ سبحانه وتعالى ـ , قال المؤلف : أي , لو أنهم بقوا ما قتلوا , فهم يعترضون على قدر الله . إذاً الحالة الأولى الاعتراض على شرع الله , تقولها اعتراضاً على شرع الله , الحالة الثانية تقولها اعتراضاً على قدر الله , وهذا كله مناف لكمال التوحيد أو لأصله . الثالث : أن تستعمل للندم والتحسر , وهذا محرم ـ أيضاًـ لأن كل شيء يفتح الندم عليك فإنه منهيٌ عنه , لأن الندم يكسب النفس حزناً وانقباضاً , والله يريد منا أن نكون في انشراح وانبساط , قال

صلى الله عليه وسلم (احرص على ما ينفعك , واستعن بالله ولا تعجزن , وإن أصابك شيءٌ فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا , فإن(لو) تفتح عمل الشيطان) إلى آخر ما قال المؤلف ـرحمه الله ـ . الرابع : أن تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية , كقول المشركين : (لو شاء الله ما أشركنا) يعني : هم عصوا وأشركوا , فيجعلون قدر الله حجة لهم في ذلك , وقولهم : (ولو شاء الرحمن ما عبدناهم) وهذا باطل , الخامس : أن تستعمل في التمني وحكمه حكم حسب المتمني , إن كان خيراً فخير , وإن كان شراً فشر , وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ في قصة النفر الأربعة ـ قال أحدهم : لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان (هذا تمنى خيراً) وقال الثاني : لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان (فهذا تمنى شراً) فقال النبي صلى الله عليه وسلم في الأول : (فهو بنيته فأجرهما سواء) , وقال في الثاني : (فهو بنيته فوزرهما سواء) السادس : أن تستعمل في الخبر المحض , مجرد خبر , و هذا جائز , مثل : لو حضرت الدرس لاستفدت , و منه قوله صلى الله عليه وسلم : (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي , ولأحللت معكم) إنما هو خبر , يعني : ليس تحسراً على ما مضى , و إنما خبر يخبر به فقط , فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لو علم أن هذا الأمر سيكون من الصحابة رضي الله عنهم ما ساق الهدي , ولأحل , و هذا هو الظاهر لي , وبعضهم قال : إنه من باب التمني , كأنه قال : ليتني استقبلت من أمري ما استدبرت حتى لا أسوق الهدي , لكن الظاهر أنه خبر لما رأى من أصحابه , و النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنى شيء قدر الله خلافه , وقد ذكر المؤلف في هذا الباب آيتين , ثم ذكر الآيات التي ذكرها المؤلفـ رحمه الله ـ , خلاصة الأمر : عندنا , الحالة الأولى : الاعتراض على الشرع , و الحالة الثانية : الاعتراض على قدر الله ـتبارك و تعالىـ , الحالة الثالثة : أن تستعمل في الندم و التحسر , الحالة الرابعة : أن تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية (و هذه كلها محرمة) , الحالة الخامسة : أن تستعمل في التمني (وهذا حسب ما تمناه : إن كان جائزاً فجائز , وإن كانت... و

إن كان محرماً فمحرم) , الحالة السادسة : أن تستعمل في خبر محض يعني : مجرد إخبار , تخبر بأمر معين (فهذه جائزة) والله أعلم , هذا هو تفصيل القول في هذه المسألة .

قال المؤلف ـرحمه اللهـ : باب النهي عن سب الريح : عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : (لا تسبوا الريح) (و هذا نهي عن سب الريح) (فإذا رأيتم ما تكرهون) (يعني : من الريح) (فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح, وخير ما فيها , و خير ما أمرت به , ونعوذ بك من شر هذه الريح , و شر ما فيها , و شر ما أمرت به) صححه الترمذي . الشاهد قوله : (لا تسبوا الريح) وذلك لأن الريح مسيرة , وربنا ـتبارك و تعالىـ هو الذي خلقها , وهو الذي سيرها , وما يحصل منها هو بأمر الله ـتبارك و تعالىـ فمسبتها ـحقيقةـ هي مسبة للفاعل (و هو الله ـتبارك و تعالىـ) فحالها كحال الدهر تماماً , كسب الدهر الذي تقدم معنا , فلا يجوز سبها لأنه يرجع إلى مسبة الله ـتبارك و تعالىـ . قال المؤلف ـ رحمه اللهـ: باب قول الله تبارك وتعالى : (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) الظن السوء , و هذا ظن أهل الجاهلية , فمن ظن بالله ظناً سيئاً فهذا من ظن الجاهلية , فهذا الباب معقود لبيان وجوب إحسان الظن بالله , وذلك بأن تعلم أن ما يفعله الله بك و بالكون كله بحكمة , وأنه ـسبحانهـ لا يظلم أحداً , وليس من حسن الظن في الله أن تظن به أنه يريد بك الخير و أنت تعصيه و تترك أمره , فقال المصنف ـرحمه الله تعالى ـ :باب قول الله تعالى : (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) (المنافقون) (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) يظنون بالله أنه لن ينصر نبيه , و أن أهل الشرك سينتصرون عليه , وأن دعوته ستذهب و تضيع , و هذا ظنٌ سيء بالله تبارك و تعالى , (يقولون هل لنا من الأمر من شيء) (يعني: لم نخرج بإرادتنا للقتال , أخرجنا مكرهين) (هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله) يعني : أن الله ـسبحانه و تعالىـ هو الذي قدر خروجكم , و الأمر كله إليه (يخفون في أنفسهم ما

لا يبدون لك) هذا حال المنافقين , يبطنون الشر و السوء و العقائد الفاسدة و يظهرون الخير , و يظهرون لك أنهم معك , (يقولون لو كان لنا من الأمر من شيء ما قتلنا ها هنا) لو كان الأمر بأيدينا و اختيارنا , ما خرجنا للقتال , وما قتلنا في هذا المكان , ولكننا أكرهنا (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) يعني : لو كنتم في داخل بيوتكم , لخرج الذين كتب عليهم (كتب الله ـسبحانه وتعالى ـ عليهم القتل و قدره لهم) (إلى مضاجعهم) , يعني : إلى مصارعهم ,خلاص ؛ الأمر قد قدره الله , لا مفر لكم منه ـسواء جلستم في بيوتكم أو خرجتم ـ (وليبتلي الله ما في صدوركم) يعني : يختبره , يختبر ما في صدوركم , (وليمحص ما في قلوبكم) (يميزه) (والله عليم بذات الصدور), الشاهد : قوله : (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) و الواجب : إحسان الظن بالله ـتبارك و تعالى ـ و يحرم إساءة الظن به ,وقوله : (الظانين بالله ظن السوء) من الكفار , و المنافقين , (يظنون بالله ظن السوء) من الكفار والمنافقين , سماه الله ـسبحانه وتعالى ـ ظناً سيئاً, أنهم كانوا يظنون بأن الله سيهزم نبيه , وسينصر المشركين , هذا ظنٌ سيء , نعم , تكون الحروب بين المسلمين و بين.. بين النبي و بين الكفار سجال , تارةً له و تارةً لا... لكن في النهاية يكون هو المنتصر , وكلمته تكون هي المرتفعة , وهذا الذي حصل مع نبيه صلى الله عليه وسلم . (الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء) (بالذل و العذاب) (وغضب الله عليهم و لعنهم و أعد لهم جهنم و ساءت مصيراً) .

قال ابن القيم ـ في الآية الأولى ـ : (فسر هذا الظن بأنه ـسبحانه ـ لا ينصر رسوله , وأن أمره سيضمحل) يعني : سيذهب , و سيزول , وسينهزم النبي صلى الله عليه وسلم (و فسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله و حكمته) يعني : فسر تارةً بأنهم يظنون بأن الله ـسبحانه وتعالى ـ لن ينصر رسوله , و فسر ـأيضاً ـ بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله و حكمته ـ فهذا الثاني فيه نفي لقدرة الله و لحكمته , (ففسر بإنكار الحكمة , و إنكار القدر, و إنكار أن يتم أمر رسوله , وأن يظهره الله على الدين كله , و هذا هو

ظن السوء الذي ظنه المنافقون و المشركون في (سورة الفتح) , و إن ما كان هذا ظن السوء ؛ لأنه ظنوا غير ما يليق به سبحانه , وما يليق بحكمته و حمده و وعده الصادق . فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق) (يعني : ينصر الباطل على الحق) (إدالة مستقرة) (يعني : نصراً تاماً , بحيث لا يبقى للحق وجود) (يضمحل معها الحق) (يعني : يذوب ويذهب) (أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه و قدره , أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد , بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة , ف (ذلك ...)) يعني (مشيئة مجردة) يعني : مجرد أن الله -سبحانه و تعالى- شاء الأمر فكان , ليس من وراء ذلك حكمة , من زعم هذا الأمر , فأمره خطير , و عقيدته فاسدة كما يعتقده كثير من الأشاعرة . ف(ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) و أكثر الناس يظنون بالله ظن السوء) (هذا كلام ابن القيم كله) (في ما يختص بهم , و فيما يفعله بغيرهم , و لا يسلم من ذلك إلا من عرف الله و أسماءه و صفاته , و موجب حكمته و حمده , فليعتن اللبيب الناصح لنفسه) اللبيب , يعني : صاحب العقل , يعتن و يهتم بنفسه لفهم أسماء الله و صفاته و معرفة ربه , كي لا يظن بالله ظن السوء , (فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا , و ليتب إلى الله , و ليستغفره من ظنه بربه ظن السوء . ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر) (تشديد , و اعتراض) (و ملامة له) (يلوم قدر الله -سبحانه و تعالى- , و لو أنه استحضر أن كل شيء يكون بحكمة الله لما لام القدر , ولو أنه كشف عن القدر لحمد الله على ما هو فيه , قال : (و أنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا) (يعني : يعترض على القدر , و يقول : لو كان كذا و كذا) (فمستقل و مستكثر) و الناس بين هذا , فإما أن يستقل من سوء الظن , أو يستكثر منه , (وفتش نفسك : هل أنت سالم؟) كل منا يفتش نفسه . (فإن تنج منها , تنج من ذي عظيمة ***وإلا فإني لا أخالك ناجياً).نسأل الله العافية , و نسأل الله أن ينجينا -وإياكم- و أن يجعلنا ممن يحسن الظن بربه , و أن يعلم بأن كل ما يحصل في هذا الكون و في نفسه بحكمة من

ربه ـتبارك و تعالى ـ و أن الله لا يظلم أحداً , استحضر هذه المعاني دائماً , و اعلم أن ما فعله الله بك خير لك إذا كنت على طاعة الله ـسبحانه و تعالى ـ, مطيعاً له , غير عاص له , فاعلم ـدائماً ـ أن ما يفعله الله سبحانه و تعالى بك هو خير لك و نعمة , و الحمد لله , نسأل الله أن يوفقنا و إياكم لطاعته , و إلى ما يحب و يرضى , سبحانك اللهم و بحمدك , أشهد أن لا إله إلا أنت , أستغفرك و أتوب إليك . انتهى الدرس الثامن و العشرين بعون الله.

الدرس رقم 29

الدرس التاسع والعشرون

الحمد لله , والصلاة والسلام على رسول الله , أما بعد :

وصلنا عند الباب التاسع والخمسين، قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : باب ما جاء في منكري القدر .

(منكري القدر) يعني : الذين ينكرون القدر , ما جاء فيهم من أدلة تدل على بيان حكمهم والتشديد والوعيد في أمرهم , الذين ينكرون القدر .. ما هو القدر ؟ المقصود بالقدر هو تقدير الله ـ تبارك وتعالى ـ للأشياء قبل كونها , علمه ـ تبارك وتعالى ـ بها قبل أن يحصل الشيء , الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلمه و يشاؤه , لو ما شاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما يحصل أبداً , يعلم الله ـ سبحانه وتعالى ـ الشيء قبل أن يكون بأنه سيكون , ويشاؤه ولو لم يشأه ماحصل , وكتب عنده في اللوح المحفوظ , وخلقه ... إذا آمنت بهذه المراتب الأربع فقد آمنت بالقدر , تؤمن بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم كل ما يحصل في هذا الكون , وكل ما سيحصل في هذا الكون , كله معلوم لله ـ تبارك وتعالى ـ , لا يفوته علم شيء , الأمر الثاني : تعلم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ شاء وقوعه , ولو لم يشأ وقوعه لما وقع , ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن , الأمر الثالث : إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كتب مقادير كل شيء عنده في اللوح المحفوظ , فكل شيءٍ مكتوب عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ في اللوح المحفوظ بأنه سيكون ... الأمر الرابع أن كل شيء موجود في هذا الكون فهو من خلق الله ـ تبارك وتعالى ـ كل مخلوق في هذا الكون فهو من خلق الله ـ تبارك وتعالى ـ , لا شيء يخرج عن خلقه , لا أفعال العباد ولا غيرها ... بهذا تكون قد آمنت بالقدر , وإذا أنكرت القدر فقد كفرت , إنكار القدر كفر لأن الإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان الستة , من أنكره كفر , أما من حرف وغير بسبب شبهات عرضت له , وحرف بطريقة تحتملها اللغة , فهذا لا يكفر, يبدع , يضلل على تفصيل

معروف في كتب الاعتقاد , وتفصيل ذلك كله يأتي في كتب العقيدة كـ (لمعة الاعتقاد) وكـ(الواسطية) وما شابه من الكتب التي جمعت الحديث في هذه الأمور ... وممن أنكر القدر : المعتزلة , والقدرية ـ أيضاً ـ لأن المعتزلة هم قدرية في الأساس قالوا : (الأمر أنف , لا قدر) , بعضهم أنكر علم الله ـ سبحانه وتعالى حتى للأشياء قبل أن تكون , وهؤلاء كفرهم العلماء , لأنهم يصفون الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالجهل , وبعضهم أثبت العلم ولكن قال : إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يخلق أفعال العباد , هذا كثير من القدرية على هذا القول , وهو ضلال وانحراف , قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : قال ابن عمر (والذي نفس ابن عمر بيده) الله ـسبحانه وتعالى ـ هو الذي نفس ابن عمر بيده , فهو يحلف بالله , وهذا اليمين كان يحلف به النبي صلى الله عليه وسلم (والذي نفس ابن عمر بيده , لو كان لأحدهم مثل أحدٍ ذهباً) تصور , من المال يكون لك كجبل أحد , هذا الجبل الضخم الكبير (ثم أنفقته في سبيل الله ما قبله الله منه) لماذا ؟ لأنه إذا أنكر القدر كفر , وإذا كفر حبط عمله فلا يقبل منه عمل (حتى يؤمن بالقدر) لابد من الإيمان بالقدر . ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم : (الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته) هذي الإيمان ... هذي أركان الإيمان الستة (أن تؤمن بالله , وملائكته , وكتبه , ورسله , واليوم الآخر , تؤمن بالقدر خيره وشره) رواه مسلم في صحيحه ,وأدلة القدر في الكتاب والسنة كثيرة , كثيرة جداً , ولا ينكر القدر مسلم , أما التحريفات والتفصيلات ربما ينكرها بعض أهل البدع والضلال ... قال المصنف ـرحمه الله ـ : عن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : (يا بني ! إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك , وما أخطئك لم يكن ليصيبك , سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن أول ما خلق الله القلم فقال له : أكتب , فقال : ربي ! وماذا أكتب ؟ قال : أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) يا بني ! سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (من مات على غير هذا فليس مني) .

وفي رواية لأحمد : (إن أول ما خلق الله تعالى القلم , فقال له : أكتب , فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة) . وفي رواية لابن وهب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار) . هذا الحديث من الأحاديث التي تدل على وجوب الإيمان بالقدر , يقول عبادة بن الصامت لابنه : (يا بني ! إنك لن تجد طعم الإيمان) : حلاوته ولذته (حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك) : ما أصابك بتقدير الله , ما هو مقدر عند الله لا يتغير , لا يمكن أن يخطئك , (وما أخطأك لم يكن ليصيبك) : لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يقدره عليك .. (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أول ما خلق القلم , فقال له : اكتب , قال : ربي وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) إذاً , كل شيء مكتوب عند الله , وهل كتبه الله وهو لا يعلمه ؟ مستحيل .. فهو يعلمه , وشاءه وكتبه وخلقه ... (يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من مات على غير هذا فليس مني) : من مات وهو يكفر بالقدر , هذا ليس على ملة محمد صلى الله عليه وسلم , (وفي رواية لأحمد أن أول ما خلق الله تعالى القلم , فقال له : اكتب , فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة) لذلك كفر العلماء من أنكر علم الله ـ تبارك وتعالى ـ بالأشياء , لأنه منكر للقدر , قلنا : من مراتب القدر : العلم , والمشيئة , والكتابة , والخلق .. قال : (وفي رواية لأحمد أن أول ما خلق الله تعالى القلم , فقال له : اكتب , فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة) يعني : كتب كل شيء إلى يوم القيامة , فكله معلوم عند الله ... (وفي رواية لابن وهب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار) قال الصنف ـ رحمه الله ـ : وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال : (أتيت أبي بن كعب , فقلت : في نفسي شيءٌ من القدر) , (دخلت عليه شبهة في مسألة القدر) قال : فحدثني بشيءٍ لعل الله يذهبه من قلبي , فقال : لو أنفقت مثل أحدٍ ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر , وتعلم أن ما

أصابك لم يكن ليخطئك , وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار) قال : فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت , فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . حديث صحيح , رواه الحاكم في صحيحه . هذا منهج الصحابة , وهذه عقيدتهم : الإيمان بالقدر , وأن كل شيءٍ مقدر من عند الله ومكتوب , وكل شيءٍ خلقه الله _ سبحانه وتعالى _ وشاءه , فلذلك يكون كما يشاء _ سبحانه وتعالى _, قال أهل العلم : هذا الباب عقده الشيخ ليبين أن الإيمان بالقدر من الإيمان بربوبية الله , وأن من أنكر القدر فقد أشرك في توحيد الربوبية , فالإيمان بالقدر من الإيمان بالربوبية , فإنه لا يؤمن بربوبية الله _ سبحانه وتعالى _ , لأنه جحد قدره وعلمه وأنكر أن يكون ما يجري في هذا الكون بتقدير الله ومشيئته ووصف الله بالجهل والعجز وغير ذلك , هذا ما ذكره أهل العلم من مناسبة ذكر القدر في هذا الكتاب

قال المؤلف _ رحمه الله _: باب ما جاء في المصورين : المصور : الذي يصور الصورة , سواء كان بالرسم أو كان بالنحت , الصنم المنحوت يسمى صورة , والصورة التي ترسمها بيدك _ أيضاً _ تسمى صورة , ما جاء في حكم من يفعل هذا الفعل , من التشديد والتحريم , قال المؤلف _ رحمه الله _ : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ؟! فليخلقوا ذرة ! أو ليخلقوا حبة ! أو ليخلقوا شعيرة)) ! أخرجاه . ولهما عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((أشد الناس عذاباً يوم القيامة : الذين يضاهؤن بخلق الله)). ولهما (يعني : للبخاري ومسلم) عن ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل مصور في النار , يُجعل له بكل صورة صورها نفس يُعذب بها في جهنم)). ولهما عنه مرفوعا : ((من صور صورة في الدنيا , كُلِّف أن ينفخ فيها الروح , وليس بنافخ)) .

السبب الذي جعل المؤلف _رحمه الله _ يضع هذا الباب في كتاب التوحيد أن

الصور سبب من أسباب الشرك بالله _ سبحانه وتعالى _ هذا الأمر الأول , الأمر الثاني أن المصور يشبه نفسه بالله _تبارك وتعالى _ ,الله _سبحانه وتعالى _ هو الذي خلق هذه الصور التي فيها الأرواح , وهذا المصور عندما يأتي يصور صورة كالصورة التي خلقها الله _ سبحانه وتعالى _ يجعل نفسه مشابها لله _ تبارك وتعالى _ في هذا الفعل , فهو من هذه الناحية شرك , مضاهاة بخلق الله , والناحية الثانية سبب للشرك ... الصور كانت هي السبب في حدوث الشرك في قوم نوح , تذكرون القصة في بداية الكتاب ذكرناها ... أنه كان في رجال صالحين في قوم نوح , ولما ماتوا جاءهم إبليس وقال لهم : صوروا لهم تصاوير , فصوروا لهم تصاوير ... وبعد مدة _ لما نسي العلم _ جاءهم وقال لهم .. آباؤكم كانوا يعبدون هذه التماثيل فعبدوها , إذاً , الصور ذريعة إلى الشرك , فلما تصور الصورة وتعلقها , تبروزها , أو تجعلها صنما ... غدا , بعد غد تعبد , يأتيهم الشيطان أحفادك , أبناؤك ويسول لهم أن هذه الأصنام كانت تنفع أجدادكم ويستغيثون بها , تشفع لهم عند الله ... ثم تعبد , هذا السبب الأول ... السبب الثاني , قلنا مضاهاة خلق الله ... يعني : يجعل نفسه مشابها لله _ تبارك وتعالى _ في الخلق , المضاهاة هي المشابهة , فالصور حرمت لسببين وليس لسبب واحد , هنا في الحديث قال (الأحاديث التي دلت على تحريم التصوير فعل هذا الفعل , قال الله _ تعالى _ : (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي) شوف كيف الآن ؟ جعل التصوير خلقا كخلق الله _ تبارك وتعالى _ , (فليخلقوا ذرة) نملة صغيرة , وهذا للتعجيز , لا يمكنهم فعل ذلك , (أو ليخلقوا حبة , أو ليخلقوا شعيرة) فهذا الأمر أمر تعجيز وتَحَدٍّ , لا يمكنهم فعل ذلك ... إذاً ؛ فليتركوا التصوير , قال _ وفي حديث عائشة : (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهؤن بخلق الله) أنتم لو ترون اليوم عند الكفار الذين يأتون ويصنعون التماثيل , أو يرسمون الرسم اليدوي ... ركز عليهم ماذا يفعلون ؟ بعضهم سمعت له كلام _ أثناء وهو يعمل عمله _ قال : (أود أن ينطق) شوف كيف ؟ سولت له نفسه , وحاول أن يتقن رسمته وتمثاله

حتى أراد أن يكون خالقاً كربه _ تبارك وتعالى _ , هذا المعنى المراد هنا ... (أشد الناس الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهؤن بخلق الله) فهو قاصد لهذا المعنى و إلا , كيف يكون أشد الناس عذاباً _ إلا أن يكون كافراً_ ؟ فإذا قصد هذا المعنى ورسم هنا يدخل في الشرك بالله , قد جعل نفسه شريكاً لله _ تبارك وتعالى _ في فعله الذي يختص به (وهو الخلق) , وإذا لم يقصد هذا , هل يقال : خلاص , بما أنه لا يقصد ... لا , نقول : لا , لا يجوز الفعل نهائياً لأنه إن قصد أو لم يقصد فقد وقع في المحذور , وقع فيما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم , وفيما نهى عنه ربنا _ تبارك وتعالى _ , شوف حديث ابن عباس , قال : (كل مصور في النار) ما قال : أراد المضاهاة , أو ما أراد المضاهاة (يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم) نسأل الله العافية ... تصور هذا الذي صنع مئة صورة أو مئتين صورة , ماذا يصنع ؟ يعذب عدة مرات ... (ولهما عنه _ مرفوعاً_: (من صور صورة في الدنيا , كلف أن ينفخ فيها الروح) وهل يستطيع أن ينفخ فيها الروح ؟ ما يستطيع لو وقف على رأسه , إذاً , سيبقى يعذب ... (وليس بنافخ) ولما يعجز يعذب على فعله ذاك ... إذاً , التصوير محرم غير جائز , التصوير المقصود به صنع التماثيل , أو التصوير اليدوي , الذي هو الرسم اليدوي , التصوير الفوتوغرافي قد تكلم عنه أهل العلم ... قال المصنف _ رحمه الله تعالى _ : ولمسلم عن أبي الهياج قال : قال لي علي : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) . من الخلط الذي نراه عند بعض الشباب : عدم التفريق بين إيجاد الصورة وبين المصور , هما حكمان .. الآن , تحدث المؤلف _ فيما تقدم _ عن المصور , فعل المصور ... هنا الكلام عن الصورة نفسها , هما حكمان وليس حكماً واحداً ,فلا تخلط بين الأمور , هناك خلط عند الشباب يحصل من خلال بعض الكلام الذي يحدث بينهم في مواقع التواصل , أرى عندهم هذا الخلط , ينبغي عليك أن تتنبه , هناك حكم للمصور , وهناك حكم للصورة , هنا الكلام

عن الصورة (قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها , ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) الآن , هذه الأحاديث كلها جاءت عن المصور و الصورة ... هل هي على إطلاقها (كل صورة ـ حتى لو كانت صورة عشب , صورة ورد ـ) ؟ لا , إنما الحديث عن ذوات الأرواح , لأنه جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الصورة الرأس) ثم في الحديث الذي تقدم , قال : (كلف أن ينفخ فيها) أيش ؟ (الروح) إذاً , الكلام عن الصور , صور ذوات الأرواح خصيصاً , و جاء في حديث آخر عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ موقوف , قال : (ارسم شجرة) أو ما شابه (ولا ترسم شيئاً فيه روح) (معنى كلام ابن عباس) , وهذه الأحاديث التي ذكرت تدل على ذلك.. طيب , (لا تدع صورة إلا طمستها) كيف تطمس الصورة ؟ بإزالة الرأس (الصورة الرأس , كما جاء في الحديث.. و من الأخطاء التي نجدها عند بعض الشباب : يغطي العينين , إيش فائدة تغطية العينين ؟ ما أذهب الصورة , لو رسم شخص شخصاً أعمى (مطموس العينين) ما عادت صورة ؟ ما يصح هذا غلط ... إذا أردت أن تطمس الصورة فاطمس الرأس , عندئذٍ يطمس ... تطمس الصورة ... (ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) يعني : لا قبراً مرتفعاً عن الأرض إلا سويته بالأرض , لا يسمح برفعه أكثر من شبر , كما جاءت به السنة , وهذا تقدم الحديث عنه , كلامنا الآن في الصورة (لا تدع صورة إلا طمستها) الحديث عن الصورة ... الآن لو جئت تقول لي : المصور صورة فوتوغرافية (بغض النظر ـ الآن ـ سيدخل في الحكم الذي سبق أم لا) لكن هذه الصورة الموجودة ـ الآن ـ ما حكمها ؟ الآن الحديث عن الصورة , عن حكم الصورة نفسها , نقول لك : لا يجوز لك أن تضعها في بيتك للذكرى , لاحظ هنا ... حتى وإن كنت ممن يقول بأن التصوير الفوتوغرافي غير داخل في الصور , فلا يشمله الوعيد المتقدم في المصورين , لو كنت تقول بهذا القول , فهنا إيجاد الصورة وإبقاؤها عندك حكم آخر , مسألة

ثانية ... لأن إبقاء الصورة عندك في البيت يؤدي إلى المحذور الآخر ... قلنا نحن : الصور محرمة لسببين , الأول : مضاهاة خلق الله , لو قلت لي : والله الصور الفوتوغرافية ليس فيها مضاهاة لخلق الله , يعني : عبارة عن كبسة زر , يكبسها وينتهي الأمر , ما عنده أي إتقان للموضوع , حبس ظل , عكس ظل , وانتهى الأمر (مثلما تفعل بالمرآة تماماً) , يقول لي .... والله ولكن , هذه التي خرجت تسمى صورة ولا ما تسمى صورة ؟ تسمى صورة... إذاً , هل يجوز إبقاؤها في البيت ؟ نقول لك : السبب الثاني موجود (وهي أن تكون ذريعة إلى الشرك) فلذلك لا يجوز أن تبقيها عندك في بيتك , اطمسها ... فلا بد إذاً _ من طمس الصورة سواءً كانت باليد مرسومة , أو كانت صنماً , أو كانت فوتوغرافية ... لأن ذريعة الشرك موجودة في الجميع ... نعم .

قال المؤلف _ رحمه الله _ : باب ما جاء في كثرة الحلف : يقال , الحلف , والحلف (بكسر اللام وبتسكينها) وهي : اليمين , القسم ... (ما جاء في كثرة الحلف) يعني : هل يجوز ؟ أم لا يجوز ؟ لماذا ذكر المؤلف هذا الباب هنا ؟ قال أهل العلم : كثرة الحلف بالله , يدل على أنه ليس في قلب الحالف من تعظيم لله ما يقتضي هيبة الحلف بالله , و تعظيم الله _ سبحانه وتعالى _ من تمام التوحيد ... تعظيم الله من تمام التوحيد , فلو كان هذا الشخص في نفسه من تعظيم الله _ سبحانه وتعالى _ الشيء العظيم , تعظم الحلف به , وما أكثر ... لذلك المؤلف ذكر هذا الباب في هذا الموطن ... قال _رحمه الله _ : وقول الله تعالى (و احفظوا أيمانكم) هذه الآية اختلف العلماء في تفسيرها , فبعضهم قال : أي لا تحلفوا , فهو نهي عن الحلف , (وهذا , الظاهر لي أنه بعيد , لأن الحلف قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة , لأنهم إذا احتاجوا إلى الحلف حلفوا) , والقول الثاني : لا تتركوها بغير تكفير , يعني : إذا حلفت و حنثت (يعني : خالفت حلفك) فيجب عليك أن تكفرها , فلا تتركها من غير تكفير .... (واحفظوا أيمانكم ... وقال بعضهم : احفظوا

أيمانكم عن الحنث ... فلا تحنثوا , فلا تخالفوا ما حلفتم عليه ... هذه أقوال في المسألة ... أقوال في تفسير الآية , معنى قول الله _ تبارك وتعالى _ : (واحفظوا أيمانكم) , المؤلف ساقه هنا بناءً على تلك المعاني , وهو : لا تحلفوا ... قال المؤلف _ رحمه الله _ عن أبي هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الحلف منفقة للسلعة , ممحقة للكسب) أخرجاه (يعني : البخاري ومسلم) منفقة للسلعة : عندما يأتيك شخص يريد أن يشتري منك بضاعة , يقول : والله ثمنها بكذا , يصدقك ... والله وصفها كذا وكذا , يصدقك فيأخذ منك السلعة ...(وهو منفقة للسلعة) : تذهب , تمشي سلعتك , تبيعها ... ولكنه ممحقة للكسب , لكن هل الحديث على إطلاقه ؟ لا إنما المقصود من ذلك الحلف الكاذب , أن تحلف للناس حلفاً كاذباً , وجاء في بعض الأحاديث أن ... بعض الأحاديث قيد هذا الإطلاق , لأنه حلف كاذب يحلفه الشخص فيكون منفقة للسلعة , ولكنه ممحقة للكسب , فيمحق الله _ سبحانه وتعالى _ بركة البيع ... يريد المؤلف هنا من ذكر الإطلاق (الحلف منفقة للسلعة , ممحقة للكسب) : المنع من الحلف وحفظ اليمين ... قال المصنف _رحمه الله _ : عن سلمان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاثة لا يكلمهم الله , ولا يزكيهم , ولهم عذاب أليم) هذا كله عذاب لهم وعقاب , (لا يكلمهم الله) كما يكلم أهل الإيمان والصلاح ,(ولا يزكيهم) : لا يوثقهم ولا يعدلهم , (ولهم عذاب أليم) , (أِشيمط زاني) أشيمط : كبير في السن , وكبير السن تضعف شهوته , لا تكون عنده قوة الشهوة التي عند الشباب , فمبرره للوقوع في الزنا ضعيف , فلماذا يزني إذاً ؟ إلا أن تقوى الله _ سبحانه وتعالى _ في نفسه ضعيفة , (وعائل مستكبر) تصور إنسان فقير ويستكبر , يعني الغني عنده مال يدفعه إلى أن يستكبر , ممكن ... لكن الفقير على ماذا يستكبر ؟ (ورجلٌ جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه) (يعني : عالطالعة وعالنازلة زي ما يقولوا عندنا يرمي أيمان) رواه الطبراني بسند صحيح , (هذا الحديث يحتاج مراجعة , ما راجعته , يحتاج النظر في

صحته) ... قال المصنف ـ رحمه الله ـ : في الصحيح عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذي يلونهم) قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثة ؟ الصحيح : أنه قال : ثلاثة قرون كما جاء في حديث آخر : (خير الناس قرني) وهم قرن الصحابة (ثم الذين يلونهم) هم التابعون (الذين أخذوا عن الصحابة) , ثم الذين يلونهم (هم أتباع التابعين الذين أخذوا عن التابعين) هذه القرون الثلاثة الفاضلة قال : (ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون) لاستخفافهم بالشهادة وعدم معرفة ثقلها ووزنها ... يبادر مباشرة ويستشهد مع علم صاحب الشهادة بأن عنده شهادة ولم يطلبها منه , يأتي هو ويدفع شهادته , لأنه مستخف بها (ويخونون ولا يؤتمنون) يعني : يضعف دينهم فتكون ... تنتشر الخيانة للأمانات (وينذرون ولا يوفون) كله بسبب ضعف الدين , قلة التقوى , يكثر من النذر , ولا يوفي بنذره .. (ويظهر فيه السمن من الدعة) والراحة وعدم العمل ... هذا كله حصل بعد القرون الثلاثة الأولى , وهذا كله فيه إشارة إلى رقة الدين وضعفه بعد القرون الثلاثة الأولى , القرون الثلاثة الأولى هي قرون العلم والإيمان والتقوى والصلاح ... ثم بعد ذلك ينتشر الفساد في الناس , والله المستعان , قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : وفيه عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ,الآن هذا الأول حديث عمران بن حصين , هما كلاهما بنفس المعنى ... الحديث هذا الثاني سيذكره حديث ابن مسعود , والشاهد في حديث ابن مسعود قال : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) فذكر هنا ثلاثة قرون , (ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمنه ويمينه شهادته) هنا الشاهد في الموضوع : أنه مستعجل , إما أن يعطي الشهادة , أو يعطي اليمين , ولا يبالي بذلك , وذلك لخفتها عنده وعدم المبالاة لرقة الدين ... قال إبراهيم : (كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار) هذا يبين لنا أن السلف كانوا يربون أبنائهم من الصغر على أيش ؟ على التخلق بأخلاق الإسلام , وعلى العمل

بشريعة الله ـ تبارك وتعالى ـ , وهو وإن لم يكن مكلفاً , لكن هذا التمرين والتدريب والرياضة هي التي تثبته على هذا العمل , فالولد ينشأ على ما يتربى عليه (أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم , فليست المسألة أن تعلمهم (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وينتهي الأمر ... لا أنت تريد أن تعلمه أن يلتزم بشريعة ربه من صغره , هذا ديدن السلف كما جاء في بعض الروايات في الصحيح , قالوا : (كنا نعطي الولد اللعبة من العهن) من الصوف (يلتهي بها حتى يكمل صيامه) هذه طريقة السلف في التربية, ثم هنا أيش يقول ؟ قال : (كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار) وهم صغار في السن , الذي يقول بأن الصغير لا يضرب , هذا الكلام خطأ , ما يسلم له ... لكن الضرب يكون ضرباً بحكمة , ضرب تأديبي تعليمي , ليس ضرباً وحشياً , (يجرح أو يكسر أو يكون الضرب لفش الغل ـ زي ما يحصل لكثير من الأمهات) هذا ما يجوز ... أي نعم .. نكتفي بهذا القدر اليوم إن شاء الله الدرس القادم يكون آخر درس بأذن -الله-

الدرس رقم 30
تفريغ الدرس الثلاثين

الحمد لله , والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:
وقفنا عند الباب الثاني والستين :
قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : باب ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم
أي من الأدلة التي تدل على وجوب الإلتزام بذمة الله وذمة رسوله إذاً أعطيت لأحد , وهذا المقصود بذمة الله وذمة رسوله , يعني : عهد الله وعهد رسوله صلى الله عليه وسلم .
وهذا الباب عقده المؤلف ليبين أن عدم الوفاء بعهد الله وعهد رسوله هو تنقص لهم , وهذا مخل بالتوحيد ...
قال المصنف ـ رحمه الله ـ : باب ماجاء في ذمة الله وذمة رسوله، وقول الله تعالى : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون) .
قال أهل العلم : هذا مما يأمر الله تعالى به , وهو الوفاء بالعهود والمواثيق , والمحافظة على الأيمان المؤكدة , المحافظة عليها وعدم الإخلال بها . وهذا ـ طبعاًـ المحافظة على الأيمان , مخصّص بما إذا حلفت على يمينٍ فرأيت غيرها خيراً منها أن تكفر عن يمينك وأن تأتي الذي هو خير ـ كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ فكفارتك التي تكفرها ـ يعني ـ ترفع إثم اليمين ولا يدخل صاحبها في ما هو مذموم من هذا الباب.
فقال الله ـ سبحانه تعالى ـ : (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) يعني : بعدما أكدتم اليمين بالحلف على الشيء قاصدين الحلف عليه فلا يجوز لكم أن تخلوا بهذا اليمين

تعظيماً للذي حلفتم به , أنتم حلفتم بالله _ سبحانه وتعالى _ , فتعظيماً لله _ سبحانه وتعالى _ لا تخلوا به . ولكن أذن الله _ سبحانه وتعالى - لنا إذا رأينا أن الخير في غير ما حلفنا عليه , أن نأتي الذي هو خير , وأن نكفر عن أيماننا , فتكفيرنا عن أيماننا هذا لا يجعلنا _ يعني _ مخلين بتعظيم الله _ سبحانه وتعالى _ باليمين الذي حلفنا .

الشاهد من الآية قوله : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) أمر بالوفاء بالعهد إذا أعطيتموه , وأمر _ أيضاً _ بعدم نقض اليمين , لأن عهد الله واليمين بالله _ سبحانه وتعالى _ هذا كله فيه تعظيم لله_ سبحانه وتعالى _ , فلا ينبغي الإخلال بذلك .

قال المصنف _رحمه الله تعالى _: وعن بريدة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميراً على جيشٍ أو سريةٍ , أوصاه في خاصته بتقوى الله , ينبغي هذا الحديث أن يتعلمه كل من أراد الجهاد في سبيل الله حتى يعرف أحكام الشرع , ليس هذا الحديث فقط , في كل أبواب الجهاد , ينبغي للإنسان إذا أن يتعبد لله بعبادة أن يتعلمها قبل أن يخوض فيها , حتى لا يقع في ما حرم الله , ولا يفعل مالم يرده الله _ سبحانه وتعالى _

هنا قال : (كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية)

الجيش _طبعاً _ عدد كبير من الرجال (من المقاتلين).

والسرية : قالوا عددها تقريباً أربعمئة مقاتل , أو ما يقارب ذلك .

وأما الكتيبة : فهي قطعة من الجيش , أكبر من السرية وأقل من الجيش , فهي قطعة من الجيش , وإن جاء في بعض تفاسير أهل العلم أنها هي الجيش لكن الظاهر أن المقصود أنها قطعة منه كما جاء في تفاسير أخرى _، فهي قطعة من الجيش لكنها أكبر من السرية ، قال بعضهم : تصل إلى ألف مقاتل.

هذه التقسيمات الموجودة عند العرب : السرية : قرابة الأربعمئة والكتيبة : تصل إلى ألف تقريباً والجيش يكون أكبر من هذا ، والجيش العرمرم : يكون جيشاً جراراً

وله أكثر من اسم .

قال ـ رحمه الله ـ : (أوصاه في خاصته بتقوى الله) يعني : النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أمّر أميراً على جيشٍ أو سريةٍ , كان النبي صلى الله عليه وسلم ... الغزوات في المدينة عندما يرسل الكتيبة أو السرية أو الجيش لقتال , كان يؤمر عليه أميراً , تارة كان يؤمر أبا عبيدة بن الجراح , تارة كان يؤمر خالد بن الوليد , تارة كان يؤمر أسامة بن زيد , فأمر عليه الصلاة والسلام ـ مجموعة من أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ... فكان إذا أرسل أميراً علمه ما يجب عليه في قيادة الجيش الذي سيقوده إلى المعركة , فأول شيء : أوصاه في خاصته بتقوى الله , لأن الموضع الذي هو فيه الآن (قيادة جيش) هذه ـ ربما ـ تدعو الإنسان (إذا كان إنساناً ـ يعني ـ ضعيف في إيمانه) تدعوه إلى الاغترار بنفسه , وإلى رؤية نفسه وإلى التجبر ـ أيضاً ـ وعدم رحمة الناس , وإلى مخالفة شرع الله ـ سبحاته وتعالى ـ لما تهواه نفسه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحذرهم من هذا، فيقول : (أوصاه في خاصته بتقوى الله) أول شيء عندما تتولى أمراً من أمور المسلمين أن تتذكر دائماً تقوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ أي أمر من الأمور سواءً كنت عالماً أو كنت مجاهداً , أو كنت وزيراً , أو كنت رئيساً أو أي شيء من أمور المسلمين العامة ، إذا توليتها تذكر ـ دائماً - أن المسؤولية عليك أعظم وأكبر من المسؤولية التي على غيرك ممن لم يتولى ما توليت , فأنت بحاجة أن تكون صاحب تقوى أكثر من غيرك في هذا الجانب ، فلذلك تستحضر ـ دائماًـ تقوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، الخوف من الله ، تستحضر ـ دائماً ـ أن هذا الذي أنت فيه كله زائل ولن ينفعك ـ والله الذي لا إله إلا هو ـ لن ينفعك (إذا لم تتق الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولم تخافه ولم تعمل فيه بتقوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ تذكر دائماً إن عصيت الله ـ سبحانه وتعالى ـ فأنك ستعاقب ، ستعذب ، وسيكون هذا المكان الذي أنت فيه وبالاً عليك، وإذا أطعت الله ـ سبحانه وتعالى ـ سيكون هذا المكان الذي أنت فيه , رفعة لك عند الله ـ سبحانه

وتعالى ـ فتذكر دائماً هذا الأمر , في أي منصب أو أية مكانة تكون فيها في شرع الله ودينه , وخصوصاً في المسائل العلمية الشرعية الدينية، هذه مراكز حساسة , أن تكون طالب علم تستفتى أو تُعلم , هذا مركز حساس جداً , ومركز يحتاج منك إلى تقوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإلى المخافة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كل كلمة تتكلم بها ، ومن الأشياء التي ينبغي أن تزيدك خوفاً من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ترى من الناس أنهم يسمعون كلامك , ويأخذون بفتواك , هذا الحمل صار مضاعفاً عليك , مضاعفاً وكبيراً على ظهرك لأنك ستسأل عن كل كلمة وعن كل عمل ـ يعمله الناس بفتاويك , أسأل الله أن يسلمنا وإياكم.

قال : (أوصاه النبي صلى الله عليه وسلم في خاصته بتقوى الله) هذه وصية عامة وليست فقط للأمير , لكن الأمير في مركز احتاج إلى أن يذكر بهذا الأمر , كذلك العالم , وكذلك المجاهد، كلهم , كل من تسلم أمراً من أمور المسلمين , يؤثر على دعوة الله ـ سبحانه وتعالى ـفينبغي عليه أن يكون أكثر تقوى من غيره من الناس

قال (ومن معه من المسلمين خيرا) يعني : أوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه , يعني : أن يتقي الله هو في نفسه , في أعماله , وأن يتقي الله ـ أيضاًـ في المسلمين الذين معه لأنه سيسأل عن هؤلاء الناس الذين هم تحت إمرته. أنظر إلى عظم المسؤولية !

والله إني لأعجب كل العجب من الذين أراهم يستميتون على حب الرياسة والصدارة ! ما الذي يجعلهم يستميتون على ذلك ؟ لا تعرف ! هوى في النفس ـ نعوذ بالله ـ وإلا لو قدّر الإنسان قدر هذه المسؤولية التي سيضع نفسه فيها , وعرف حقيقة ما سينبني عليها , ما أظنه جرؤ على أن يطلب مثل هذا المكان و لحاول أن يفر منه بكل جهده .

قال: فقال : (أغزو باسم الله)

يعني : انطلق في فعل الغزو، و الغزو : هو الذهاب لمحاربة العدو.

(باسم الله) : مستعيناً بالله ـ تبارك وتعالى ـ، وأنت عندما تغزو مستعيناً بالله ـ

تبارك وتعالى ـ يعني ذلك : أن تغزو في سبيل الله , تستعين بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وتغزو غزواً محرماً , لا ينفعك , لابد أن تستعين بالله في غزو شرعي , لذلك قال : (اغزو باسم الله) , في سبيل الله , يكون غزوك في سبيل الله فقط ولا يكون في سبيل الشيطان , لا تغزو في سبيل الاشتراكية , ولا تغزو في سبيل الديمقراطية , ولا تغزو لأجل جمع المال , والحصول على المراكز والرياسة. انظروا إلى حال كثير ممن يقاتل اليوم , تجدهم من هذه الأصناف: يقاتل من أجل الاشتراكية , يقاتل من أجل الديمقراطية , يقاتل من أجل الحرية . وهذه ينبغي أن نقف عندها وقفة , ماذا تريد من الحرية ؟ أي حرية تريد ؟ هل الحرية لشريعة الله وأحكامه ؟ أم الحرية من ظلم وتجبر الظالم ؟ هنا ينبغي أن تسأل نفسك، عندما تقول : أريد الحرية , ما هي الحرية ؟ الحرية من أحكام الله وشرعه ؟ نعوذ بالله ، المطالبة بذلك وبال على صاحبها , ولا ينال من وراء ذلك إلا الذل والهوان في الدنيا والآخرة، أو الحرية من تسلط الكافر الظالم ؟ هذه مطلوبة , لكن كيف تحصل عليها ؟ ينبغي أن ترجع إلى شرع الله وتسأل كي تعرف الطريقة للحصول عليها , وليست بالفوضى , وليست بالتصرفات العشوائية , أو بما يحلو لك وبما يطرأ على عقلك من أفكار ... لا . المطالبة بالحرية من ظلم الظالم أو تسلط الكافر ينبغي الرجوع فيه إلى العلماء كي يعلموك كيف يكون ذلك ؟ أنها حرية مختلطة وهذا حال كثير للأسف , يريد حرية من شعائر الله ومن دين الله , ويريد حرية من الظالم الكافر , وهذا الذي يطالب بالديمقراطية , هذا معناها , مختلطة هكذا وهكذا ... هل هذا في سبيل الله ؟ لا والله.

(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) هذا الذي يكون قتاله في سبيل الله , وينبغي أن يكون قتالاً شرعياً بعد أن يفتي العلماء بحله وجوازه , فنوازل مثل هذه , افتاءات في الدماء يرجع فيها إلى العلماء الراسخين , لأنهم هم الذين عندهم العلم , وزالت عنهم شهوة الشباب وتسرعه , فيستطيعون أن يحكموا بناءً على ما يرضي الله , لا بناءً على ما يراه الشباب بتسرعهم وبما يحصل في صدورهم من ثوران.

(قاتلوا من كفر بالله) القتال يكون للكفرة كي تزال العقبات أمام نشر دين الإسلام , دائماً الذين يسيطرون على البلاد ـ بلاد الكفار ـ يحاولون أن يشوهوا صورة الإسلام , ويحاولون أن يضعوا الموانع التي تمنع وصول الإسلام للناس بالصورة الصحيحة , فهذه الموانع لاتزال إلا بالجهاد (بالقتال) , فلما يحصل الجهاد تزال وترفع هذه الموانع ويمنع هؤلاء من الوقوف عقبة أمام نشر الإسلام , هذا جهاد الطلب.

وجهاد الدفع هو لحفظ بيضة المسلمين , حفظ رأس مالهم. هذه الحكمة من الجهاد الشرعي , جهاد الطلب وجهاد الدفع.

وكلا هما الأدلة عليهما متواترة في الكتاب والسنة كثيرة , الجهاد من أصول شرع الله ومن أصول الإسلام , ومن نفاه أو كذب به أو جحده أمره خطير.

هذا معنى الجهاد في سبيل الله : (قاتلوا من كفر بالله) لا من آمن بالله , والقتال يكون للكفار يا أيها الخوارج ! لا يكون للمسلمين، لكن عندما أراد الخوارج أن يمهدوا لأهوائهم عند المسلمين ما استطاعوا أن يصلوا إليها إلا بتكفيرهم , فإذا كفروهم استباحوا دماءهم , واستحلوا أموالهم , أما إذا لم يكفروهم ما استطاعوا لا قتلهم ولا أخذ أموالهم لأنهم مسلمون , فلكي يستسيغوا هذا الأمر ويفعلوه باسم الشريعة كفروا المسلمين وصاروا يقاتلون المسلمين على أنهم كفار , هذا حال الخوارج (الدواعش ومن شابههم).

(قاتلوا من كفر بالله) لا من آمن بالله , لذلك ترسل الغزوات (لقتال الكفار لا لقتال المؤمنين) , وقتال المسلمين يشرع في بعض الأحيان لا كما يزعم بعض دعاة الضلال أن المسلم لا يقاتل بحال , هذا جاهل . مثل هذا لا أدري كيف يخرج من شخص يدعي أنه معلم ؟ وأنه فقيه ؟ والآيات في كتاب الله تنص على قتال بعض المسلمين البغاة إذا امتنعوا من الصلح ، الخوارج أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم , المحاربون مأمورون بقتالهم , وإن كانوا جميعاً مسلمين , البغاة والخوارج والمحاربين ,

وهذا كله له تفصيلات طبعاً , يرجع فيها إلى كتب الفقه ليس موضوعنا ... (أغزوا ولا تغلوا) اغزو في سبيل الله , قاتلوا المشركين , ونهى عن الغلول , والغلول : هو السرقة من أموال الغنيمة وهذه كبيرة من الكبائر لأن النبي صلى الله عليه وسلم , لما مات أحد من كان يقاتل معه صلى الله عليه وسلم _ قالوا : هنيئاً له الجنة , قال : (إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه في النار), فالغلول من كبائر الذنوب ... (و لا تغدروا) إذ ا عاهدتم عهداً فلا تغدروا , فالغدر محرم والوفاء بالعهد واجب , حتى إن أحد الصحابة (أذكر كأنه حذيفة فيما أذكر الآن _) وأبوه , أمسكهم الكفار ... فأعطوه عهداً أنهم إذا أطلقوا سراحهم ألا يقاتلوهم مع النبي صلى الله عليه وسلم , فجاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم , استأذنوه في القتال , فمنعهم النبي صلى الله عليه وسلم إيفاءً بالعهد , انظر إلى هذا المثل وانظر إلى ما يفعله الخوارج ومن شابههم ممن يشوه دين الإسلام ... نعم ,

(ولا تغدروا , ولا تمثلوا) : (لا تغدروا) لا تنقضوا العهود , (ولا تمثلوا) التمثيل _هنا _ : هو التشويه في القتل , تشوه القتيل بأن تقطع أنفه مثلاً , تقطع أذنيه , تلعب بجسده بالطريقة هذه , هذا يسمى تمثيلاً وهو منهي عنه , والعلماء ينقلون الاتفاق على ذم الغلول , وتحريم الغدر , قال : (ولا تقتلوا وليداً) المقصود لا تقتلوا الذراري و الأولاد , (وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال _ أو خلال _ فأيتهن ما أجابوك , فاقبل منهم وكف عنهم) هذا الحديث _ في هذه الفقرة _ (وإذا لقيت عدوك من المشركين) لم يخصص أهل الكتاب من غيرهم , فاستدل به العلماء على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب ومن غيرهم , فالمشركون في حال قوة أهل الإسلام , مخيرون بين ثلاث , هذه التي ذكرت في الحديث , قال : (فادعهم إلى الإسلام , فإن أجابوك فأقبل منهم , ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين) يعني : المدينة , وهذا كان في أول الأمر وقت أن كانت الهجرة واجبة إلى المدينة على كل من دخل في الإسلام , وهذا بعد فتح قد نسخ ... (وأخبرهم

إنهم إن فعلوا ذلك , فلهم ما للمهاجرين , وعليهم ما على المهاجرين) لأنهم صاروا مثلهم , فلهم حقوقهم وعليهم واجباتهم (فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين) , هم مسلمون , يبقون مسلمين , لكن ليس لهم من الحقوق ما للمهاجرين (يجري عليهم حكم الله تعالى , ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء) لأنهم لا يقاتلون مع المسلمين (إلا أن يجاهدوا مع المسلمين) فيكون لهم في الغنيمة والفيء (فإن أبوا) رفضوا (فسألهم الجزية) يعني : اطلب منهم الجزية , والجزية هذه _ مبلغ من المال يفرض على المشركين من أهل الكتاب وغيرهم , تفصيلاته , كم مبلغه ؟ وعمن يؤخذ ؟ في كتب الفقه . (فإن هم أجابوا فسألهم الجزية , فإن هم أجابوك , فأقبل منهم وكف عنهم , فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم) ما بقي إلا الثالثة , إما الإسلام , أو الجزية أو القتال , هذا كله في حال قوة المسلمين أما في حال ضعفهم _ كحالنا اليوم _ فهنا الصلح والعهد . (فسألهم الجزية , فإنهم هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . وإذا حاصرت أهل حصنٍ) قلعة , إذا حاصرتها , يعني : أغلقت عليها جميع المنافذ , أن يخرجوا أو يدخلوا إليها , من أن أجل أن يقطع عليهم الإمدادات , والمال , والطعام والشراب , حتى يخضعوا , إن حاصرتها (فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيّه) يعني : إذا حصل الحصار , واختنقوا , عندئذٍ يطالبون بالعهود , من أجل أن ينزلوا من حصونهم , فيطالبوا بذمة الله (يعني : بعهد الله) , (وعهد نبيّه صلى الله عليه وسلم) وهذا الشاهد الآن من الكلام , المؤلف ساق الحديث لأجل هذه الفقرة , قال : (فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه) انظر _ الآن _ ! السبب _ هنا _ هو المراد عند المؤلف , قال له (لا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه) .. لا تجعل لهم عهد الله وعهد نبيه , لعظم ذلك , أن تعطي عهد الله أو عهد رسوله , هذا أمر عظيم ... (ولكن : اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك) يعني : عهدك وعهد أصحابك (فإنكم) انظر إلى التعليل الآن (فإنكم إن تخفروا ذممكم) يعني : تنقضوا عهودكم التي أعطيتموها على أنفسكم (وذمة أصحابكم

, أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه) لعظمها (وإذا حاصرت أهل حصنٍ فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله) لأنك لا تدري هل تصيب حكم الله أم لا (ولكن أنزلهم على حكمك , فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا) رواه مسلم في صحيحه . أنت تنزلهم على حكمك , ولكنك تحاول أن تصيب فيهم حكم الله _ سبحانه وتعالى _ , لكنك لا تدري هل تصيبه أم تخطئه ؟ فلذلك تنزلهم على حكمك لا على حكم الله _ سبحانه وتعالى _ , هذا فيه بلاءٌ عظيم , لكن المقام لا يتسع لشرحه بالكامل , نكتفي بهذا القدر لشرح هذا الحديث ,والشاهد منه : ما ذكرنا لكم في آخره .

قال المؤلف _ رحمه الله_ :باب ما جاء في الإقسام على الله : يعني : الحلف على الله ... (ما جاء في الإقسام على الله) لم يقل : تحريم أو تحليل , ما جاء في الإقسام على الله ... أطلق , قال : (باب ما جاء في الإقسام على الله) يعني : من أدلة , لأن الإقسام على الله قسمان , لذلك لم يذكر حكماً واحداً جازماً به , فذكر (باب ما جاء في الإقسام على الله) وقد جاء فيه حديثان : حديث يدل على تحريم الإقسام على الله _ سبحانه وتعالى _ وحديث يدل على جواز الأقسام على الله _ سبحانه وتعالى _ ومن أقسم على الله أبره , الحديث الأول : قال المؤلف _ رحمه الله _ : عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله (قال رجلٌ : والله ! لا يغفر الله لفلان) فقال الله _ عز وجل _ : (من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان ؟ إني قد غفرت له و أحبطت عملك) رواه مسلم . وفي حديث أبي هريرة إن القائل رجل عابد , قال أبو هريرة (تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته)) . تصور إنسان عابد يقول مثل هذا الكلام ! وهي كلمة واحدة , لكنها أفسدت عليه دنياه وآخرته , انظر تبعات اللسان , (وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم ؟ اللسان _ يا إخوان _ أمره خطير جداً , والإنسان لو علم خطورة ما يخرج من لسانه لأمسك لسانه عن كل مالا ينفع , وما تكلم إلا عند المصلحة الراجحة , وهذا لا يشمل فقط اللسان , بل

يشمل حتى الكتابة على الإنترنت , لأن كله يسأل عنه الإنسان يوم القيامة , ما يكتب وما يقول كله مسؤول عنه , فهذا الذي نراه الآن على الإنترنت شيء ـ والله ـ محزن , منا فسات , ونزاعات , وخصومات , وفتاوى من أناس لا يعرفون شيئاً عن الشريعة إلا بعض الثقافة التي سمعوها من هنا وهناك , جرأة عجيبة , وإنكار في مسائل لا يعرفون حقيقتها ـ أصلاً ـ وهل هي مسائل محل إجماع ؟ محل خلاف ؟ وما وجه الخلاف ؟ شيء محزن واللهعندما أرى أن التنافسات هذه والعداءات الحاصلة على الإنترنت والله ! أحزن , وأقرأ كلاماً , أقول : هذا لو تعلّم لضحك على نفسه , والله ! لو تعلّم لضحك على نفسه من الكلام هذا الذي يكتبه , و لبكى على نفسه أن كتب كلاماً مثل هذا سيسأل عنه عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ , هذا كثير , وكثير جداً , ينبغي للإنسان أن يكون ورعاً في هذا الجانب ـ بارك الله فيكم ـ , استفد من الإنترنت , استفد من المشايخ , من العلماء , تابع صفحاتهم , تابع كلامهم , واكتف بهذا ... واسكت , لا تدخل في جدالات ونقاشات مع إخوانك , ومع غيرهم حتى... يعني بعض الإخوة أرى لهم كتابات ... والله ! يجادلون المبتدعة ! من أنت حتى تجادله ؟ أنت من الناحية العلمية فارغ , والله ! أراهم وأرى كتاباتهم , أعرف مستوياتهم العلمية من خلال الكتابات , فارغ , ما عنده شيء .. المبتدع ـ ربما ـ يناقشه بطريقة عنده فيها علم , وهو يناقش بطريقة جهل , هل أنت محلك هذا ؟ هل مكانك هذا الذي وضعت نفسك فيه ؟ ألم ينهك السلف عن هذا ؟ سبحان الله ويقول لك أنا سلفي ! هل تظن السلفية مجرد دعوى ؟ تقول : أنا سلفي , وخلاص ينتهي الأمر ؟ السلفية اتباع منهج ـ بارك الله فيك ـ , تعّرض نفسك للشبهات , وتقول : أنا سلفي ؟ ! لن تدوم لك السلفية إلا أن يشاء الله فقط , عندما تضع نفسك في محل الشبهات تتلقفها , ويأتيك ـ بعد ذلك ـ البعض الآخر , ويرسل لك : قال لي فلان شبهة كذا ! قال لي فلان الشبهة كذا , هذا لا ينتهي ... إلى متى ؟ أنا لا أستطيع أن أجيبك عن كل الشبهات التي تطرأ عليك بما أنك قد فتحت المجال على

نفسك ...على كل , نرجع إلى موضوعنا ... هذا الحديث الذي بين أيدينا (حديث جندب بن عبد الله) يدل على عدم جواز التألي على الله , يعني : الحلف على الله بأن يغفر الله لفلان أو لا يغفر لفلان , من أنت حتى تحكم على الله أن يغفر لفلان أولا يغفر لفلان ؟ هذا أمر بيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولا أحد يحكم على الله في ذلك , فمن تألى على الله معجباً بنفسه , هذا الرجل كان عابداً معجباً بنفسه يرى نفسه أنه على الطاعة , ويرى ذلك أنه على المعصية , فخرجت منه هذه الكلمة , فأهلكته , القسم الثاني : جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عندما حلف أحد الصحابة الفضلاء أن لا تكسر سن أخته , والله ـ سبحانه وتعالى ـ أمضى هذا الأمر , وما كسرت سنها , وقبل الذين كسرت أخته سن ابنتهم بالعوض) قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره) رجل كان صالحاً , وعندما أقسم على الله , أقسم من باب حسن الظن بالله , وأقسم في شيء ليس فيه تعد على الله ـ سبحانه وتعالى ـ فمثل هذا جائز , وقد قال عليه الصلاة والسلام ـ أيضاً ـ : (رب أشعث أغبر ذي طمرين , مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) إذاً , الإقسام على الله جائز عند حسن الظن بالله ـ سبحانه وتعالى ـ , وأن تقسم في شيء يجوز لك القسم فيه , وليس فيه اعتداءً على الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولا يجوز عندما نتفاخر يغفر الله لفلان أو لا يغفر لفلان , هذا المقصود من هذا الباب , من تألى على الله فقد أساء الأدب معه , وتحجر فضله , وأساء الظن به , وكل هذا ينافي كمال التوحيد , وربما ينافي أصل التوحيد , فالتألي على الله ـ سبحانه وتعالى ـ تألٍّ عظيم , والتألي على العظيم يعتبر تنقصاً في حقه ـ على هذا الوجه الذي ذكرنا ـ انتهى درس اليوم , كان ينبغي أن نكمل الدروس اليوم , لكن قدر الله وما شاء فعل , استطردنا قليلاً لذكر بعض ما يحتاج الناس إليه , فبإذن الله ـتعالى ـ الدرس القادم سيكون آخر درس , إن يسر الله ـ سبحانه وتعالى الأمر وشاءه ـ وفقنا الله وإياكم لطاعته .

الدرس رقم 31

المجلس الحادي والثلاثين :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , أما بعد : وقفنا عند الباب الرابع والستين , قال المؤلف رحمه الله : " باب لا يستشفع بالله على خلقه " : معنى الاستشفاع : طلب الشفاعة , الاستشفاع بالله : يعني أن تجعل الله سبحانه وتعالى شافعاً لك عند أحد , يعني أن تطلب من الله سبحانه وتعالى أن يشفع لك عند النبي صلى الله عليه وسلم أو عند غيره , وهذا محرم , " باب لا يستشفع بالله على خلقه " , لا تطلب من الله الشفاعة , أن يشفع لك عند أحد من خلقه , طلب الشفاعة - قال أهل العلم - عندما تأتي لزيد من الناس وتقول له اشفع لي عند عمروٍ , يقولون هنا : عمرو يكون أعلى منزلة من زيد , زيد سيشفع عند عمرو , وعمرو يكون أعلى منزلة من زيد , وهذا إذا فعلته مع الله تبارك وتعالى تكون قد استنقصت ربك تبارك وتعالى وجعلته أقل منزلة من نبيّه صلى الله عليه وسلم أو من أحد من خلقه , فلذلك قالوا : هذا منافٍ للتوحيد , هذا معنى هذا الباب , " لا يستشفع بالله " يعني لا تجعل الله سبحانه وتعالى شافعاً لك عند أحد من الخلق , أيش يعني شافع ؟ يعني واسطة , يتوسط لك عند أحد من الخلق لجلب منفعة أو دفع مضرة , هذا معنى الشفاعة وقد تقدم معناها معنا وذكرناه فيما تقدم من أبواب .

قال المؤلف رحمه الله :" وعن جبير بن مطعم قال: (جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، نُهكت الأنفس) يعني ضعفت الأنفس ، (وجاع العيال، وهلكت الأموال) يعني الإبل والغنم والبقر التي تعيش على الأعشاب التي تنبت هذه الأعشاب بالأمطار ، (فاستسق لنا ربك) استسق : يعني اطلب لنا السقيا , اطلب لنا السقيا من الله سبحانه وتعالى يعني ادع الله سبحانه وتعالى أن يمطرنا , أن ينزل علينا مطراً من السماء , (فإنا نستشفع بالله عليك) أي نجعل الله

سبحانه وتعالى شافعاً لنا عندك , واسطة يتوسط لنا عندك أن تقبل بدعائه ، (وبك على الله) وأنت نجعلك واسطة بدعائك , تدعو لنا ربك تبارك وتعالى كي يمطرنا , (فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سبحان الله، سبحان الله!) كلمة تعجب وتنزيه لله تبارك وتعالى عما حدث من استنقاص بحقه تبارك وتعالى بهذا الكلام , سبحان الله : يعني أنزه الله عن النقائص وعما ذكرتموه , (فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه) عرفوا كراهية النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الكلام , لما فيه من استنقاص بحق الله تبارك وتعالى , والنبي صلى الله عليه وسلم لا يرضى بهذا أبداً (ثم قال : "ويحك!) قال للأعرابي : ويحك , هذه كلمة يذكرونها للترحم والزجر عن الفعل (قال : ويحك ! أتدري ما الله؟) أتدري عظمة الله سبحانه وتعالى حتى تقول ما قلت (إن شأن الله أعظم من ذلك) وأنت استنقصته بما ذكرت ، (إنه لا يستشفع بالله على أحد) الله سبحانه وتعالى يأمر وينهى , لا يتوسط , لا يكون واسطة عند النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو , يأمره يقول : ادع يا محمد , هكذا يفعل ربنا تبارك وتعالى , فشأن الله أعظم من أن يكون واسطة وأن يوضع في هذه المنزلة (وذكر الحديث، رواه أبو داود) لكنه حديث ضعيف , لا يصح .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : " باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك " : حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد , الحمى هو المكان المحمي الذي مُنع منه الغير , والمقصود بحمى التوحيد , يعني حول التوحيد , يعني وإن كان الشيء الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ليس شركاً إلا أنه يوصل إلى الشرك أغلق النبي صلى الله عليه وسلم هذا الباب وحرّمه كي لا يصل الشخص به إلى الشرك , هذا معنى حمى التوحيد , يعني أنه هو ما يصل إلى أن يشرك , لكن لمّا كان طريقاً يوصله إلى الشرك منع هذا الطريق وسد هذا الباب , هذا معنى حمى التوحيد , وهذه المسألة هي التي تسمى عند علماء الأصول ب"سد الذرائع" , سد الذرائع : يعني إذا كان الشيء ذريعة , طريق يوصل إلى الشيء المحرّم

فيغلق هذا الطريق حتى لا نصل إلى الشيء المحرم , يعني مثلاً النبي صلى الله عليه وسلم عندما نهى عن البناء على القبور , نهى عن البناء على القبور وأمر بتسوية القبر بالأرض قال لعلي : [ولا تدعنّ قبراً مشرفاً إلا سوّيته] لماذا ؟ حتى لا تعظَّم هذه القبور , لا يصل الأمر إلى تعظيم هذه القبور وعبادتها , لذلك نهى عن رفع القبور كي لا تُعبَد مع الله تبارك وتعالى , فنفس البناء على القبر , هو في نفسه في ذاته ليس شركاً لكنه يوصل إلى الشرك , فكي لا يوصل إلى الشرك نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم , هذا معنى حمى جناب التوحيد , حمى التوحيد , (وسدّه طرق الشرك) حَمى جوانب التوحيد , وكل طريق تؤدي إلى الشرك سدّه , تقدّم معنا معنى هذا الباب في باب سابق , وذكر فيه أشياء ,

قال المؤلف : " عن عبد الله بن الشِّخِّير قال: "انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى. " لاحظ هنا : النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يمنعهم من الغلو , خشي من غلوّهم , فأراد أن يمنعهم من ذلك خشية أن يقعوا في تعظيمهم للنبي صلى الله عليه وسلم كتعظيمهم لله أو أعظم من ذلك , فسدّ الطريق عليهم صلى الله عليه وسلم , فقال : السيد الله , يعني من عادة العرب كانوا إذا دخلوا على ملك أو على رئيس أو على كبير من الكبراء يمدحونه ويفخمونه بالألفاظ , بألفاظ مختلفة , فقالوا هنا للنبي صلى الله عليه وسلم : أنت سيدنا , فقال عليه الصلاة والسلام : السيد الله تبارك وتعالى , ماذا أراد من ذلك ؟ أراد أن يسد عليهم الباب , باب الغلو في حقه صلى الله عليه وسلم , مع أنه سيّد , وقال عليه الصلاة والسلام :[أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر] , فإطلاق السيد عليه جائز , ما فيه بأس , لكن هنا أراد أن يغلق هذا الباب ويوقفهم عند حدّهم كي لا يتجاوزوا إلى الغلو فيه , فقال : السيد الله تبارك وتعالى , السيد المطلق الذي له السؤدد التام هو الله سبحانه وتعالى , والسيد هنا : المقصود به : المالك , ومن معاني السيد : المالك , الملك التام المطلق لله سبحانه وتعالى , " قلنا: وأفضلنا فضلا، "

شوف الآن كيف !! " وأعظمنا طولا." أفضلنا فضلاً يعني أفضلنا شرفاً , وأعظمنا طولاً يعني أعظمنا غنى , " فقال: قولوا بقولكم " يعني أنت سيدنا أو أنت أفضلنا , قولوا بهذا القول " أو بعض قولكم " أو اقتصروا على البعض مما قلتم " ولا يستجرينكم الشيطان" , استجراه الشيطان : جذبه وجرّه , أي لا يسحبكم الشيطان إلى مجاوزة الحد واحذروا " رواه أبو داود بسند جيد " فأغلق النبي صلى الله عليه وسلم باب الشرك بتعظيمه صلى الله عليه وسلم كتعظيم الله أو أعظم من ذلك , خشي هذا النبي صلى الله عليه وسلم فأغلقَ الباب , سَدَّ الذريعة .

" وعن أنس أن ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، " كل هذا الكلام حق , هو خيرنا وابن خيرنا , إذا أخذنا على ابن خيرنا إبراهيم وإسماعيل " فقال: "يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، " قولوا بقولكم الذي ذكرتموه ولا يستهوينكم يعني لا يستميلنكم الشيطان إلى ما تهوى أنفسكم وتتبعوا طرقه , " أنا محمد عبد الله ورسوله، " شوف كيف الآن !! أراد أن يغلق باب الغلو , فقال : أنا عبد الله , أنا محمد عبد الله , فأنا عبدٌ خاضعٌ متذللٌ لله , ولست أكثر من هذا ولا أزيد إلا بأني رسول لله تبارك وتعالى , فلست إلهاً ولا ابن إله , فالله سبحانه وتعالى لا ولد له , كما قالت النصارى في عيسى عليه السلام , فأراد أن يغلق النبي صلى الله عليه وسلم باب الغلو يؤدي إلى ما أدى إليه غلو النصارى واليهود , " ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي " شوف كيف " التي أنزلني الله عز وجل " يعني هذه منزلتي : عبد لله ورسول له , لا إفراط ولا تفريط ولا ترفعوني فوق هذا , فسدّ الباب عليهم " رواه النسائي بسند جيد "

قال المؤلف رحمه الله تعالى :" باب ما جاء في قول الله تعالى {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} " وما عظموا الله حق تعظيمه , ولو أنهم عظموا الله حق تعظيمه لما أشركوا معه غيره ولأطاعوه ولخضعوا وتذللوا له سبحانه وتعالى خضوعاً تاماً , لو أنهم عظموا الله حق تعظيمه , {وما قدروا الله حق قدره

والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة} , إذا كانت هذه الأرض كلها التي نراها قبضته يوم القيامة , {والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون} لاحظ , شوف أنت الأرض هذه كلها قبضته يوم القيامة , والسماوات : هذه المهولة العظيمة مطوية بيمينه , هذه كلها صغيرة جداً أمام عظمة الله تبارك وتعالى , فلو أنك حقيقة تقدر الله سبحانه وتعالى حق تقديره لما أشركت معه غيره , ولعرفت عظمه تبارك وتعالى , انظر قال :{ سبحانه وتعالى } : ينزه نفسه عما يشركون , فكيف يكون له شريك وهو بهذه العظمة سبحانه وتعالى .

(عن ابن مسعود قال: "جاء حبر من الأحبار) عالم من علماء اليهود , الحبر هو العالم , يقال له حبر ويقال له بحر أيضاً (إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع،) السماوات السبع والأرضين السبع (والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى) يعني التراب (على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ : {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} الآية "متفق عليه) فلو أننا نقدر الله سبحانه وتعالى حق قدره ونعظّمه حق تعظيمه لعبدناه وحده ليل نهار وما أشركنا معه غيره , ولأثبتنا له ما أثبت لنفسه في كتابه وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ونزّهناه عن جميع النقائص .

(وفي رواية لمسلم: "والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزّهن فيقول: أنا الملك، أنا الله " , وفي رواية للبخاري: "يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى) يعني التراب (على إصبع، وسائر الخلق على إصبع" أخرجاه) يعني البخاري ومسلم في صحيحيهما , هذا ختم به المؤلف الكتاب حتى يبيّن عظمة الله تبارك وتعالى وما يجب علينا من تعظيمنا لله تبارك وتعالى وما يلزم من ذلك من عدم الشرك به وتوحيده تبارك وتعالى بجميع أنواع التوحيد , نعم .

قال المؤلف رحمه الله تعالى :(ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً) مرفوعاً يعني إلى النبي صلى الله عليه وسلم ("يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟) الذين يقهرون الناس ويذلونهم ويتكبرون عليهم , هؤلاء هم المقصودون (ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ")

(وروي عن ابن عباس قال: "ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم") الخردل : نبت له حب صغير جداً , وبه يضرب المثل في شدة الصغر , تصور أنت هذه الحبة صغيرة جداً في يدك كأنها لا شيء , كذلك السماوات السبع والأرضون السبع في كف الله تبارك وتعالى , هذا يدلك كله على عِظَم الله تبارك وتعالى وقدر صغر الأشياء أمام عظمته تبارك وتعالى .

(وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس") الترس يعني في شيء من الفولاذ , الترس هذا هو شيء من الفولاذ يحمله المحارب يتقي به ضربة السيف والرمح .

(قال: وقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض") حلقة من حديد ألقيت في فلاة , في مكان واسع من الأرض , فماذا ستكون هذه القطعة في هذه الفلاة ؟ لا تكاد تُذكَر , هذا كله يبين عظمة الله سبحانه وتعالى , وإن هذا الذي ذكره ابن جرير مرسل , يعني من قسم الضعيف .

(وعن ابن مسعود، قال: "بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام) بين السماء الدنيا والسماء التي فوقها خمسمائة عام ، (وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام) هن سبع سماوات , بين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، (وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام) يعني بعد الكرسي فيه ماء ،

(والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم".) يعني مع أنه في هذا العلو تبارك وتعالى إلا أنه لا يخفى عليه شيء . (أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي - رحمه الله تعالى -، قال: وله طرق)
(وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ "قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم" أخرجه أبو داود وغيره) وهو ضعيف .
على كل حال : المقصود من كل هذا أن يبيّن عظمة الله تبارك وتعالى وقدره , وأن هذه المخلوقات كلها أمام عظمته لا تساوي شيئاً , هذا المقصود من أول الباب إلى آخره , وإذا عظّمنا الله سبحانه وتعالى حق تعظيمه لم نشرك به شيئاً ووحّدناه بجميع أنواع التوحيد , نسأل الله أن يرزقنا وإياكم التوحيد , وأن يحيينا عليه وأن يميتنا عليه وأن يثبتنا على طاعته إلى أن نلقاه خصوصاً في هذا الزمن المليء بالفتن , وأن يشغلنا بطاعته ولا يشغلنا بأنفسنا ولا بالفتن , نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمنا وإياكم برحمته وأن يعلمنا وأن يجعل علمنا هذا نافعاً لنا وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك , وبذلك نكون قد انتهينا من شرح الكتاب بفضل الله تبارك وتعالى ومنّه وكرمه علينا , نسأل الله أن ينفعنا به ,
والسلام عليكم ورحمة الله .